صرف العين

تأليف

أبي الصفاء خليل بن أيبك الصفدي

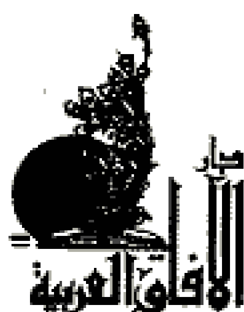
(ت ٧٦٤ هـ)



دراسة وتحقيق

الدكتور محمد عبد المجيد لاشين

الجزء الأول



اسم الكتاب : صرف العين
اسم المؤلف : أبو الصفاء خليل بن أيبك الصفدي
اسم المحقق : الدكتور محمد عبد المجيد لاشين

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م



رقم الإيداع : ١٩٨٥٥ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولي : ISBN : 977 - 344 - 105 - 9

دار الآفاق العربية
نشر - توزيع - طباعة
٥٥ ش محمود طلعت - من شارع الطيران
مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٢٦١٧٣٣٩ - فاكس : ٢٦١٠١٦٤
e-mail: daralafk@hotmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الذى جعل السمع والبصر والفؤاد بعض نعمه على خلقه ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين ، وصحبه ، والتابعين ، أجمعين .

وبعـــد

فقد أحبَّ الصفدي العين حُبًا ملأ منه القلب ، وملك عليه الروح ، وإذا أحَبَّ الإنسان شيئا أمْعَنَ النظر إليه ، وأطال التَّفَكُّر فيه ، وبالغ فى التَّعَلُّق به ، وحَفَزَه حُبُّه إلى الاشتغال بالمحبوب ، وبكل ما يُقَرِّبه منه ، ويُدْنيه إليه ، هذه فطرة الله التى فَطَرَ الناس عليها ، ويَتَجلَّى حُبُّه العين فى تكوينه النفسى والعقلى ، وفى تراثه الثقافى والأدبى .

ألم يكن حُبُّه العين ملهمه فى إنشاء مقامتيه :

« عِبْرَة اللبيب بِعَثْرَة الكئيب »

« ولوعة الشاكى ودمعة الباكى » ؟ .

ألم يكن حُبُّه العين باعثه على أنْ يترجم مَن انطفأت عيونهم فى كتابه « **نَكْت الهِمْيان فى نُكَتِ العُمْيان** » ، وإلى أنْ يترجم مَنْ يرون الحياة بعين واحدة فى كتابه « **الشعور بالعور** » ؟

وأنْ يقدِّم لموضوعى الكتابين بمقدمات مفيدة ممتعة ، فى كل العلوم والفنون المعروفة فى عصره ، والتى تتصل بالعين من قريب ، أو من بعيد ؟ .

ألم يكن حبّه العين دافعه إلى أن يدرس أسباب البكاء ، وأحواله ، ويُبَيِّن صفات الدمع ، وتشبيهاته فى كتابه :

« لذة السمع فى صفة الدمع » ؟

وأَنْ يخص كتابه هذا بدراسة العين نفسها ، وجعل عنوانه :

« صرف العين وعرض العين فى وصف العين » ؟ .

فى هذا الكتاب أورده حبُّه العَيْنَ مناهل العلم ، ومنابع المعرفة ، يجمع طرائف

الأحاديث في التاريخ ، والأدب ، ويبحث الأحكام التي تتعلق بها في العلوم العقلية والنقلية ، وينسق من أزاهير الطرف ، وثمرات الأحكام موسوعة بارعة ، يقدّمها للقارئ غذاء للنفس والعقل ، ومتعة للروح والقلب .

بدأ بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وعلومهما ، من : تفسير ، وفقه ، وأصول ، فبيَّن ما « للعين » فيها من معانٍ وما لها من أحكامٍ في شريعة الله .

ومال إلى كتب اللغة يُفَتِّش فيها معاني كلمة « العين » ويبحث ظاهرة المشترك اللفظي ؛ فشرح أسبابها ، وخصائصها ، وأحكام المشترك في الإفراد ، والتثنية ، والجمع ، وأوضح الفرق بينه وبين المترادف ، و المتواطئ .

وعَرَّج على كتب الأدب ، يتَتَبَّع استعمال الشعراء والأدباء « **المشترك اللفظي** » في أرفع إنتاجهم الأدبي ، وفي أروع أساليبهم البليغة ، وذلك فيما عرف باسم : التورية ، والاستخدام ، وفي الجناس ، والسجع ، والتوشيع ، وغيرها .

وأغراه حبه العين بدراسة الطب ، ليتعرَّف حقيقتها ، والأجزاء التي تتركب منها ، وهيئتها التي تَكُون عليها ، وعوارضها في الأحوال التي تنتابها ، والأدواء التي تصيبها ، والدواء الذي يشفيها .

وأخيرا ، انتهى به حبه العين إلى دواوين الشعراء ، ومجاميع الأدباء ، ينتقي منها أجمل ما حوت من أبيات ، تطرب الأسماع بعذوبة ألفاظها ، وتَسُرُّ النفوس بجمال أساليبها ، وروعة معانيها ، وموضوعها « العين » في أحوالها ، وتشبيهاتها ، وأثرها ، ويرتِّب هذه الاختيارات ترتيبا هجائيا ؛ لتكون هي الغرض من تأليف الكتاب ، والغاية منه .

عرفت هذا الكتاب ، وقرأته قراءة مُتَعَجِّلَة ، في الوقت الذي كنت مشغولا فيه بتحقيق كتاب « لذة السمع في صفة الدمع » ودراسته ، وتبين لي أنَّ الكتابين موضوعهما واحد ، وهو العين ودموعها ؛ ويكمل أحدهما الآخر ، ورأيت من حَقِّه عَلَيَّ أَنْ أُتِمَّ ما بدأته ، وأنْ أحقِّق الكتاب الثاني ، وأدرسه ، كالكتاب الأول ، فبحثت عن مخطوطاته في مظانِّها ، فلم أجد له إلا مخطوطتين :

الأولى في برلين .

والثانية في إستانبول .

وحصلت على مصورتى المخطوطتين ، وبدأت نسخهما ، وقراءتهما قراءة متأنّية ، وسرعان ما بدأت الصعاب تتكشف لى .

كانت **أولى الصعاب** « ترتيب الصفحات » فإذا فرغ القارئ من قراءة صفحة فإنّه يجد الصفحة المقابلة تبدأ بكلام جديد ، لا صلة له بما قبله ، يبعد عنه فى اللفظ ، ولا يسايره فى المعنى ، وسأكتفى بمثالين اثنين فقط ؛ ليتبين القارئ مدى ما فى الترتيب من خلط واضطراب .

المثال الأول

يقول الصفدى : « وإذا كان فى العين بياض لا ينقص الضوء ، لم يمنع القصاص / ولا كمال الدية ، وكان كالثآليل فى اليد والرجل .. .. » .

هذه العبارة المتصلة المعنى ، جزء من كلماتها تنتهى به الورقة الثامنة ، عند كلمة « القصاص » ، والجزء الثانى منها

تبدأ به الورقة الثامنة والثلاثون من قوله : « ولا كمال الدية » .

المثال الثانى

فى العبارة « وأظهرهما على ما ذهب إليه القاضى الطبرى والشيخ / أبو محمد وغيرهما .. .. » .

نجد بعض كلماتها تنتهى به الورقة التاسعة والثلاثون ، فآخرها كلمة « والشيخ » وتكملة العبارة تبدأ بها الورقة التاسعة « أبو محمد و غيرهما .. » .

لذلك قمت بتصوير نسخة ثانية من المخطوطة ، وأعدت لصق وجه كل لوحة إلى ظهرها ، وفصلت اللوحات بعضها عن بعض ، وبدأت إعادة ترتيبها من جديد .

وقد اعتمدت الأسس الآتية فى إعادة الترتيب

١ - اتصال المعنى ، وترابطه ، وساعدنى فى ذلك نقل الصفدى من كتب أكثرها متوفر لدينا ، كالمغنى لابن قدامة ، والهداية شرح بداية المبتدى للمرغينانى ، وقد نَصّ هو نفسه على بعض مصادره ، وبعضها لم ينص على نقله عنها ، ولكن تمكّنْت من الاهتداء إلى معرفة أكثرها .

٢ - يذكر - أحيانا - أنه في فصل آتٍ سيتحدّث فيه عن « معنى ما » فيما بعد، أو سبق الحديث عنه ، في فصل سابق ، فمثلا يقول في وجه اللوحة العاشرة :

« وسيأتي الكلام عن الإصابة بالعين ، وما يتعلق بها فيما بعد » .

وفي وجه اللوحة الرابعة والعشرين يقول : « وقد تقدم فصل الإصابة بالعين » ؛ وساعدتني هذه النصوص في ترتيب الفصول .

٣ - قد ينتهي فصل في وجه لوحة ، ليبدأ الفصل الذى يليه في ظهرها ؛ فيتعين تقديم الفصل المنتهي في وجه اللوحة ، وتأخير الفصل الذى يليه .

٤ - منهج الصفدي في التأليف ؛ وخبرتي به في تحقيق كتابه « لذة السمع في صفة الدمع » .

وكانت **الصعوبة الثانية** معرفة أصل المخطوطتين ، وحقيقتهما .

فالأولى : في مكتبة برلين ، تحت رقم ٣٨٠٦ ، وعدد أوراقها خمس ورقات فقط ، وعلى وجه الورقة الأولى عنوان الكتاب في داخل مستطيل مزخرف ، وفي أسفله اسم المؤلف مكتوب في داخل دائرة مزخرفة أيضا ، وفي ظهر الورقة بدأ المؤلف خطبة الكتاب ، بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، عفوك اللهم ، أما بعد حمد الله الذى زان الوجوه بالعيون ... » .

والجملة الأخيرة في الصفحة قوله : « فإن العَرَبَ تَغَزَّلَتْ في العيون ، فأَجادت ، وتَعَزَّلَتْ عن الإملال في أوصافها ، فأفادت وتَنَزَّلَتْ عن أَوْج غلظتها إلى حضيض السبب فيها ، فأمالت الأعطاف ، وأمادت ، وفتحت باب الأوصاف .... » .

وتوحي نهاية الصفحة بأَنَّ المؤلف سيذكر طَرَفًا من تشبيهات العين ، وأوصافها ، ولكننا نجد الورقات الأربع الباقية تتحدث عن معاني لفظ « العين » في القرآن الكريم ، والحديث الشريف .

والمخطوطة الثانية : في المكتبة العمومية باستانبول ، تحت رقم ٦٨٣٢ ، ومنها مصورة في معهد المخطوطات العربية ، بالقاهرة ورقمها ٥٩٥ « أدب » ، وعدد أوراقها ١٤٠ ورقة ، وقد فات المصور تصوير الصفحتين ١٢٨ ب / ١٢٩ أ وهما موجودتان في الأصل المحفوظ في المكتبة العمومية ؛ وقد صوّرتهما من هناك ، المخطوطة بدون غلاف ، وقد قُدّم لها بورقة ، كُتِب عليها بخطٍ حديثٍ

« كتاب صرف العين ، للعلامة خليل بن أيبك الصفدى رحمه الله تعالى » ، وأَوَّل أوراق المخطوطة تبدأ بالعنوان « فائدة مهمة » ، ويشرح فيها الصفدى الفرق بين المشترك والمتواطئ ، وعلى ظهر الورقة فصل عنوانه « فصل فى القول على تثنية المشترك وجمعه ، هل يجوز ذلك أو لا ؟ » .

ولا نعرف كتابًا للصفدى - ولا لغيره - يبدأ هذه البداءة ، مما يؤكد وجود نقص فى أول هذه المخطوطة .

والراجح عندى أن المخطوطتين كانتا فى الأصل مخطوطة واحدة ، وتعرضت لعملية سطو ، فَرَقَتْ صفحاتها ، ثمّ بيع منها جزء ، وفُقِد منها جزء ثان ، وبقى منها جزء ثالث .

ومن حسن الحظ أنَّ الجزء المتبقى منها هو أكثرها ؛ فأمّا الجزء الذى بيع منها ؛ فهو الورقات الخمس المحفوظة فى برلين ، اشتراها هاوٍ ، يجمع المخطوطات والتحف ، و لا يبخل بمال فى سبيل الحصول على تلك اللوحة الرائعة المزخرفة ذات النقوش الإسلامية الدقيقة التى رسمها الصفدى الفنان ، وجعلها غلافاً لكتابه ، يحمل عنوانه ، وأمّا الجزء الذى فُقِد منها فهو بعض الوريقات نَبّهت إلى موضعها من الكتاب .

ولكى يُخْفِى السارق جريمته فقد عمد إلى الصفحات ؛ فغيّر ترتيبها ، و رَقَّمَها ترقيما عَشْوِياً (١) ، وتم تجليدها بعد ذلك على هذه الصورة الشائهة .

والدليل الذى يؤكد هذا الفرض ما يأتى :

١ - جاء فى هدية العارفين ٣٥٢/١ من كتب الصفدى : صرف العين عن صرف العين فى وصف العين ، فى مجلد ، فى دار الكتب العمومية ، وكما ترى ، يذكر العنوان كاملاً ، كما قرأه مُصَحّفاً ، وهذا العنوان بتمامه لا يوجد - الآن - على وجه اللوحة الأولى فى مخطوطة المكتبة العمومية ، ولكنه عنوان مخطوطة برلين .

٢ - وفى إيضاح المكنون ٦٧/٢ لم يكتف بذكر عنوان الكتاب ، ومكانه ،

(١) العَشْوة - مثلثة الفاء - ركوب الأمر على غير بيان ، اللسان « عشا » ١٥ / ٥٩

كما جاء فى هدية العارفين ؛ بل نص على بُدَاءَته ، فقال : أوله « أما بعد حمد الله الذى زان الوجوه بالعيون ..» ، وهى البداءة نفسها التى تبدأ بها مخطوطة برلين .

٣ - المخطوطتان بخط الصفدى ، وتُكَمِّل إحداهما الأخرى ، وليس من بين أوراقهما ورقة واحدة مكرَّرة ، ومعنى ذلك أَنَّ أَمَامَنا احتمالاتٍ ثلاثةً :

إما أنْ تكونَ المخطوطتان من أَصْلٍ ومُسَوّدَة ، أو من أصْلَين مختلفين ، أو من أَصْلٍ واحدٍ ، والاحتمال الأول مرفوض ؛ لأَنَّ المخطوطتين تخلوان تماماً من الشطب والتغيير ، والإضافة ، والإصلاح ؛ مما يدُلّ على أَنّ كلتا المخطوطتين من أَصْلٍ مُنَقّحٍ ، لا من أَصْلٍ ومُسَوّدة .

والاحتمال الثانى مرفوض أيضا ؛ فمن المستبعد أن يكون الصفدى قد نسخ الكتاب مرتين ؛ لأَنّ الوقت الذى صَنّفه فيه يُبْعِد هذا الاحتمال ؛ فقد كتبه فى أواخر عمره ، وقد جاوزت سنه السادسة والستين ، وضعفت قوته ، وثقل سمعه ، وكثرت مشاغله (١) .

فالاحتمال الثالث - إذن - هو الراجح .

وكانت **الصعوبة الثالثة** ما فى الكتاب من مصطلحات طبِّيَّة وفقهية ، ونقول كثير ، وأعلام ، وأسماء مؤلفات ، واختيارات لشعراء لم تُجْمَع دواوينهم ، أو جُمِعَتْ وفُقِدَتْ ، أو وصلت إلينا ولا تزال مخطوطة ، ومن العسير الاطلاع عليها ، ولم تَحُل كل تلك الصعاب دون بذل الجهد فى إتمام هذا العمل ، وتحقيقه ، على أسس علمية .

وقد رأيت أنْ أجعل الكتاب فى قسمين :

القسم الأول للدراسة ، ويشتمل على بابين :

الباب الأول : أبيِّن فيه منهج الصفدى فى التأليف ، وأعرض الموضوعات التى تناولها فى كتابه عرضا عاما ، وأتناول القضايا الفقهية ، والأدبية التى أشار إليها بالدراسة المستفيضة ؛ لنتبيّن من خلالها آراء العلماء فيها ، وأسباب اختلافهم ، وأرَجح الأقوال فيها .

---

(١) كان تأليف الكتاب بعد سنة ٧٦٠ هـ ، راجع الباب الثانى .

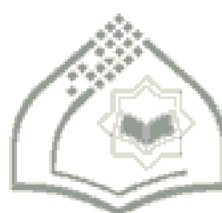
الباب الثاني : أخصصه للكتاب ، فأوثق نسبته لصاحبه ، وأصف مخطوطاته ، وأتتبع أثره فيما بعده ، وأبيِّن الخصائص الإملائية ، والأسلوبية فى كتابة الصفدى ، وتعبيره ، وأذكر عملى فى تحقيقه .

وبعد :

فهذا الكتاب واحد من كتب الصفدى ، التىلم يسبق نشرها ، أو التعريف بها ، أقدمه اليوم للباحثين ، والدارسين ؛ لعلهم أنْ يجدوا فيه نفعًا ، وفائدة ، وآمل أنْ يكون للجهد المبذول فيه أثر فى خدمة لغتنا العريقة ، وثقافتنا التليدة .

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القسم الأول

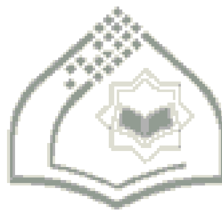
دراسة الكتاب




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



الباب الأول
المنهج والموضوع


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

منهج الصفدى فى التأليف

الصفدى من أكثر العلماء التزاما بالمنهج ، واحتفالا به ، ومن أقدرهم على اصطناع الأساليب العلمية فى البحث ، والتخطيط ، والتنظيم ، وإذا كان الباحثون - اليوم - يدوِّنون معلوماتهم فى بطاقات ، يصنفونها بحسب الموضوعات ، ويرجعون إليها عند الحاجة ؛ فمن المعروف أنَّ الصفدى كان دائم التقييد والتدوين للمعلومات التى قرأها فى كتاب ، أو سمعها من شيخ ، أو اطلع عليها ونظراءه فى ديوان الإنشاء ، جمع كل تلك المعلومات ، وسجَّلها فى « تذكرته » [1] يرجع إليها كلما شرع فى تأليف كتاب ، أو توثيق معلومة ، وقد يعيرها أصحابه ، يستعينون بها فى كتبهم [2] .

والخبير بطريقة الصفدى فى التأليف لو أُلْقِى إليه كتاب من تأليفه ،لم يسبق له رؤيته ، أو الاطلاع عليه وهو غُفْل من العنوان واسم المؤلف ؛ لاستطاع التعرف عليه فى يسر وسهولة ونسبته إلى صاحبه ، مطمئنا إلى رأيه ؛ وذلك لأن منهج الصفدى فى التأليف واضح ، ودقيق ، ومتميز بقدر كبير .

ويمكن بيان أسس المنهج عنده فيما يأتى :

١ - **التمهيد** : فى خطبة الكتاب - وهى مسجوعة دائما - يُقَدِّم تمهيداً مطولا ، يشرح فيه أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره له ، ومصادره التى اعتمدها ، وفصوله ، والغاية من التأليف فيه .

٢ - **المقدمات** : ويقسمها إلى فصول ، ويتتبع عناصر الموضوع تتبعا شاملا من الجوانب : التاريخية ، والأدبية ، واللغوية ، والاصطلاحية ، وفى كل مجالات العلوم العقلية والنقلية ، فيبين آراء العلماء ، وحججهم ، والرد عليها ، وينقد الروايات ، ويوثقها ، ويوازن بينها ، ويرجِّح بعضها على بعض ، ويدلى برأيه فيها ،

---

(١) فى أكثر من ثلاثين مجلدا ، يراجع عنها كتابى : الصفدى وآثاره فى الأدب والنقد ٢٦٣ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١٠ / ٦ .

ويرتّبها مبتدئا بالقرآن الكريم وعلومه ، ثم بالحديث الشريف ، والآثار المروية ، ثم العلوم الأدبية ، و اللغوية ، وأخيرا يعالج الموضوع فى مجال العلوم العقلية ، وبخاصة الطب والكِحَالة ، وما يتعلق بهما .

٣ – **الغاية من الكتاب** : ويسميها عادة « النتيجة » وهى الهدف من تأليف الكتاب والغرض منه ، وهى – غالبا – ما تخضع لنوع من الترتيب ، فمثلا :

* إذا كان الكتاب فى التراجم ؛ رتب الأعلام ألفبائيا .
* وإنْ كان موضوع الكتاب اختيارات شعرية ؛ رتبها بحسب القوافى .
* وإنْ كان يتناول مادة علمية ؛ رتبها على حروف المعجم ترتيبا ألفبائيا .

٤ – **الاستطراد** : وهو ظاهرة فاشية فى كتابات القدماء ، ويهدفون من ورائها إلى أمور كثيرة ، منها :

* الإدلال بغزارة العلم ، وسعة الاطلاع ، وخصب الثقافة ، وكثرة الرواية .
* إفادة الطلاب والدارسين فائدة جديدة ؛ وذلك بإبراز الترابط بين الفكرة وما يناظرها ، وتوجيه نظرهم إلى ما له تعلق بالموضوع ، أو يَمُتُّ إليه بسبب .
* الإفاضة فيما يؤنسهم من الطرائف ، وهو مايُعْرِف بالإحماض ، أو التفكه ؛ خوف الإملال ، فالمعلم إذا أثقل الدرس على تلاميذه ، وأحب أَنْ يريحهم ، وأَنْ يجدِّد نشاطهم ؛ أَمَرَهُمْ بالأخذ فى ملح الكلام والحكايات .
* وزيادة على ذلك ، يهدف الصفدى من الاستطراد – بخاصة – إلى الإدلال بشيوخه ، ومكانته الاجتماعية ؛ أمَّا عن شيوخه فيروى ذكرياته معهم ، وأحاديثهم ، وطرائفهم ، وما يكون بينهم من مداعبات ، ومناقشات ، وأمَّا عن مكانته الاجتماعية ؛ فيتحدث عن قصور الأمراء ، والسلاطين ، وما يجرى فيها من أحداث ، ومناسبات ، شهدها بنفسه ، أو حكيت له ، أو كان طرفا فيها ، ومن كان له مثل شيوخه ، ومكانته الاجتماعية يَحِقُّ له الإدلال بهما ، والتحدث بنعمة الله عليه .

منهج الصفدى فى هذا الكتاب

لا يختلف هذا الكتاب عن غيره من مؤلفات الصفدى ، فهو يبدأ بخطبة الكتاب ، فالمقدمات ، ثم النتيجة ، وإذا كانت خطة الكتاب مفقودة - ضمن صفحات التمهيد - فإن المتبقى منه يدل على منهج المؤلف ، كما عوَّدَنا فى كتاباته ، وكما هو مُفَصَّل فى كتابه « لذة السمع فى صفة الدمع » والذى يعتبر الجزء الأول من هذه الدراسة [1] .

التمهيد : بقى من التمهيد ست أوراق ، وهى :

١ - بداءة خطبة الكتاب على ظهر ورقة الغلاف من مخطوطة برلين .

٢ - خمس ورقات من ٦٢ - ٦٣ فى مخطوطة المكتبة العمومية باستانبول .

وقد سبقت الإشارة إلى اضطراب الترتيب فى هذه المخطوطة ومما يؤكد أَنَّ الأوراق الخمس من التمهيد المعانى التى اشتملت عليها كما سيتضح ذلك من الدراسة والتى لا مكان لها فى الكتاب إلا فى التمهيد .

المقدمات : وهى فى واحد وعشرين فصلا ، مرتبة كالآتى :

الفصل الأول : العين فى القرآن الكريم .

الفصل الثانى : العين فى الحديث الشريف .

الفصل الثالث : الإصابة بالعين .

الفصل الرابع : دية العين .

الفصل الخامس : صلاة من كان فى عينه ألم .

الفصل السادس : جملة المشترك فى العين لغة .

الفصل السابع : العين لفظ مشترك .

الفصل الثامن : تثنية المشترك وجمعه .

---

(١) يراجع : لذة السمع فى صفة الدمع « مقدمة التحقيق » ٨٧ - ١٣٤ .

الفصل التاسع : فى حلى العين

الفصل العاشر : محاسن العين .

الفصل الحادى عشر : معايب العين .

الفصل الثانى عشر : عوارض العين .

الفصل الثالث عشر : كيفية النظر وهيئته .

الفصل الرابع عشر : أجزاء العين .

الفصل الخامس عشر : تشريح العين .

الفصل السادس عشر : طبع العين ومزاجها .

الفصل السابع عشر : سبب كَحَل العين .

الفصل الثامن عشر : سبب زرقة العين .

الفصل التاسع عشر : طبقات العين .

الفصل العشرون : عضل العين .

الفصل الواحد والعشرون : العصبين المجوفين .

وقبل تناول هذه الفصول بالدراسة أشير إلى أمور هامة ، منها :

١ - الفصول غير مرقمة فى الأصل ، وأنا الذى قمت بترقيمها .

٢ - عناوين الفصول كلها من وضع المؤلف ما عدا فصلين :

الفصل الأول : بداءته مفقودة .

الفصل الثانى : اكتفى المؤلف بقوله فى أوله « فصل » ، وقد وضعت عنوانا للفصلين ؛ ليكونا كبقية الفصول .

٣ - ترتيب الفصول تركتها كما رتبها المؤلف ، وهى توائم منهج الصفدى فى ترتيبه لكتابه « لذة السمع فى صفة الدمع » .

٤ - جرت عادة الصفدى فى ترتيب الفصول - كغيره من المؤلفين القدماء - على تقديم العلوم النقلية أولا ، ومن بعدها العلوم اللغوية والأدبية ، وتأخير العلوم العقلية ؛ ولعل هذا المبدأ أثر من آثار الثقافة اليونانية فى الفكر العربى .

٥ - فى آخر فصل ، وفى معرض حديثه عن شكل العصبين المجوفين ، قال :

« قلت : وشكله ، هناك ، سوف يرد تشكيله فى تشكيل العين » والعبارة توهم أنه سيعقد فصلا لتشكيل العين ، ويبين فيه تشكيل العصبين المجوفين ، ولكن ليس فى الأوراق التى بين أيدينا فصل بهذا العنوان ، ولا يمكن القطع بضياع هذه الأوراق ، أو كانت هذه الإشارة وعدًا منه لم يف به ، أو سها عنه .

التمهيـــــد

بدأ المؤلف خطبة الكتاب بحمد الله ، والصلاة على رسول الله الذى كان أدعج العين ، أهدب الأشفار ، ظاهر الوضاءة ، يتلألأ وجهه تلألؤ الأقمار ، واسع الجبهة ، أزج الحاجبين كأنهما ليل دامس ، والبلج بينهما كأنه قطعة من نهار .

وصفات الرسول الكريم ﷺ التى ذكرها الصفدى هى مِمَّا وردت بها الآثار ، وجاءت فى الأحاديث المروية ، وكتب السيرة ، وأشهر الآثار المروية فى صفات رسول الله ﷺ ثلاثة :

١ - الأثر المروى عن جده عبد المطلب ، عندما سافر إلى اليمن ، وطلبه سيف ابن ذى يزن (١) وسأله عن حفيده ؛ فوصفه له (٢) .

٢ - حديث أم معبد ، عندما مرَّ رسول الله ﷺ بخيمتها ، مهاجره إلى يثرب (٣) ، وأم معبد هى عاتكة بنت خالد بن خُليف ، الخزاعيَّة .

٣ - حديث هند بن أبى هالة ، الأُسَيْدِى ، التميمى ، الصحابى الجليل ، وكان من الوصَّافين ، أمُّه خديجة بنت خويلد ، أُمُّ المؤمنين - رضى الله عنها

---

(١) ابن ذى يزن : (نحو ١١٠ - ٥٠ ق . هـ) من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم ، انظر مصادر ترجمته فى الأعلام ٣ / ١٤٩ .

(٢) رواه ابن ظفر المكى فى كتابه « أنباء نجباء الأبناء » ص ١٤ ، ٣٧ .

(٣) عن حديث أم معبد ، انظر : ذيل المذيل ، للطبرى ٥٧٨ - ٥٨١ ، والمعجم الكبير ، للطبرانى ٤ / ٥٧ ، والاستيعاب ، لابن عبد البر ٤ / ١٩٥٩ ، وتهذيب تاريخ دمشق ، لابن عساكر ٤ / ١٢٠ ، وتهذيب الكمال ، للمزى ١ / ٢٢١ ، وزاد المعاد ، لابن قيم الجوزية ٢ / ١٤٠ ، ومجمع الزوائد ، للهيثمى ٨ / ٢٧٩ ، والنهاية ، لابن الأثير فى المواد : عطف ، غطف ، وطف . وعن سيرتها ، انظر : تاريخ الإسلام للذهبى « السيرة النبوية » ص ٤٣٧ .

- قَاتَلَ مع على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - واستشهد يوم الجمل ، سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦م [١] وهذا الحديث يرويه الصفدى بالإجازة عن الحافظ المِزِّى [٢] بسند متصل [٣] إلى الإمام الترمذى [٤] .

وبقدر اتفاق هذه الآثار فى صفات رسول الله ﷺ ، وإنْ اختلفت ألفاظ الرواة ؛ بقدر اختلافها فى وصف حاجبيه ، فأم معبد تصفهما بالقرن ، بينما ينص هند بن أبى هالة على أنهما « سوابغ فى غير قرن » .

ويبدو أن الصفدى - هنا - يأخذ برأى ابن الأثير فى ترجيح حديث هند .

وقد حاول ابن ظفر [٥] التوفيق بين الحديثين ، فقال : « إنْ صَحّ هذا فلعله قَرَنٌ خفى » [٦] ، وقد درج كثير من العلماء فى العصور الوسطى ، على ذكر صفات الرسول ﷺ فى خطبة كتبهم ، كما وردت فى الآثار المروية [٧] .

---

(١) يراجع حديثه فى : طبقات ابن سعد ١ / ٤٢٢ ، والأخبار الموفقيات ٣٥٤ وتاريخ الطبرى ٣ / ١٧٩ ، وأنساب الأشراف ١ / ٣٨٦ ، والشمائل المحمدية ٢٢ ، والفائق فى غريب الحديث ١ / ٦٤٢ ، والبصائر والذخائر ٣ / ١٣٤ ، ومكارم الأخلاق ٥ ، ١٠ ونثر الدر ١ / ٤١٦ ، وتهذيب الكمال ١ / ٢٢١ ، وعيون الأثر ٢ / ٣٢٣ وشمائل الرسول ٥٠ ، وكنز العمال ٧ / ١٦٤ ، والممتع فى علم الشعر وعمله ١٢٦ .

(٢) أبو الحجاج ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، جمال الدين القضاعى ، الكلبى ، المِزِّى (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) محدث الديار الشامية فى عصره ، له تهذيب الكمال ، انظر : الوافى بالوفيات ٢٩ / ٢٤٢ ، والأعلام ٨ / ٢٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٣٠٨ .

(٣) ذكر الصفدى سلسلة الإسناد فى كتابه الغيث المسجم ٢ / ١٨٤ .

(٤) أبو عيسى ، محمد بن عيسى بن سَوْرة ، الإمام الترمذى (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) من أئمة علماء الحديث ، كان يضرب به المثل فى الحفظ ، انظر : سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٧٠ ، وطبقات الحفاظ ، للسيوطى ٢٦٣ ، وتاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ق / ٢ ص ٢٠٠، والأعلام ٦ / ٣٢٢ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٦٦ .

(٥) أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله ، حجة الدين ، ابن ظَفَر ، الصقلى ، المكى (٤٩٧ - ٥٦٥هـ) أديب ، رحَّالة ، مفسر ، ولد فى صقلية ، ونشأ فى مكة ، وكانت وفاته فى حماة ، انظر : الأعلام ٦ / ٢٣٠ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢٤٨ .

(٦) أنباء نجباء الأبناء ٣٧ ، و تحفة العروس ٩٧ .

(٧) انظر - مثلا - خطبة تهذيب الكمال ، للمزى ، وخطبة الدر الثمين - الجزء الثانى من كنز الدرر - للدويدارى ، وغيرهما .

بعد ذلك ، ذكر الصفدى سبب تأليف الكتاب ؛ فإنه رأى العرب أجادت التغزل فى العيون ، وأحسنت فى أوصافها ، وتشبيهاتها ، فجمع هذه الاختيارات الشعرية ؛ لتكون متعة للقارئ ، وقَدَّم لها بالمقدمات - كعادته - فى العلوم المختلفة العقلية والنقلية ، وعَرَضَ أمثلة من ذلك التَّغَزُّل ، تَضَمَّنَتْ المعانى الآتية :

١ - للعيون لغة يتخاطب بها المحبون .

٢ - العيون تدير على العشاق كئوس الخمر ، وهوكثير فى كلامهم .

٣ - تشبيه العيون بعيون الغزلان والمها ، وهما من الحيوانات المحبوبة التى جرت عادة الشعراء بتشبيه النساء بها ، وهذا التشبيه قديم ، له جذوره فى الأدب الجاهلى .

٤ - تشبيه العيون بالنرجس ، ولم يعرف الجاهليون هذا التشبيه - كما يقول - فإنَّه من كلام المولدين والمتأخرين ؛ فقد رأى الشعراء أَنَّ من تقدَّمهم شبَّه الخدود بالورد ، والثغر بالأقحوان ، والعذار بالريحان ، وبالبنفسج ، وبالآس ؛ فشبهوا العيون بالنرجس ، وأوَّل من عُرِف عنه تشبيه العيون بالنرجس هو كسرى ملك الفرس ، « فقد كان مُسْتَهْتَرًا به » [1] .

ويبدو أنَّ النرجس اسم أُطلق على نوعين مختلفين من الأزهار فقد ذكر الشريشى [2] أنَّه إذا كان تشبيه العيون بالنرجس يقصد به الفتور ؛ فإن هذا التشبيه - عند المشارقة - أَبْين ؛ لتعلقهم بالصورة ، فالنرجس زهر أبيض مستدير فى وسطه نقطة سوداء ، وعند المغاربة ، فالتشبيه بنرجسهم أَدْوَن - كما يقول - لتعلقهم بالمعنى ؛ وهو مع ذلك متمكن فى باب التشبيه [3] ، ومفهوم هذه العبارة أنَّ النرجس

---

(١) زهر الآداب ٢ / ٥٦٥ .

ومستهْتَرًا به : مولعا به ، اللسان « هتر » ٥ / ٢٥٠ .

(٢) أبو العباس ، أحمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى ، القيسى ، الشريشى (٥٥٧ - ٦١٩هـ) عالم أندلسى ، له مشاركة فى الأدب والأخبار ، له شرح المقامات ، انظر : الوافى بالوفيات ٧ / ١٥٨ ، والأعلام ١ / ١٦٤ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٣٠٤ .

(٣) شرح المقامات ١ / ١٠٨ .

– عندهم – يطلق على نوع من الزهور ، غير النوع الذى يسميه المشارقة نرجسا ، وقد يكون بينهما تشابه ، أو هما من فصيلة نباتية واحدة (١) .

٥ – خلق الله العيون فتنة للناظرين ، تخلب الألباب بسحرها ، وتدهش العقول بجمالها ؛ فيعجز الشعراء عن وصفها .

٦ – ادعاء ضعفها ، وسقمها ، وفرع الشعراء على هذا الادعاء : العلة ، والفتور ، والكسل ، والتخنث ، وما فى معناها ، وأحيانا يدعى الشعراء أنّها صحيحة سقيمة ؛ فتجمع بين النقيضين .

هذه هى المعانى التى اشتمل عليها التمهيد .



---

(١) في معجم مصطلحات العلوم الزراعية ، للشهابى : نَرْجِس ، نِرْجِس ، قَهْد ، عَبْهَر NARCISSUS ؛ النرجس : من الفارسية ، وهو أنواع كثيرة ، منها نرجس الطاقات – أو نرجس إسطنبول – وهو المعروف فى مصر باسم « النرجس البلدى » ، ومنها نرجس الشعراء : وهو أزهار فوّاحة بيضاء ذات حواش متموجة حمراء . انظر المعجم ٤٨٥ .

العين فى القرآن الكريم

هذا الفصل سقطت بعض أوراقه ، والجزء الموجود منه يبدأ بفقرة منقولة من تفسير« الجامع لأحكام القرآن الكريم » ، للإمام القرطبى [١] من تفسير قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٢] ولفظ « العين » - هنا - بمعني الحِفْظ والكِلاَءَة وخروج اللفظ عن ظاهر معناه أمْرٌ مُؤَكَّد - فى رأى الصفدى - والتأويل ضرورة حتمية ، فى بعض الكلمات القرآنية ، وبخاصة ما كان منها وصفا لله تعالى ، وأَيَّدَ رأيه بنقل من « التفسير الكبير » فى معنى قوله تعالى : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [٣] ويختم هذا الفصل بذكر خمسة عشر موضعا جاءت فيها كلمة « العين » بمعنى « الجارحة » .

ومن الراجح أن يكون الصفدى قد استوفى معانى كلمة « العين » فى القرآن الكريم ؛ وذلك للأسباب الآتية :

الأول : أَنَّ القرآن الكريم لم يستعمل هذا اللفظ إلا فى عدد قليل جدًّا من المعانى .

والثانى : أَنَّ هذه المعانى القليلة قد عُرِفت منذ وقت مبكر ؛ فالدراسات القرآنية نشأت مع بُدَاءَة النهضة العربية والإسلامية ، فى مطلع القرن الثانى الهجرى ؛ فمن المعروف أن علوم القرآن الكريم قد تحددت موضوعات دراستها ، ووضحت مناهج البحث فيها وتطورت أساليبها [٤] ، وبرز من بينها العلم الذى عرف باسم

(١) أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبى بكر ، الأنصارى ، الخزرجى ، القرطبى الأندلسى (ت ٦٧١ هـ) عالم من كبار المفسرين ، له الجامع لأحكام القرآن الكريم ، انظر : الوافى بالوفيات ١٢٢/٢ ، والمقفى الكبير ٥ / ١٤٧ ، وغاية النهاية ٢ / ٨٠ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٥ / ٥١٦ ، والأعلام ٥ / ٣٢٢ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٣٩ .

(٢) سورة القمر ٥٤ : ١٤ .

(٣) سورة هود ١١ : ٣٧ .

(٤) عدها الزركشى ٤٧ علما ، راجع « البرهان فى علوم القرآن » ١ / ٩ ، وذهب السيوطى إلى أنها ٨٠ علما ، وصنف فيها كتابه « الإتقان فى علوم القرآن » .

علم « الوجوه والنظائر » [1]. ولعل أول كتاب وصل إلينا فى هذا العلم هو كتاب « الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم » [2] ؛ لمقاتل بن سليمان البلخى [3] .

ودخل ميدان التأليف فى هذا العلم عدد كبير من علماء اللغة ، والغريب ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والبلاغة ، والأدب ، والتاريخ ، وشُهِر منهم الراغب الأصفهانى [4] ، صاحب كتاب « المفردات فى غريب القرآن » [5] .

وذاع بين الناس كتاب « نزهة الأعين النواظر» [6] لابن الجوزى [7] ، ومن

---

(١) الوجوه : اللفظ المشترك الذى يستعمل فى عدة معان ، كلفظ « العين » ، و « الأُمَّة » ، وغيرهما .

والنظائر : كالألفاظ المتواطئة .

وقيل : النظائر فى اللفظ ، والوجوه فى المعانى ، وهو رأى ضعيف ؛ لأنهم يذكرون فى تلك الكتب اللفظ الذى معناه واحد فى مواضع كثيرة ، راجع : البرهان ١ / ١٠٢ ، والإتقان ١ / ١٤٢ ، وكشف الظنون ٢ / ٢٠٠١ .

(٢) حققه الدكتور عبد الله محمود شحاتة ، وطبع فى القاهرة ، سنة ١٩٧٥ .

(٣) أبو الحسن ، مقاتل بن سليمان بن بشير ، الأزدى بالولاء ، البلخى (ت ١٥٠ هـ) وهو مفسر محدِّث ، انتقل إلى البصرة ، وحَدَّث بها ، وببغداد .

انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [١٤١ - ١٦٠] ٦٣٩ ، وبالحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٧ / ٢٨١ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٣١٧ .

(٤) أبو القاسم ، الحسين بن محمد ، الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ) وهو أديب ، مفسر ، عالم ، اشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالى ، و يقول عنه الصفدى : له تصانيف تدل على تحقيقه ، وسعة دائرته فى العلوم ، وتمكنه منها انظر : الوافى بالوفيات ١٣ / ٤٥ ، وفى الحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٢ / ٢٥٥ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٥٩ .

(٥) طبع فى القاهرة بالمطبعة الميمنية ، سنة ١٣٢٤ هـ على هامش النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، وحققه محمد سيد كيلانى ، وطبع مرارا فى القاهرة ، وبيروت .

(٦) طبع فى بيروت ، بتحقيق محمد عبد الكريم ، وأعيد طبعه .

(٧) أبو الفرج ، عبد الرحمن بن على بن محمد ، القرشى ، البغدادى ، ابن الجوزى (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) وهو مؤرخ ، محدث ، واعظ ، كثير التصانيف مولده ووفاته ببغداد ، ذكر له الصفدى عددا كبيرا من المؤلفات ، منها تسعة كتب فى علوم القرآن ، من بينها « الوجوه والنظائر » ، انظر : التكملة لوفيات النقلة ١ / ٣٩٤ ، والعبر ٤ / ٢٩٧ ، والوافى بالوفيات ١٨ / ١٨٦ ، والأعلام ٣ / ٣١٦ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٥٧ .

الراجح أن يكون الصفدى قد اطلع على بعضها ، بحكم طبيعة عمله فى الديوان ، وما يلزم وظيفته فيه من ثقافة واسعة ، وعلم غزير .

يرى ابن الجوزى أن المفسرين ذكروا للعين خمسة أوجه ، وهى [1] :

١ - **العين الباصرة** : ومنها قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [3] .

٢ - **منبع الماء الجارى** : ومنه قوله تعالى : ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [4] .

٣ - **الحفظ** : ومنه قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [5] .

٤ - **المنظر** : ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ [6] .

٥ - **القلب** : ومنه قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ [7] .

ويقول : وزاد بعضهم وجها سادسا ، فقال : والعين : النهر ؛ ومنه قوله تعالى فى « هل أتى » : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [8] .

ويضيف الراغب الأصفهانى معانى أخر ، هى [9] :

١ - « **إثارة عين الماء** » : تقول : عِنْت البئر : أثرت عين مائها ، قال تعالى : ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [10] ، وقوله تعالى : ﴿ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [11] ، وقيل : الميم فيه أصليه ؛ وإنما هو من مَعَنْت .

---

(١) انظر : نزهة الأعين النواظر ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٩٥ .

(٣) سورة البلد ٩٠ : ٨ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ٦٠ .

(٥) سورة القمر ٥٤ : ١٤ .

(٦) سورة الأنبياء ٢١ : ٦١ .

(٧) سورة الكهف ١٨ : ١٠١ ، وذكر أبو حيان فى البحر المحيط ٦ / ١٦٥ : « الأعين - هنا - البصائر ، لا الجوارح » .

(٨) سورة الإنسان ٧٦ : ٦ .

(٩) انظر : المفردات فى غريب القرآن ٣٥٥ .

(١٠) سورة المؤمنون ٢٣ : ٥٠ .

(١١) سورة الملك ٦٧ : ٣٠ .

٢ - **ويقال لبقر الوحش** : « أَعْيَن » ، و « عيناء » ؛ لحُسْن عينه وجمعه : « عِين » ، وبها شبه النساء ، قال تعالى : ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ (١) ، ومنه : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ (٢) .

وذكر الفيروزابادى (٣) أَنَّ « العين » وردت فى القرآن العزيز ، وفى كلام العرب لمعان كثيرة ، تنيف على خمسين معنى ، المذكور منها فى القرآن الكريم سبعة عشر معنى (٤) ، وهذه المعانى هى :

١ - **بمعنى النظر** : كقوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ (٧) أى : بمنظر منهم .

٢ - **بمعنى الحفظ والرعاية** : كقوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (٩) .

٣ - **بمعنى عين النبى ﷺ خِلْقة** : كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ (١٠) .

٤ - **بمعنى عين الإنسان عامة** : كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ (١١) .

---

(١) سورة الصافات ٣٧ : ٤٨ . (٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٢ .

(٣) أبو الطاهر ، محمد بن يعقوب بن محمد ، مجد الدين ، الشيرازى ، الفيروزابادى ، الشافعى (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) لغوى ، فقيه ، أديب ، تولى قضاء اليمن كله ، وتوفى بزبيد ، انظر : تاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ق / ٧ ص ١٠٣ ، والأعلام ٧ / ١٤٦ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١١٨ .

(٤) انظر : بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادى ٤ / ٤ وقال أولا : إنَّ المعانى أحد عشر معنى ، ولكنه فصّلها بعد ذلك سبعة عشر معنى وقد ذكر الزبيدى - أيضا - عدتها عنه سبعة عشر، انظر : التاج « عين » ٩ / ٢٨٧ .

(٥) سورة طه ٢٠ : ٣٩ .

(٦) سورة هود ١١ : ٣٧ .

(٧) سورة الأنبياء ٢١ : ٦١ .

(٨) سورة القمر ٥٤ : ١٤ .

(٩) سورة الطور ٥٢ : ٤٨ .

(١٠) سورة طه ٢٠- ١٣١ .

(١١) سورة البلد ٩٠ : ٨ .

٥ – بمعنى عيون المؤمنين خاصة : كقوله تعالى : ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾ [١] .

٦ – بمعنى عيون الكفار خاصة : كقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ ﴾ [٣] .

٧ – بمعنى نهر بنى إسرائيل : وهو واحد من معجزات موسى – رضى الله عنه – ، كقوله تعالى : ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾ [٤] .

٨ – بمعنى النحاس الجارى : وهو من معجزات سليمان عليه السلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ ﴾ [٥] .

٩ – بمعنى مغرب الشمس : كقوله تعالى : ﴿ تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ ﴾ [٦] .

١٠ – بمعنى العين التى وعد بها الكفار فى جهنم : كقوله تعالى : ﴿ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ [٧] .

١١ – بمعنى العين الجارية التى وُعِد بها المتقون : كقوله تعالى : ﴿فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ﴾ [٨] ، وقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴾ [٩] .

١٢ – بمعنى العين الموعود بها أصحاب اليمين : كقوله تعالى : ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [١٠] .

١٣ – بمعنى العين الموعود بها السابقون : كقوله تعالى : ﴿ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴾ [١١] .

١٤ – بمعنى العين الموعود بها الأبرار والصالحون وأهل الخصوص : كقوله تعالى : ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [١٢] .

---

(١) سورة المائدة ٥ : ٨٣ .
(٢) سورة الكهف ١٨ : ١٠١ .
(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٩٥ .
(٤) سورة البقرة ٢ : ٦٠ .
(٥) سورة سبأ ٣٤ : ١٢ .
(٦) سورة الكهف : ١٨ : ٨٦ .
(٧) سورة الغاشية ٨٨ : ٥ .
(٨) سورة الغاشية ٨٨ : ١٢ .
(٩) سورة الرحمن ٥٥ : ٥٠ .
(١٠) سورة الرحمن ٥٥ : ٦٦ .
(١١) سورة الإنسان ٧٦ : ١٨ .
(١٢) سورة الإنسان ٧٦ : ٦ .

١٥ - **بمعنى العين الموعود بها المقربون** : كقوله تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (١) .

١٦ - **بمعنى أعين الجناة في القصاص** : **كقوله تعالى** : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ (٢) .

١٧ - **بمعنى العين الضروري** : كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ (٣) .

وهذه المعاني التي ذكرهاالفيروزبادي يمكن ردها إلى معان قليلة ؛ بل هي أقلُّ ، بكثير ، من المعاني التي سبق أَنْ ذكرها كل من الراغب الأصفهاني ، وابن الجوزي ، بالرغم من عدها سبعة عشر ، ويظهر في عَدِّه الرغبة في التكثير ؛ وكأنَّما شقَّ عليه أَنْ لا يجد في القرآن العزيز إلاّ هذا العدد القليل من معاني العين التي تنيف على الخمسين في رأيه ، وقد تنبَّه الزبيدي (٤) إلى هذه الملاحظة من قبل ، فقال : « وللنظر مجال المناقشة في بعض ما ذكره » (٥) .

ويمكن أَنْ نورد عليه ما يأتي :

١ - العين الباصرة عين واحدة ، فلا فرق في أنْ تكون عين النبي ﷺ أو عين غيره من الناس ، ولا فرق في أنْ تكون هذه العين عين مؤمن ، أو عين كافر ، ولا فرق في أن تكون عين جانٍ أو عين مجنيٍّ عليه ، فلِمَ هذا التكثير الذي لامبرر له ؟ .

٢ - لا أرى فَرْقًا بين المتقين ، وأصحاب اليمين ، والسابقين ، والأبرار ، وأهل الخصوص ، والمقربين ؛ فهم كلُّهم في الجنة ، ويشربون من نبع واحد ، وينص القرآن الكريم على ذلك في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة المطففين ٨٣ : ٢٨ . (٢) سورة المائدة ٥ : ٤٥ .

(٣) سورة التكاثر ١٠٢ : ٧ .

(٤) أبو الفيض ، محمد بن محمد ، الزبيدي ، المرتضى (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ) لغوي ، محدث ، مؤرخ ، انظر : تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ق / ٧ ص ٦١ و الأعلام ٧ / ٧٠ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٨٢ .

(٥) انظر : تاج العروس « عين » ٩ / ٢٨٧ . (٦) سورة الواقعة ٥٦ : ٨ - ١٢ .

٣ - لم يفرق بين النظر والمنظر فيما ذكره فى المعنى الأول ؛ والمعنيان مختلفان ، والغريب فى تقسيمه أنّه فرّق بين معانى العين مراعيا ما أضيفت كلمة العين إليه ؛ فعين المتقين غير عين المقربين ، وعين المؤمنين غير عين الكافرين ، فكيف لم يفرق بين ﴿ عَلَى عَيْنِى ﴾ ، ﴿ وَبِأَعْيُنِنَا ﴾ والضمير فيهما لله سبحانه وتعالى . و ﴿ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ ؟ [1] .

فلو جاريناه فى تقسيمه لكان من معانى كلمة العين « عين الله » خاصة ؛ ويبدو أنّه تجنّب هذا التعبير مخافة شبهة « التشبيه والتجسيم » ، بالرغم من أنّ اللغة درجت على إضافة العين لله سبحانه وتعالى من مثل قولهم « عين الله ترعاك » .

وفى قول عمر - رضى الله عنه - : « ضَرَبَكَ بِحَقٍّ ، أَصَابَتْهُ عَيْنٌ مِنْ عُيُونِ الله » [2] .

٤ - ذهب فريق من المفسرين إلى أنّ معنى العين فى قوله تعالى : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ ، أى : « بحفظنا إيّاك » أو « بحراستنا » والمعنى واحد فيهما [3] ؛ وعلى هذا التأويل فلا فرق بين المعنى فى الآيتين المذكورتين و المعنى فى قوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، وقوله : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، ويكون تقسيم الآيات - فى رأيه - على معنيين مختلفين تقسيما لا مبرر له .

ويبدو أنّ مفردات الراغب كانت المصدر الرئيس الذى استند إليه مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، فى بيان معانى كلمة « العين » فى القرآن الكريم ، فى « معجم ألفاظ القرآن الكريم » الصادر عنه ، فقد نقل عنه عباراته ، بما فى ذلك الإشارة إلى أصل المعنى ، وتتوحد الكلمات فيهما ، مثال ذلك الجملة الآتية :

« وهو « عضو البصر» .. ، ويستعار العين لمعان .. ، هى موجودة فى الجارحة بنظرات مختلفة .. .. » [4] .

---

(١) انظر : « عين » فى تهذيب اللغة ٢٠٤ ، واللسان ١٣ / ٣٠٩ .

(٢) الحديث رواه المنذرى عن أحمد بن يحيى ، انظر : البصائر والذخائر ٣ / ٦٩ ، واللسان « عين » ٣٠٩ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٣٠ .

(٤) انظر : المفردات ٣٥٥ ، وقارن بمعجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ / ٢٦٦ .

وهذا هو الرأى الغالب بين العلماء ، والذى تؤيده الدراسات اللغوية الحديثة ؛ فالمعروف فى تطور الدلالات الانتقال - تبعا للتدرج - من المحسوس إلى المعنوى [١] .

وذهب السهيلى [٢] إلى أن العيون بمعنى الجارحة مجاز ؛ لأنها موضع العِيَان ، وكانت فى أصل وضع اللغة صفة بمعنى « الرؤية والإبصار » ، لا جارحة [٣] ، واستدل لرأيه بقولهم : « قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا » أى : أبصر بهم [٤] ، ولا دليل فى الحديث الشريف على أصل المعنى الذى ذهب إليه .

وأضاف معجم ألفاظ القرآن الكريم ثلاثة معان أخرى لكلمة « العين » ، وهى [٥] :

١ - الغبطة والسرور : ومنه قوله تعالى : ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ [٦] .

٢ - من العيون ما يسيل بغير الماء : ومنه قوله تعالى : ﴿عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [٧] .

٣ - التأكيد : كقوله تعالى : ﴿ عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ [٨] .

السبب الثالث :

نعلم عن الصفدى أنَّه قرأ التفسير وعلوم القرآن على ابن تيمية [٩] ، وروى البحر

---

(١) انظر : دلالة الألفاظ ، د / إبراهيم أنيس ١٦١ ، والصورة الأدبية ، د / مصطفى ناصف ١٢٨ ، ومقدمة لذة السمع ٧٩ .

(٢) أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله ، الخثعمى ، السهيلى (٥٠٨ - ٥٨١ هـ) عالم باللغة ، حافظ ، مؤرخ ، مولده فى مالقة ، ووفاته فى مراكش له الروض الأنف . انظر : الوافى بالوفيات ١٨ / ١٧٠ ، والأعلام ٣ / ٣١٣ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٤٧ .

(٣) انظر : الروض الأنف ٢ / ٩٢ .

(٤) هذا حديث فى مسند أحمد ١ / ٢٠٢ ، ٥ / ٢٩١ .

(٥) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ / ٢٦٦ .

(٦) سورة طه ٢٠ : ٤٠ .

(٧) سورة سبأ ٣٤ : ١٢ ، والقطر : النحاس المذاب ، وقيل : الحديد ، أو الرصاص ، راجع : البحر المحيط ٦ / ١٥٧ .

(٨) سورة التكاثر ١٠٢ : ٧ .

(٩) انظر : الوافى بالوفيات ٧ / ١٥ .

المحيط ، عن أبي حيان [١] ، واستعان في هذا الفصل بثلاثة من أشهر كتب التفسير ، وهي : الجامع لأحكام القرآن الكريم ، والتفسير الكبير ، وزاد المعاد ، وكل هذه الكتب بيّنت المعاني التي استعملها القرآن الكريم لكلمة « العين » ، وأظن أنّ المؤلف قد أشار إليها في هذا الفصل - وإنْ لم يصل إلينا كاملا - بناء على الأسباب الثلاثة التي ذكرتها .

لم يكن الصفدي مجرد ناقل عن الكتب ، فحسب ؛ بل كان ذا رأي مستقل ، وذوق ناقد ، فقد كثر جدل النقاد في « المجاز » ما بين منكر له ، ومكثر منه ، ومقتصد فيه [٢] ، واتخذ الصفدي موقفا متميزا من هذه القضية ، في القرآن الكريم ، فانحاز إلى جانب المعتدلين ، والمقتصدين ؛ فإذا كان التأويل ضرورة حتمية - كما يقول - وكان خروج اللفظ عن ظاهر معناه أمرًا مؤكدًا ؛ فقد جعل ذلك في أضيق الحدود ؛ والدليل على ذلك أنّه استشهد بآيات جاءت فيها كلمة « العين » بمعنى الجارحة ؛ في الوقت الذي يراها فيه غيره مجازا ، فمن ذلك :

ذهب سلطان العلماء عزالدين بن عبد السلام [٣] إلى أنّ التعبير بالعين عن الإدراك له مثالان :

المثال الأول : قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ﴾ [٤] ، أي : يبصرون بإدراكهما ، أو بنورهما .

المثال الثاني : قوله : « رأته عيناي » ؛ والمعنى - كما يقول - إنما رآه ببصر عينيه [٥] .

---

(١) انظر : الوافي بالوفيات ٥ / ٢٦٧ .

(٢) راجع فلسفة المجاز ، د / لطفي عبد البديع ١ .

(٣) أبو محمد ، عبد العزيز بن عبد السلام ، عز الدين ، السلمي ، الدمشقي، الشافعي (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ) عالم بلغ رتبة الاجتهاد ، تخرج به أئمة ، وله الفتاوى السديدة ، والمؤلفات الكثيرة ، انظر : الوافي بالوفيات ١٨ / ٥٢٠ ، والسلوك ١ / ٢ / ٤٧٦ ، وحسن المحاضرة ١ / ٣١٤ ، والأعلام ٤ / ٢١ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٢٤٩ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ١٩٥ .

(٥) انظر : مجاز القرآن ١ / ٢٨٢ .

وذكر ابن الجوزى فى قوله تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ (١) أنَّ العين - هنا - مجاز ، بمعنى المنظر .

وجاء فى معجم ألفاظ القرآن الكريم أن قول الله تعالى : ﴿ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ (٢) مجاز بمعنى : الغبطة والسرور .

والآيات الثلاث يراها الصفدى بمعنى الجارحة (٣) ، وأنها تعبير حقيقى لا مجاز فيه ، و ربما كان مصيبا فى رأيه .

ويختم الصفدى هذا الفصل بذكر خمسة عشر موضعا جاءت فيها العين بمعنى الجارحة ؛ ولعلّه يشير بذلك إلى أنَّ هذا المعنى هو الغالب فى استعمال القرآن الكريم للفظ « العين » .



---

(١) سورة الأنبياء ٢١ : ٦١ .

(٢) سورة طه ٢٠ : ٤٠ .

(٣) انظر : صرف العين ، مخطوطة برلين ٢ / ب .

سقطت من هذا الفصل بعض أوراقه - أيضا - ، وقد أشار المؤلف إلى مصادره ، وهى : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، والموطأ ، وسنن الترمذى ، وسنن أبى داود ، وأهمل - عَمْدًا - ذكر المنهاج للنووى [1] ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ، بالرغم من ثبوت النقل عنهما ، وفى الفقرات المنقولة من الكتابين المذكورين ، تتعدد أسماء الأعلام والمصادر ؛ فتوهم القارئ كثرة مصادر المؤلف ، ومراجعه ، فى الفقه والحديث ، فى غياب الإحالة الواجبة على المصدرين ، وهى حقيقة فى طريقة الصفدى ، ومنهجه ، تنبهت لها دوروتيا كرافولسكى فى دراستها لمصادر الجزء السابع عشر من كتاب الوافى بالوفيات ؛ إذ إنَّ قسما كبيرا من مراجع الصفدى فى كتاباته لا يمكن اعتبارها مصادر مباشرة [2] ، هذا مع العلم بأن التاريخ هو تخصصه الأكبر ، وميدان ثقافته الأوسع ، وقد تبين لى من خلال دراستى صدق هذه الملاحظة ، وقد أشرت - فى التحقيق - إلى ما نقله الصفدى من كتاب المنهاج على صحيح مسلم ، وكتاب المجموع شرح المهذب ، وهما للإمام النووى .

ونفترض هنا - كما افترضنا هناك - أنْ يكون المؤلف قد أحاط بمعانى« العين » فى الحديث الشريف ، أو فى القليل ذكر أكثر معانيه التى وردت فى مصادره ، مستندا إلى دراساته الواسعة فى الحديث ، ومصادره التى أشار إليها [3] .

وقد حاولت بيان معانى « العين » فى الحديث الشريف بالرجوع إلى أهم معاجمه ، وهى :

---

(١) أبو زكريا ، يحيى بن شرف بن مُرّى ، الحِزامى ، الحورانى (٦٣١ - ٦٧٦ هـ) شيخ الإسلام فى عصره ، علامة فى الفقه والحديث ، انظر : ذيل مرآة الزمان ٣ / ٢٨٣ ، وعيون التواريخ ٢١ / ١٦٠ ، وعقد الجمان ٢ / ١٩٤ ، وتاريخ ابن الفرات ٧ / ١٠٨ ، وعصر سلاطين المماليك ٣ / ١٩٦ ، والأعلام ٨ / ١٤٩ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٢٠٢ .

(٢) انظر خاتمة التحقيق فى : الوافى بالوفيات ١٧ / ٧١٠ .

(٣) راجع ثقافة الصفدى فى كتابى « الصفدى وآثاره فى الأدب والنقد » .

الفائق فى غريب الحديث ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ، والجامع الصغير ، وصحيح الجامع الصغير وزياداته ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف ، ومفاتيح كنوز السنة .

وتبين لى أنَّ معانى العين فى الحديث الشريف قسمان : قسم اسْتُعْمِل فيه اللفظ فى المعانى التى استعملها فيها القرآن الكريم وقسم انفرد به الحديث الشريف .

فمما جاء فى الحديث الشريف موافقا لما جاء به القرآن الكريم :

١ - العين الباصرة : ومنها قوله ﷺ : « عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِى سَبِيلِ اللهِ » (١) .

٢ - منبع الماء الجارى : ومنها قوله ﷺ : « عَيْنٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَانِ » (٢) .

٣ - المنظر : ومنه قول الحجاج للحسن البصرى : « لَعَيْنُك أَكْبَرُ مِنْ أَمَدِكَ » أى : شاهدك ، ومنظرك أكبر من سنك (٣) .

٤ - عين : جمع أعين ، وعيناء ، وهو يقال لبقر الوحش ؛ لحسن عينه ، وبه تشبه النساء ، ومنها قوله ﷺ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعًا لِلْحُورِ الْعِينِ » (٤) .

٥ - الغبطة والسرور : ومنه قول أبى هريرة للرسول ﷺ : « إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِى ، وَقَرَّتْ عَيْنِى » (٥) .

٦ - من العيون ما يسيل بغير الماء : ومنها قوله ﷺ فى حق شارب الخمر : « وَكَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ عَيْنِ خَبَالٍ ؛ قِيلَ : وَمَا عَيْنُ خَبَالٍ ؟ قَالَ : صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ » (٦) .

---

(١) الحديث عن أنس بن مالك فى تاريخ بغداد ٢ / ٣٦٠ ، والجامع الصغير ٢٠٨ ، وتراجع مصادره فى كتب الحديث الستة فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، لونسنك ٤ / ٤٥١ .

(٢) سنن أبى داود « أشربة » ٢٢ ، المعجم المفهرس ٤ / ٤٥١ .

(٣) الفائق فى غريب الحديث ١ / ٥٨ ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ٣ / ٣٣٣ ، ولسان العرب « عين » ١٣ / ٣٠٩ .

(٤) النهاية ٣ / ٣٣٣ .

(٥) مسند أحمد ٢ / ٣٢٣ .

(٦) نفسه ٢ / ١٨٩ .

٧ – التأكيد : ومنه قوله ﷺ : « أَوْهِ ، أَوْهِ ، عَيْنُ الرِّبَا » [١] .

ولما كان الحديث الشريف لغة الحياة اليومية للرسول ﷺ ولصحابته ؛ فقد اتسعت فيه معانى كلمة العين ، وتنوعت دلالاتها ، وانفرد بمعان للكلمة غير موجودة فى القرآن الكريم ، فمما انفرد به الحديث الشريف من المعانى :

١ – الجاسوس : ومن هذا المعنى قوله ﷺ : « أَنَّهُ بَعَثَ بَسْبَسَ عَيْنًا يَوْمَ بَدْرٍ » [٢] ، ومعه عَدِىّ بن أبي الزَّغْبَاء الأنصارى إلى العِيرَ .

وفي حديث الحديبية : « كَانَ اللهُ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » [٣] .

٢ – اسم لما كان عن يمين قبلة العراق : ومنه قوله ﷺ : « إِذَا نَشَأَتْ بَحْرِيَّةً ، ثُمَّ تَشَاءَمَتْ ؛ فَتِلْكَ عَيْنٌ غَدِيقَةٌ » [٤] .

٣ – خاصة من خواص الله ، أو ولى من أوليائه : ومنه قول عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – لرجل كان ينظر إلى حرم المسلمين ، فى الطواف فلطمه على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – : « ضَرَبَكَ بِحَقٍّ ، أَصَابَتْهُ عَيْنٌ مِنْ عُيُونِ اللهِ » [٥]

٤ – الإصابة بالعين : ومنه قوله ﷺ : « الْعَيْنُ حَقٌّ ، وِإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ ؛ فَاغْسِلُوا » [٦] .

٥ – المال الحاضر من النقد : ومنه قوله ﷺ : « وَلاَ ذَهَبًا عَيْنًا بوَرِقٍ دَيْنًا » [٧] .

٦ – النفيس من الأشياء : ومنه قوله ﷺ : « الرَّجُلُ أَحَقُّ بِعَيْنِ مَالِهِ » [٨] .

٧ – شعاع الشمس أو صيخدها : ومنه قوله ﷺ : « اسْتَقْبَلْتُ عَيْنَ الشَّمْسِ » [٩] .

---

(١) النهاية ٣ / ٣٣٣ ، وصحيح البخارى « وكالة » ١١ ، وانظر : المعجم المفهرس ٤ / ٤٥١ .

(٢) النهاية ٣ / ٣٣١ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى « المغازى » ١٠٤ .

(٣) نفسه ، وانظر : الدر النثير ٣ / ١٦٣ .

(٤) نفسهما .

(٥) النهاية ٣ / ٣٣٢ ، والدر النثير ٣ / ١٦٣ .

(٦) نفسهما .

(٧) مسند أحمد ٣ / ١٥ ، وانظر : المعجم المفهرس ٤ / ٤٥١ .

(٨) سنن النسائى « بيوع » ٩٦ ، وانظر : المعجم المفهرس .

(٩) صحيح البخارى « زكاة » ٤٧ ، وانظر : المعجم المفهرس .

٨ - النقرة فى الركبة : ومنه قوله ﷺ : « فَأَصَابَ عَيْنَ رُكْبَةِ عَامِرٍ ؛ فَمَاتَ مِنْهُ » (١) .

هذه هى معانى العين فى الحديث الشريف ، فأى هذه المعانى ورد فى الأوراق المتبقية لنا من المخطوطة ؟ .

إذا رجعنا إلى ما بين أيدينا من أوراق المخطوطة نجد المعانى الآتية :

* العين الباصرة ، وجاءت فى أكثر من حديث .

* خاصة من خواص الله ، وولى من أوليائه .

* منبع الماء الجارى .

* الإصابة بالعين ، فتكون النظرة مصدر أذى ، وسببا لإلحاق الضرر بالآخرين ؛ ولهذا وردت الأحاديث بجواز الرقية من العين ، ووجوب الاستحمام للمعيون .

* المنظر .

* نظرة العين بشهوة زنا ؛ والمؤمن مأمور بغض البصر .

* التجسس ، وهو واجب مباح على العدو ؛ لحماية الأنفس والأموال ، وهو محرم على المسلمين ؛ فلا يحل لمسلم أنْ يطّلع على أسرار أخيه دون إذْنٍ منه ، كما لا يحل له أنْ يكشف ستره ؛ فلو نظر إنسان إلى قوم بغير إذن منهم ؛ حل لهم فقء عينه ، ولا دية عليهم .

* العين مصدر سعادة للإنسان ؛ فهى أداة البصر ، والبصر نعمة من نعم الله التى أنعم بها على خلقه ، وأوجب عليهم شكره بها ، والرؤية تكون فى اليقظة ، والرؤيا تكون فى المنام ، والرؤيا الصادقة من علامات الإيمان القوى ، وهى - أيضا - من نعم الله ؛ فهو الذى يرسل ملك الرؤيا ؛ فَيُرِي المَرْءَ المَنَامَ ، ولا يحل للمسلم الكذب فى الرؤيا .

* للعين دمُوعٌ ، وقد سماها الرسول الكريم ﷺ (رحمـة) (٢) ؛ فهى تخفف آلام الإنسان ، وتمسح عنه الأحزان وتجدد منه العزم ، وتعينه على نوائب الدهر .

---

(١) صحيح البخارى « مغازى » ٣٨ ، وانظر : المعجم المفهرس .

(٢) صحيح البخارى « باب الجنائز » ٢٣ / ٤٤ / ج ٢ص ٨٤ وصحيح مسلم « كتاب الجنائز ، باب البكاء على الميت » ٣ / ٣٩ ، وسنن أبى داود ٣ / ٤٩٢ ، ومجمع الزوائد ٣ / ١٨ .

* العين زينة وجمال ، بهما تكون المحبة ، وتدوم العشرة وتطيب بهما الصحبة ، بين الزوجين ؛ لذلك أمر الرسول ﷺ الخاطب بضرورة أنْ ينظر إلى عين من يخطبها ، فإنْ أعجبته عيناها ، وسره جمالهما ، حَبَّبتْ إليه تلك العيون الجميلة الاقتران بمن تقدَّم لخطبتها .

* وكما تجلب العين المحبة ، وتديم حسن العشرة ؛ فهى - أيضا - تكشف العيوب ، وتظهر القبائح ، وقد أمرنا الرسول ﷺ أنْ نستشرف العين ، عند اختيار الأضحية ، فمن المعروف أنه لا يجوز التضحية بالعوراء ، أو العمياء .

* جَوَّزَ الرسول ﷺ مداواة العيون ، وعلاجها بالكحل أو الاستشفاء بماء الكمأة ، وقد داوى رسول الله ﷺ بعض أصحابه : فرد عين قتادة بن النعمان ، وقد أصيبت عينه يوم أحد ونَفَثَ فى عين فُوَيْك ، وعيناه مبيضتان ؛ فأبصر بهما .

* فقأ موسى - رضى الله عنه - عين ملك الموت ؛ وذلك بالكلام الغليظ الذى واجهه به .

* قد يعاقب الإنسان نفسه بفقء عينه ، تَقَرُّبًا إلى الله تعالى إذا سارعت إلى الخطيئة ؛ فيُكَافَأُ بالمغفرة ، والرضا .

هذه هى المعانى التى نجدها فى الأوراق المتبقية من المخطوطة ونلاحظ فى اختيار الصفدى للأحاديث أمورًا ، منها :

١ - بالرغم من وضعه عنوانا للفصل ، جاء فيه « وكذلك ورد لفظ العين فى الحديث فى أماكن » واستهله بسبعة أحاديث منقولة من صحيح البخارى ، عن زنا العين بالنظر ، والرؤيا فى المنام ، وبكاء الرسول عند فقد الأحباب ... ؛ إلا أنَّ أكثر الأحاديث وردت فى ثلاثة فصول بعده ، كلها من أحاديث الأحكام فى الفقه الإسلامى .

٢ - معظم الأحاديث التى ذكرها الصفدى لاتصلح استشهادا لمعانى كلمة « العين » ؛ بل هى تشير إلى آثار العين ، ووظائفها ، فى حياة الفرد والجماعة ؛ فقد تكون سببا لسعادته ، أو عقابه ، وإنما ذكر تلك الأحاديث لمجرد وجود كلمة « العين » بين مفرداتها ، ولا نكاد نميز لديه خطة واضحة للاختيار .

٣ - تنتهى مخطوطة برلين بانتهاء حديث عن ماء الكمأة ، وشفائه العين ،

وأخذ المؤلف فى حديث طبى طويل عن أنواع الكمأة ، وأوقات نضجها ، وطُرق الانتفاع بها ، وما تُحْدِثه من أضرار فى الجسم ، وكيفية التخفيف من أضرارها ، ومن الطريف أن تتطابق - إلى حد كبير - معلومات الصفدى عن الكمأة مع ما كشفته الدراسات العلمية الحديثة عن هذا النبات من حيث أماكن وجوده ، وطرق زراعته ، وجمعه ، وإنْ كانت أسسه الطبية تخالف تماما كل ما أثبتته الدراسات العلمية ، فقد كتب الدكتور محمد على أحمد (١) مقالا جعل عنوانه نص الحديث الكريم « الكمأة من المنّ » ، جاء فيه : « الترفاس ، والفجع ، والفجيجة ، والكمأ TRUFFLES هى مرادفات لأحد الفطريات الأسكية الكبيرة الحجم ، والتى تنمو تحت سطح الأرض ، بجوار جذور بعض أعشاب الصحراء ، مكوّنة معها نوعا من أنواع تبادل المنفعة ، يطلق عليه اسم « ميكروهيزا » (٢) لذلك لا يمكن زراعة الكمأ على بيئات صناعية .

وتتشابه فُطْريات الكمأ مع فُطْريات عيش الغراب MUSHROOM من ناحية كبر حجم الثمار ، وارتفاع قيمتها الطبية ، والغذائية إلا أنَّ الأخيرة تظهر ثمارها فوق سطح الأرض .

وأول من ذكر وجود الكمأ فى مصر هو هيننجز عام ١٨٩٥ م حيث شاهد بعض الثمار مدفونة فى رمال الساحل الشمالى ، بالقرب من الإسكندرية ، وينتشر فى الساحل الشمالى خاصة فى محافظة مرسى مطروح نوعان من الكمأ ، هما النوع الأبيض ، والنوع البنى ، ويتم التعرف على وجود ثمار الكمأ تحت سطح الأرض ، بعد سقوط الأمطار ، وكبر حجم الثمار ، حيث تتشقق الطبقة السطحية من الرمال فوق الدرنات ، فيقوم الأعراب بتقليب التربة ، والحصول على الثمار ، ثم بيعها ، وأحيانا يتم تدريب كلاب خاصة ، تتعرف على الرائحة المميزة الصادرة من الكمأ ، تحت سطح الرض ، فتحفر ، وتصل إلى الثمار ، ثم تُجْمَعُ وتباع .

وتشبه ثمار الكمأ درنات البطاطس فى الحجم ، ولكنها ذات قيمة غذائية

---

(١) أستاذ مساعد بكلية الزراعة جامعة عين شمس ، وحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة جوتنجن بألمانيا الغربية .

(٢) فى معجم الشهابى فى مصطلحات العلوم الزراعية MUTUALISM ص ٤٨١ .

عالية ، لها مكانة ممتازة كطعام فاخر ، في كثير من بلاد العالم ، حيث تحتوى على نسبة عالية جدا من البروتين الغنى بالأحماض الأمينية الأساسية ؛ لذلك تستخدم كبديل جيد للحوم ، مع احتوائها على كمية كبيرة من العناصر الهامة كالبوتاسيوم والفوسفور .

وثمار الكمأ سهلة الهضم ، غنية بالفيتامينات ، خاصة فيتامين C بينما محتواها من الدهون قليل جدا ؛ لذلك فهى غذاء بروتيني عالى القيمة الغذائية ، دون أن يسبب زيادة في الكوليسترول ، أو ضغط الدم » [1] .

٤ - باقي الفصل الذى خصصه الصفدى للحديث الشريف ، والفصول بعده ، إلى آخر الكتاب من مخطوطة المكتبة العمومية باستانبول ، وفيها أكثر ما أورده الصفدى من أحاديث .

٥ - لا ينسى المؤلف - كعادته - الاستطراد ، وعرض بضاعته العلمية والتاريخية ، بذكر بعض الحكايات والطرائف مما له ارتباط بالحسد ، وأثر العين في حياة الإنسان .



(١) جريدة الأهرام العدد ٣٨٤٨٠ ، الصادرة في يوم الأربعاء ١٥ / ٤ / ١٩٩٢ م ص ٩ ، وانظر معجم الشهابى ٧٥١.

العين فى الفقه الإسلامى

تناول الصفدى « العين » فى كتب الفقه الإسلامى ، فكتب ثلاثة فصول ، وجعل عناوينها : الإصابة بالعين ، ودية العين ، وصلاة من كان فى عينه ألم ، وهذا بيان لما جاء فيها .

الإصابة بالعين

روى الصفدى ثمانية أحاديث ، تدل على ثبوت أثر العين ، بقدرة الله تعالى ، فالعين حق ، ولو سَابَقَتِ القَدَرَ لسبقته ، وإنَّها لتقتل الإنسان ، وتدخله القبر ؛ بل إنها تكاد تَدُكُّ الجَبَل ، والأحاديث التى رويت فى هذا الفصل منقولة من كتب السنة الصحيحة ، وبخاصة الكتب الآتية :

الموطأ ، صحيح البخارى ، صحيح مسلم ، سنن الترمذى ، وسنن أبى داود .

وإذا اعتان إنسان شخصا ، يؤمر العائن بالوضوء ، ويحمل الماء الذى توضأ به ؛ فيغتسل به المعين ، بكيفية مخصوصة ، وَضَّحَها العلماء ؛ فيبرأ من أذى العين ، ويجبر العائن - إذا امتنع - على الوضوء ؛ إذا خشى على المعين الهلاك ، ولم يكن زوال الهلاك إلا بوضوء العائن ، وصفة وضوئه ، عند العلماء ، تختلف عن الوضوء للصلاة ، كما أنَّ اغتسال المعين يكون على هيئة خاصة تختلف عن الاغتسال من الجنابة ، وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ، ومعرفة وجهه ، وليس فى استطاعة العقل كشف أسرار الوحى ، والاطلاع على خفايا القدرة الإلهية ، وقد بيَّن الصفدى صفة الوضوء والغسل نقلا عن المَازَرِىِّ (١) ولكن بمقارنة روايته هنا بالرواية التى جاءت فى كتاب المازرى « المعلم بفوائد مسلم » (٢) تأكد مصدر النقل ، وتبيَّن لى أنَّ

---

(١) أبو عبد الله ، محمد بن على بن عمر ، التميمى ، المالكى ، المازرى (٤٥٣ - ٥٣٦ هـ) فقيه ، أديب ، حافظ ، مولده ، ووفاته بالمهدية ، له المعلم بفوائد مسلم . انظر : فهرس ابن عطية ١٣٨ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ١٠٤ ، والأعلام ٦ / ٢٧٧ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٣٢ .

(٢) المعلم بفوائد مسلم ، للمازرى ، حققه محمد الشاذلى النيفر ، وطبعته دار الغرب الإسلامى فى بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٢ .

الصفدى نقل النص من كتاب الإمام النووى « المنهاج فى شرح صحيح مسلم »[1] .

وأثر العين ثابت بالقرآن الكريم والحديث الشريف ؛ فقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى : ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾[2] قالوا : معنى الآية الكريمة « يعتانونك » ، وكان فى بنى أسد رجل ، يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئا ، ثم يرفع جانب خبائه ، فتمر به النَّعَم ، فيعتان بعضها ؛ فسأَلَ الكُفَّارُ هذا الرجل أنْ يصيب رسول الله ﷺ بالعين ؛ فعصم الله - سبحانه وتعالى - نبيه ، وأنزل هذه الآية ، وللمفسرين قول ثان فيها ، وهو : كانوا ينظرون إليه بالعداوة نظرا شديدا ، يكاد يزلقه من شدته[3] .

وينقل الصفدى أقوال العلماء عن سبب الإصابة بالعين ، أهو الإعجاب أم هى العداوة ؟ وقد يكون السبب الإعجاب من صفة ما فى الشخص بالرغم من كراهية بعض الناس له فى ذاته ، وشخصه ؛ فإنَّ الكفار كانوا يستحسنون من النبى ﷺ ما يتلوه عليهم من آيات القرآن الكريم ؛ لعلمهم بفصاحة ألفاظه ، وبلاغة معانيه ، وإنْ كانوا يبغضونه من حيث الدين .

ولابن قتيبة[4] رأى فى تفسير الآية ، فهو ينكر ما يدّعيه قوم من الأَعْرَاب من أنَّ العائن منهم يقتل من أراد بعينه ، ويسقم من أراد بعينه ، وأنَّ الرجل منهم كان يقف على مَخْرَفَةِ النَّعَم - وهو طريقها إلى الماء - فيصيب عِدَّةَ إبل منها بعينه ؛ حتى يقتلها .

ويقول : « ولو كان صحيحا لأمكنهم قَتْلُ من أرادوا قتله وإسقام من أرادوا

---

(١) انظر : صحيح مسلم ، بشرح النووى « باب السلام » (الطب ، والمرض ، والرقى) الحديث الرابع ٥ / ٣٣ .

(٢) سورة القلم ٦٨ : ٥١ .

(٣) راجع : معانى القرآن ، للفراء ٣ / ١٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن الكريم ١٨ / ٢٥٤ ، وزاد المسير ٨ / ٧٧ ، والبحر المحيط ٨ / ٣١٨ .

(٤) أبو محمد ، عبد الله بن مسلم ، ابن قتيبة ، الدينورى (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) عالم ، ناقد ، أديب ، له مؤلفات كثيرة ، انظر : التمييز والفصل ١ / ٣٠٩ وميزان الاعتدال ٢ / ٥٠٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٦ ، والعبر ١ / ٣٩٧ والوافى بالوفيات ١٧ / ٦٠٧ ، وطبقات المفسرين ، للداودى ١ / ٢٤٥ والأعلام ٤ / ١٣٧ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٥٠ ، ١٣ / ٤٠٢ .

إسقامه ، ولم يجعل الله تعالى هذا لأحد على أحد »[1] ، والمعنى - فى رأيه - أنهم كانوا ينظرون إليه بالعداوة والبغضاء نظرًا يكاد يزلقه ، من شدته ؛ حتى يسقط ، وإنَّمَا يصح من العين أنْ يكون العائن يصيب بعينه ، إذا تعجَّب من شيء ، أو استحسنه ؛ فيكون الفعل لنفسه ، بعينه ، ولذلك سموا « العين » نفسا ؛ لأنها تفعل بالنفس[2] .

وكما وردت الآثار بما تسببه النظرة من أذًى ، فقد بيَّنَت دواء الإصابة بالعين ، وهو قراءة هذه الآية الكريمة ، فى رأى الحسن البصرى[3] ، وفى رأى غيره ، قراءة قول الله تعالى : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[4] ، وقال رسول الله ﷺ : « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ ؛ فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ ؛ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ »[5] .

والإصابة بالعين قديمة قِدَم الإنسان نفسه ، معروفة فى التاريخ من قبل أن تتأكد بالقرآن الكريم ، وبالحديث الشريف ؛ وهى فى عرف المتكلمين نوع من السحر « وثبت عن جماعة أنّهم يقتلون النفس بالهمّة »[6] .

ويروى المؤلف ما تتناقله كتب الأدب من أنّ الشاعر الجاهلى زهير ابن أبى سلمى[7] كان له ابن اسمه « سالم » ، وكان جميل الوجه ، حسن الشَّعْرِ ، لبس بردتين جديدتين ، أُهْدِيَتَا إلى أبيه ، وركب فرسا ، ومَرَّ بامرأة من العرب ، فعانته ؛ فعثرت الفرس ، وانْدَقَّتْ عُنُقُهَا ، وقُتِل سالم ، وانْشَقَّتْ البردتان .

---

(١) تأويل مختلف الحديث ٣٤ .
(٢) نفسه ٣٤٣ .

(٣) أبو سعيد ، الحسن بن يسار ، البصرى (٢١ - ١١٠ هـ) تابعى ، من العلماء الفقهاء ، كان فصيحا ، شجاعا ، ناسكا ، انظر : طبقات ابن سعد ٧ / ١٥٦ ، ومروج الذهب ٣ /٢١٤ ، وفرق وطبقات المعتزلة ٣٣ وطبقات الفقهاء ، للشيرازى ٦٨ ، وشرح الشريشى ٤ / ٣٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٣ ، والعبر ١ / ١٠٣ ، والوافى بالوفيات ١٢ / ٣٠٦ ، وغاية النهاية ١ / ٢٣٥ ، وروضات الجنات ٢٠٧ ، والأعلام ٢ / ٢٢٦ .

(٤) سورة الكهف ١٨ : ٣٩ .

(٥) رواه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٢١٥ .

(٦) انظر : معيد النعم ومبيد النقم ١١٦ - ١١٧ .

(٧) زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رياح ، المزنى (ت نحو ١٣ ق . هـ) من شعراء الطبقة الأولى فى الجاهلية ، وأكثرهم تجويدا لفنه ، انظر : المعمرون والوصايا ٨٣ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٠١ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ١ / ٩٥ والأعلام ٣ / ٥٢ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ١٨٦.

وشاع أثر العين فى الناس ، وفى أمثالهم يقال لمن ذهب دمه هَدَرًا : « هو قتيل العين » ، قال الشاعر :

ولا أكنْ كقتيل العَيْنِ وَسْطكمُ ولا ذَبِيحةَ تَشْرِيقٍ وتَنْحارِ (١)

وقد يكون للنظرة الفاحصة أثربالغ فى النفوس ، وإن لم يترتب عليها إصابة بالعين ؛ وإنَّما تسبب للإنسان حرجا ، وارتباكا .

كثرت الأنباء عن نظرة معاوية (٢) ، وما تسببه لبعض الأفراد من حرج ، قال عمرو بن العاص (١) : « مَا رَأَيْتُ مُعَاوِيَةَ قَطُّ مُتَّكِئًا عَلَى يَسَارِهِ ، وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى كَاسِرًا إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، يَقُولُ لِلَّذِى يُكَلِّمُهُ : يَا هَنَاهُ ؛ إِلاَّ رحِمْتُ الَّذِى يُكَلِّمُهُ » (٢) .

وعن ابن عباس – رضى الله عنه – (٣) قال : « مَا رَأَيْتُ مُعاوِيَة يُخَوِّصُ عَيْنَهُ (٤)

---

(١) شرح نهج البلاغة ٥ / ٧٤٠ .

(٢) معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب ، القرشى ، الأموى (٢٠ ق .هـ - ٦٠ هـ) أمير المؤمنين ، ومؤسس الدولة الأموية ، وواحد من دهاة العرب .

انظر : والاستيعاب ٤ / ١٤١٦ ، وأسد الغابة ٥ / ٢٠٩ ، والإصابة ٣ / ٤٣٣ والإمامة والسياسة ١ / ١٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣ / ١١٩ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى [٤١ - ٦٠] ٣٠٦ ، ومآثر الإنافة ١ / ١٠٩ ، وتاريخ الخلفاء ، للسيوطى ٢٢١ ، والأعلام ٧ / ٢٦١ .

(١) أبو عبد الله ، عمرو بن العاص بن وائل ، السهمى ، القرشى (٥٠ ق . هـ - ٤٣ هـ) صحابى ، ومن عظماء رجالات العرب ، وهو فاتح مصر وواليها ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى « عهد معاوية بن أبى سفيان » ص ٨٩ ، وفى الحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٥ / ٧٩ .

(٢) البيان والتبيين ٢ / ٣٠٢ .

يَا هَنَاهُ : من الكنايات التى لا يجوز منها شيء فى غير النداء ، انظر : الكتاب ١ / ٣١١ .

(٣) أبو العباس ، عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، القرشى ، الهاشمى – رضى الله عنه – (٣ ق . هـ - ٦٨ هـ) الصحابى الجليل ، فقيه ، عالم ، مفسّر ، حبر الأمة .

انظر : التاريخ الكبير ٥ / ٣ ، وجمهرة أنساب العرب ١٨ ، وطبقات المفسرين ، للداودى ١ / ٢٣٢ ، وتهذيب الأسماء واللغات ١ / ١ / ٢٧٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٤٠ ، ومعالم الإيمان ١/١٠٧ ، والأعلام ٤ / ٩٥ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٦٦ .

(٤) يُخَوِّصُ عينه : يكسر عينه ، ويُضَيِّقُ مَشَقَّها .

انظر : التاج « خوص » ٤ / ٣٩١ .

فِى وَجْهِ أَحَدٍ ، وَيَقُولُ لَهُ : هَاتِ ، يَا أَخُ ؛ إلاَّ رَحِمْتُهُ ، عِلْمًا مِنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَدِ انْتَهَزَ فُرْصَةً » (١) .

ولا يكتفى المؤلف بنقل القصص والروايات عن الإصابة بالعين ، من كتب التاريخ ؛ بل يروى بعض القصص التى عاينها بنفسه ، أو قصّها عليه نفر من أصحابه (٢) .

(١) الأشباه والنظائر ، للخالديين ١ / ٧١ .

(٢) انظر مثلا : صرف العين (مخطوطة العمومية) ١٣/ أ ، و٢٠ / أ .

دية العين

لا خلاف بين العلماء فى وجوب القِصَاص فى العين ؛ لقوله تعالى : ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ [(1)] ، فيجب فى فَقْءِ العينين كمالُ دِيَةِ النفس [(2)]، وفى إحداها نصف الدِّية ؛ لقول رسول الله ﷺ : « فِي الْعَيْنِ خَمْسُونَ مِنَ الإِبِلِ » [(3)] ؛ لأنَّ كُلَّ ما كان من تمام خلقة الإنسان ، وكان يَأْلَم بقَطْعِه منه ، وفيه منه اثنان ، ففى كل واحد منهما نصف الدية .

وبالنسبة للعينين ، فى كل عين نصف الدية ، سواء فى ذلك العين العمشاء ، القبيحة ، الضعيفة البصر ، والعين الحسنة التامة البصر ، وعين الصبىّ ، والشيخ الكبير ، والشاب ، وسواء العين اليمنى واليسرى [(1)] ، ولا فرق بين عين الإنسان السوى وعين الأحول ، والأعمش ، والأخفش ؛ لأنّ المنفعة باقية فى أعين هؤلاء ، ومقادير المنفعة غير منظور إليها فى الدية ، وإذا كان فى العين بياض ، لاينقص الضوء ، لم يمنع القصاص ، ولا كمال الدية ولكن لا تؤخذ عين صحيحة بقائمة ؛ لأنّ المجنى عليه يأخذ أكثر من حقه ، كما لا تؤخذ اليمنى باليسرى ، ولا تؤخذ عينان بعين واحدة .

يقول الرافعى [(2)] : « فى القصاص لابد من اتحاد الجنس ، وإذا اتحد الجنس

---

(1) سورة المائدة ٥ : ٤٥ .

(2) دية النفس – فى العَمْد ، والخطأ – مائة من الإبل ، من أوسطها ، أخماس أو أرباع فالأخماس [٢٠ بنت مخاض ، و ٢٠ بنو لبون ، و ٢٠ بنات لبون ، و٢٠ حِقة ، و٢٠ جَذعة] ، والأرباع [٢٥ بنات مخاض ، و٢٥ بنات لبون ، و٢٥ حقة ، و٢٥ جذعة]

فإنْ لم توجد الإبل ؛ فقيمة الدية ألف دينار ، أوعشرة آلآف درهم ، وقيل : اثنا عشر ألفا . انظر : المحلى ، لابن حزم ١٠ / ٣٨٨ ، والمغنى ، لابن قدامة ٧ / ٧٦٤ ، وسبل السلام ٣ / ١٢١٠.

(3) يراجع : كتاب عمرو بن حزم ، فى سنن النسائى « كتاب القسامة » ٨/ ٦٠ ، ومشكاة المصابيح ٢ / ١٠٣٨ ، الحديث ٣٤٩٢ ، ويراجع أقوال العلماء فيه فى سبل السلام ٣ / ١٢٠٦ .

(1) انظر : الأم ، للإمام الشافعى ٦ / ١٢٢ ، وموسوعة الإمام الشافعى جـ ١٢ / م ٧ / ص ٤٤٧ ، وتفسير آيات الأحكام ٢ / ١٩٩ ، وفقه السنة ٢ / ٤٧٣ .

(2) أبو القاسم ، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ، القزوينى ، الرافعى (٥٥٧ – ٦٢٣ هـ) أصولى ، مفسر ، محدث ، مؤرخ ، من كبار فقهاء الشافعية ، له « المحرر » ، وشرحه الذى سمّاه « الوضوح » ، انظر : سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٢٥٢ ، وفى الحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٤ / ٥٥ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٣ .

لايؤثر التفاوت فى الطول ، والقصر ، والصغر ، والكبر ، والقوة ، والضعف ، والضخامة ، والنحافة ؛ كما لا يعتبر المماثلة في النفس فى هذه الأمور ، وإنّما يؤثر التفاوت في المحل والحكومة ، ولا يقطع الجفن الأعلى بالأسفل ، ولا بالعكس ، ولا تفقأ العين اليمنى باليسرى ، ولا بالعكس » [١] .

وإنّما الخلاف بين العلماء فى أمرين :

الأول : جناية العمـد والخطأ .

والثاني : عين الأعور، وعين الأعمى .

أمّا جناية العمد : فللمجنى عليه القصاص ، إلا أنْ يعفوَ ، فإنْ عفا ، أو كانت الجناية خطأ ؛ فله الدية كاملة فى العينين ، ونصفها فى العين الواحدة .

وأمّا عين الأعور : فإنْ قلعها صحيح العينين فالشافعية يرونها - كغيرها - لا يجب فيها إلا القصاص ، أو نصف الدية ؛ إنْ عفا ، وغير الشافعية يرون فيها القصاص من مثلها ، مع أخذ نصف الدية ؛ فإنْ عفا فله دية كاملة .

ولو قلع الأعور عين أعور مثله ففيه القصاص بغير خلاف ؛ لتساويهما من كل وجه ، ولو كانت إحداهما يمنى ، والأخرى يسرى ؛ فهى عين مثل عين ، فإنْ عفا ، أو كانت الجناية خطأ فله دية كاملة .

وإنْ قلع الأعور عيني صحيح فإنْ شاء اقتص ، ولا شيء له سوى ذلك ؛ لأنّه أخذ جميع بصره ، فإنْ اختار الدية فله دية واحدة .

فإنْ قلع الأعور عينا واحدة من صحيح العينين فمن العلماء من يرى ألا يقاد منه ، وعليه دية كاملة ، وإنْ كانت الجناية عَمْداً ، ومنهم من يرى أنْ يقاد منه ، فإنْ قبل المجنىّ عليه الدية فله نصفها ، وذهب المالكية إلى أنّه يأخذ دية كاملة ؛ إنْ كانت الجناية عَمْداً ، ويأخذ نصف دية فى الخطأ .

وفرّق الحنفيون بين العين المماثلة لعينه الصحيحة وبين العين التى لا تماثل عينه الصحيحة ، فأوجبوا فى الأولى دية كاملة ، وفى الثانية نصف الدية [٢] .

---

(١) شرح المحرر (مخطوط) ب / ٢٦٤ ، وانظر : تفسير آيات الأحكام ٢ / ١٩٩ .

(٢) راجع : الأم ٦ / ١٢٠ ، والمحرر ، للرافعي [مخطوط غير مرقم] وشرح المحرر له =

أمّا الأعمى ، إذا فقأ عين صحيح العينين ، أو فقأ عينيه كلتيهما ، فإنّ للعلماء آراء مختلفة في هذه المسألة .

فربيعة الرأي [1] يقول : ما فيه مأخذ للقود ، وعليه الدية .

ورد ابن حزم [2] هذه الفتوى بقوله : « أوجب دية لم يوجبها الله تعالى ، ولا رسوله ﷺ ، ولا قياس ، ولا نَصٌّ صحيح » [3] .

وحمل ابن حزم - كعادته - حملة عنيفة على فقهاء المذاهب الأربعة جميعا ، ومن بين ما أنكر عليهم ثلاثة أمور :

الدِّيَة الكاملة في عين الأعور - ومصادر دية العين ودية الخطأ .



= [مخطوط] أ / ٢٦٣ ، والتنبيه في الفقه ، للشيرازي ١٣٠ ، وتنوير الحوالك ٢ / ١٨٥ ، وبلغة السالك ٢ / ٣٩٠ ، والمغني ٨ / ٤ ، والهداية ٤ / ١٧٩ .

(١) أبو عثمان ، ربيعة بن أبي عبد الرحمن فرّوخ ، القرشي ، التيمي ، مولاهم المشهور بربيعة الرأي (ت ١٣٦ هـ) مفتي المدينة في عصره ، ومن أئمة الاجتهاد . انظر : التاريخ الكبير ٢ / ٢٨٦ ، وحلية الأولياء ٣ / ٢٥٩ ، وسير أعلام النبلاء ٦ / ٨٩ والوافي بالوفيات ١٤ / ٩٤ ، والأعلام ٣ / ١٧ .

(٢) أبو محمد ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) واحد من أئمة المذهب الظاهري ، محدث ثقة ، من المكثرين في التأليف ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبي [٤٤١ - ٤٦٠] ٤٠٣ ، وطبقات الحفاظ ، للسيوطي ٤٣٦ ، والكنى والألقاب ١ / ٢٦٤ ، والأعلام ٤ / ٢٥٤ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ١٦ .

(٣) انظر : المحلى ١٠ / ٤٢٤ .

الدية فى عين الأعور

ذهب المالكية إلى أنّ عين الأعور هى بصره كله ؛ فالواجب فى دية عينه ما يجب فى البصر كله ، وفى رأى ابن حزم أنّ هذا باطل من وجوه :

أحدها : أنّه إنْ كان كما يقولون ، فيجب عليهم أنْ يقيدوه من عينى الصحيح معا ؛ لأنّه بصر ببصر ، وهم لا يقولون بذلك .

والثانى : أنْ يقال لهم : سَمْع ذى الأذن الواحدة الصَّمّاء هو سمعه كله ، وهو له أنفع ، وأقوى ، وأقرب من تمام السمع ، من عين الأعور ؛ فإنّ الأعور لا يرى إلا من جهة واحدة فقط ، فإنّما هو نصف بصره ، وكذلك يد الأقطع ، ورجله ، ولم يجعلوا فى كل ذلك دِيَةً كاملة ، فَلِمَ العين ؟ .

والثالث : وهو أنّه لا يجب على أصلهم هذا أنْ يقيدوا ذا عينين فقأ إحداهما أعور، وهم يقيدون من الأعـور، ولا إجماع فى هذا ، فقد أقادوا بصرا كاملا بنصف بصر [1] .



(١) المحلى ١٠ / ٤٢٠ .

مصادر دية العين

المصدر الرئيس في دية العينين هو صحيفة عمرو بن حزم [1] التى كتبها النبى ﷺ إلى أهل اليمن ، وبيَّن لهم فيها الفرائض ،

والسُّنَنَ ، والدِّيَاتِ ، ويقول عنها ابن عبد البر [2] : وهو كتاب مشهور ، عند أهل السير ، ومعروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بشهرتها عن الإسناد ؛ لأنه أشبه التواتر فى مجيئه فى أحاديث كثيرة [3] .

واضح من دفاع ابن عبد البر عن كتاب عمرو بن حزم اعتراف ضمنى بضعف إسناد الكتاب ؛ مما جعل ابن حزم يقول عنه : « وهو صحيفة ، ولا خير فى إسناده ؛ لأنّه لم يسنده إلا سليمان بن داود الجزرى ، وسليمان بن قَرْم ، وهما لا شيء [4] .

وليس حظ المصادر الأخرى من السُّنَّةِ ، فى دِيَة العين ، عند ابن حزم ، بأفضل من حظ هذا الكتاب ، ففى موضع آخر ، يقول : « قد ذكرنا أنَّ دِيَة العين ، والعينين ، لم يأت إلا فى صحيفة عمرو بن حزم ، وخبر رجل من آل عمر ، وخبر مكحول ، وطاوس ، وكلها لا يصح منها شيء [5] .



دية الخطأ

لم يصح نص عند ابن حزم ، ولا إجماع ، فى دية العين ؛ وعلى هذا ، فلا

---

(١) أبو الضحاك ، عمرو بن حزم بن زيد ، الأنصارى (ت ٥٣ هـ) صحابى ، شهد الخندق ، وما بعدها ، واستعمله النبى ﷺ على نجران .
انظر : الاستيعاب ٣ / ١١٧٢ ، وأسد الغابة ٤ / ٢١٤ ، وصبح الأعشى ١٠ / ٩ ، والأعلام ٥ / ٧٦ .

(٢) أبو عمر ، يوسف بن عبد الله ، النمرى ، القرطبى ، المالكى (٣٨٦ - ٤٦٣ هـ) حافظ المغرب ، مؤرخ ، أديب ، باحث ، له مؤلفات كثيرة ، وأشهرها الاستيعاب ، والاستذكار ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٤٦١ - ٤٧٠ هـ] ص ١٣٦ ، وفى الحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٨ / ٢٤٠ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٣١٥ .

(٣) انظر : المغنى ٧ / ٧٥٨ .

(٤) المحلى ١٠ / ٤١٢ .

(٥) نفسه ١٠ / ٤١٨ .

يجب فى الخطأ شىء ، لقول الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [(١)] وإذا كان ابن حزم يبطل دية الخطأ فهو – فى دية العمد – يأخذ بما صحّ من أخبار عن الصحابة » [(٢)] .

دية الأجفان

يرى الشافعية فى الأجفان الأربعة كمال الدية ؛ إذا استؤصلت ، ولا فرق بين الجفن الأعلى والجفن الأسفل ، وجفن الأعمى مثل جفن البصير والأعمش ، وفى الجفن الواحد ربع الدية وقيل : فى الجفن الأعلى الثلث ، والأسفل الثلثان ؛ لأنّه يرد الحدقة [(٣)] ، ورأى الشعبى [(٤)] فى دية الأجفان – كما ذكره الصفدى – هو : « يجب فى الأعلى ثلثا الدية من العين ، وفى الأسفل ثلثها ؛ لأنّ الأعلى أكثر نفعا » [(٥)] ولم أجد مصدراً لهذا الرأى الذى نسبه للشعبى .

ويبدو أنّ الشعبى له أكثر من رأى فى هذه المسألة ، فقد ذكرت له المصادر الآراء الآتية :

١ – فى كل شَفْر ربع دية العِوَض ، ويعنى هذا الرأى التساوى فى الأجفان ، فلا فرق بين الأعلى والأسفل .

٢ – فى الجفن الأعلى ثلث دية العين ، وفى الجفن الأسفل ثلثا دية لأنّها ترد الحدقة ، وما قطع منها فبقدر ذلك ، وهذا هو رأى الشافعية .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥ .

(٢) المحلى ١٠ / ٤٢٠ .

(٣) انظر : المحرر « غير مرقم » وشرحه أ / ٢٦٥ ، والتنبيه ١٣٠ .

(٤) أبو عمرو ، عامر بن شراحيل بن عبد ذى كبار ، الشعبى ، الحميرى ، الهمدانى (١٩ – ١٠٣هـ) تابعى ، محدّث ، ثقة ، فقيه ، شاعر .

انظر : الجرح والتعديل ٦ / ٣٢٢ ، المعارف ٤٤٩ ، نور القبس ٢٣٧ ، صفة الصفوة ٣ / ٤٠ ، طبقات الشعرانى ١ / ٤٧ ، الأعلام ٣ / ٢٥١ ، معجم المؤلفين ٥ / ٥٤ .

(٥) صرف العين ٨ / ب .

٣ - كانوا لا يؤقتون في الشفر شيئا ، أى لايوجبون فيه شيئا مُقَدّراً [١] وهذا هو الرأى الذى تأخذ به المالكية ؛ فهم يرون فى الأجفان الحكومة .

ولا أعرف ما إذا كان الذى ذكره الصفدى رأيًا رابعًا للشعبى ، أو أنّه وهم منه .

وإذا قُلِعَتْ الأجفان ، وفُقِأَتْ العينان وجبت دية للأجفان ودية للعينين .

دية الأهداب

رأى الشافعية فى حلق الأهداب متوقف على أثر الحلق فيها ، فهم لا يرون فى حلق الأجفان تعزيرا [٢] إذا لم يفسد المنبت ؛ فإنْ أفسد الحلق منبت الأهداب ففيه الحكومة ، فإنْ قطعت الأجفان ، وعليها الأهداب ؛ فهل تجب الدية للأجفان والحكومة للأهداب ؟ ، أو تدخل حكومة الأهداب فى دية الأجفان ؟

فى ذلك رأْيَان :

١ - قيل : لزمه دية .　　　　٢ - وقيل : يلزمه الدية وحكومة [٣] .

أمّا الحنفية فيرون فى حلق الأهداب دية كاملة ؛ وذلك لأنّ منفعة دفع القذى والأذى عن العين إنّما تكون بالهدب [٤] .

وهذا الفصل - كغيره من الفصول - لا يخلو من الاستطراد المفيد ، كما هى عادة المؤلف ، فمن ذلك :

* ينقل عن الصحاح معانى الكلمات : العمش ، والعشا ، والخفش .

* التزميك بالذهب : فى الرسائل الديوانية ، ويذكر فقرة من إنشاء القاضى الفاضل [٥] فى وصف رسالة كتبت بالذهب .

* يروى بيتين من الشعر فيهما نكتة أدبية .

---

(١) يراجع : المحلى ١٠ / ٤٢٣ ، النهاية ٢ / ٤٨٤ ، اللسان « شفر » ٤ / ٤١٩ . وفيه « إنّ أراد بالشفر - هنا - الشَعَر ففيه خلاف » .

(٢) التعزير : هو التأديب دون الحد ، وأصله من العَزْر، وهو المنع .
انظر : كتاب التعريفات ، للجرجانى ٧٠ ، واللسان « عزر » ٤ / ٥٦٢ .

(٣) انظر : التنبيه ١٣٠ .

(٤) انظر : الهداية ٤ / ١٨١ ، و يراجع فقه السنة م / ٢ / ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(٥) أبو على ، عبد الرحيم بن على بن محمد ، مجير الدين ، اللخمى العسقلانى المصرى (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ) وزير صلاح الدين الأيوبى ، كاتب شاعر ، مؤرخ ، رأس فى صناعة الإنشاء ، طبعت رسائله ، وديوان شعره .

صلاة من كان فى عينه ألم

« اليُسْر » هو الأساس العام الذى بنيت عليه التشريعات الدينية الإسلامية ؛ لقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [1] ، وأداء الفرائض فى العبادات إنَّما يكون على قدر الاستطاعة ، قال تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا ﴾ [2] .

لذلك رخَّص الإسلام للمريض - فى العبادات - أُمُورًا يَسْهُل عليه أداؤها ، ولا يَشُقُّ عليه القِيَامُ بها ، ففى الحج أُذِن له بالسعى والطواف محمولا ، إذا عجز عن المشى ، وفى الصوم أُبيح له الفطر ، إذا كان لا يُطِيقُه ، ويُجْزِئُه فى الطهارة التيمم ، إذا خاف استعمال الماء ، وفى الصلاة تكفيه الإيمَاءَةُ ، إنْ لم يستطع القيام أو القعود ، فليس القصد من الدين ترويع النفس ، وكدُّ الذهن ، وإرهاق البدن ، وإنَّما القصد منه : « تزكية النفس ، وتطهير القلب ، وظهور روح الامتثال والطاعة ، واستشعار عظمة الله » [3] .

والعين عضو من أعضاء البدن ، تصح وتمرض ، وإذا مرضت فعلاجها واجب ، ولا كلام فيه ، ومرضها لا يمنع المصلِّى من القيام والركوع والسجود ، فإذا أوجب العلاج منع الحركة ، وكُلِّف المصلِّى الاضطجاع فى الصلاة ، فهل تصح صلاته ؟ .

فى كتب الفقه أحكام كثيرة لصلاة من كان فى عينه مرض ولا نكاد نجد أحكامًا تشبهها لمن كان فى أذنه مرض ، أو فى أنفه أوغيرهما ، من الأعضاء التى تجاور العين ، والتى تماثلها فى أنَّها لا تمنع المصلِّى من القيام والركوع والسجود ، فما الذى جعل العين تتفرد - دون جميع الأعضاء الأخرى - بأحكام فقهية خاصة بها ؟

لعلّ السبب فى كثرة هذه الأحكام راجع إلى الأثر المروى عن ابن عباس رضى

= انظر : مرآة الزمان ٨ / ٤٧٣ ، ذيل الروضتين ١٧ ، المرقصات المطربات ١٥ ، الوافى بالوفيات ١٨ / ٢٣٥ بدائع الزهور ١ / ١/ ٢٣٨ ، الكنى والألقاب ٣ / ٥٤ ، الأعلام ٣ / ٣٤٦ ، معجم المؤلفين ٥ / ٢٠٩ .

(١) سورة البقرة ٢ : ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٨٦ .

(٣) من توجيهات الإسلام ، للشيخ محمود شلتوت ٢٢ .

الله عنه عندما وقع في عينيه الماء ، وقال له الطبيب : إنَّ علاجه يلزمه الصلاة مستلقيا ، أو مضطجعا لمدة سبعة أيام ، فاستشار بعض الصحابة في ذلك ؛ فلم يرخِّصوا له في الاضطجاع ؛ فترك المداواة حتى فقد بصره .

وليس لهذا الأثر من مصدر إلا ما رواه سفيان الثوري (١) في جامعه ، وقد رواه بثلاثة أسانيد مختلفة ، واختلفت متونه باختلاف أسانيده .

وذكر الإمام ابن حجر (٢) أَنَّ الحاكم النيسابوري (٣) ، والبيهقي (٤) ، روياه من هذا الوجه (٥) وتناوله العلماء بالدراسة والنقد ؛ وقبل أَنْ أبيّن آراء العلماء فيه تجب الإشارة إلى طرق روايته ، ومتونه ؛ وذلك لكثرة أقوال العلماء فيه ، ونقدهم له (٦) .

---

(١) أبو عبد الله ، سفيان بن سعيد بن مسروق ، الثوري ، الكوفي (٩٧ - ١٦١ هـ) إمام الحفاظ ، وسيد العلماء العاملين في زمانه ، طلب العلم صغيرا ونبغ فيه ، وعند وفاته أوصى أَنْ تدفن كتبه ، انظر : مروج الذهب ٣ / ٣٢٢ جمهرة أنساب العرب ٢٠١ ، سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٢٩ ، تاريخ ابن الوردي ١ / ٢٧٢ ، الوافي بالوفيات ١٥ / ٢٧٨ ، شذرات الذهب ١ / ٢٥٠ الأعلام ٣ / ١٠٤ ، معجم المؤلفين ٤ / ٢٣٤ .

(٢) أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد ، الكناني ، العسقلاني ، شهاب الدين ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) من أئمة العلم ، مؤرخ ، فقيه ، محدث ، شاعر ولي قضاء مصر مرات ، وتصانيفه كثيرة ، أشهرها الدرر الكامنة ، وأنباء الغمر ، وتهذيب التهذيب ، وديوان شعره ، انظر : الأعلام ١ / ١٧٨ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٠ .

(٣) أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله ، الضبي ، النيسابوري ، الحاكم ، المعروف بابن البَيِّع (٣٢١ - ٤٠٥ هـ) مؤرخ ، محدث ، حافظ ولي قضاء نيسابور وجرجان ، وكان من أعلم الناس بصحيح الحديث ، وهو واحد ممن عرفوا بكثرة المصنفات ، أشهرها المستدرك على الصحيحين .

انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبي [٤٠١ - ٤١٠] ١٢٢ ، وبالحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٦ / ٢٢٧ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢٣٨ .

(٤) أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن علي ، الخسروجردي ، البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ) من أئمة الحديث ، له تصانيف كثيرة في الحديث ، وفي الفقه الشافعي انظر : تاريخ الإسلام للذهبي [٤٥١ - ٤٦٠] ٤٣٨ ، والوافي بالوفيات ٦ / ٣٥٤ ، والأعلام ١ / ١١٦ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٢٠٦ .

(٥) انظر : التلخيص الحبير (على هامش المجموع) ٣ / ٣٠١ .

(٦) انظر : سنن البيهقي ٢ / ٣٠٨ - ٣٠٩ .

طريق الرواية الأولى

عن سفيان الثورى ، عن جابر بن يزيد ، الجُعْفِى ، الكوفى [1] عن أبى الضحى [2]، أَنَّ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان [3] - أو غيره - بعث إلى ابن عباس بالأطباء ، على البرد ؛ لعلاجه وقد وقع فى عينيه الماء ، وفى الحديث أنّه سأل أم سلمة [4] وعائشة [5] - رضى الله عنهما - فنهتاه عن الاضطجاع فى الصلاة ، بالرغم من نصيحة الأطباء له بذلك .

---

(١) أبو عبد الله ، جابر بن يزيد بن الحارث ، الجُعْفِىّ الكوفى (ت ١٢٨ هـ) تابعى ، شيعى من القائلين بالرجعة ، قال عنه أبو حنيفة : لا أكذب من جابر .

انظر : الضعفاء والمتروكين ، للنسائى ٧١ ، والجرح والتعديل ٢ / ٤٩٧ والضعفاء والمتروكين ، للدارقطنى ٧٢ وتاريخ الإسلام ، للذهبى [١٢١ - ١٤١] ص ٥٩ ، والوافى بالوفيات ١١ / ٣١ ، والأعلام ٢ / ١٠٥ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ١٠٦ .

(٢) أبو الضحى ، مسلم بن صبيح ، الكوفى ، العطار ، الهمذانى بالولاء (ت نحو ١٠٠ هـ) تابعى ، وثّقه ابن معين ، وأبو زرعة ، وروى له البخارى ، ومسلم ، انظر : التاريخ الكبير ٧ / ٢٦٤ ، والمعرفة والتاريخ ٣ / ١٩١ ، والجرح والتعديل ٨ / ١٨٦ ، ومشاهير علماء الأمصار ١٠٨ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى [٨١ - ١٠٠] ص ٥٢٦ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ٧١ ، وتهذيب التهذيب ١٠ / ١٣٢ .

(٣) أبو الوليد ، عبد الملك بن مروان بن الحكم ، الأموى ، القرشى (٢٦ - ٨٦ هـ) أمير المؤمنين ، رابع خلفاء بنى أمية ، فقيه ، عالم ، ناسك ، متعبد ، حازم ، من الدهاة ، انظر : الإمامة والسياسة ٢ / ١٤ ، والأخبار الطوال ٢٨٦ وجمهرة أنساب العرب ٨٩ ، وطبقات الفقهاء ، للشيرازى ٦٢ ، ومآثر الإنافة ١/ ١٢٦ ، وتاريخ الخلفاء ٢٤٥ ، والأعلام ٤ / ١٦٥ .

(٤) أم سلمة ، هند بنت أبى أمية سهيل - وقيل : حذيفة زاد الركب - المخزومية ، القرشية (٢٨ ق . هـ - ٦٢ هـ) أم المؤمنين ، ومن أكمل النساء عقلا، وخلقا ، انظر : الاستيعاب ٤ / ١٩٢٠ ، وأسد الغابة ٧ / ٢٨٩ ، ونهاية الأرب ١٨ / ١٧٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٢٠١ ، وتراجم سيدات بيت النبوة ٣٠٧ ، والأعلام ٨ / ٩٧ .

(٥) أم عبد الله ، عائشة بنت أبى بكر الصديق (٩ ق . هـ - ٥٨ هـ) أم المؤمنين ، وأفقه نساء المسلمين ، انظر : المعارف ١٣٤ ، ومروج الذهب ٣ / ١١٠ ، وصفة الصفوة ٢ / ٦ ، ونهاية الأرب ١٨ / ١٧٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٢٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٢٣٢ ، ومرآة الجنان ١ / ١٢٩ ، ومجمع الزوائد ٩ / ٢٢٥ ، والأعلام ٣ / ٢٤٠ .

طريق الرواية الثانية

عن سفيان ، عن عمرو بن دينار [1] ، أَنَّ ابن عباس رضى الله عنه كره الاضطجاع الذى نصحه به الأطباء ، وليس فى الحديث ذكر لعبد الملك ، أو لواحد من الصحابة الذين استفتاهم ابن عباس .

وهذا الإسناد الثانى أصح أسانيد الحديث رواية ، ومتنه أقرب نصوصه للصواب .

طريق الرواية الثالثة

عن سفيان الثورى ، عن سليمان بن مهران الأعمش [2] عن المسيِّب [3] أنَّ ابن عباس ﷺ قال : (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ٱلْأَجَلُ قَبْلَ ذَٰلِكَ ؟) ويتفق هذا الحديث مع الثانى فى كراهية الاضطجاع ، وفى عدم ذكر الفتوى .

وسنن البيهقى هى المصدر الذى ينقل عنه الإمام النووى فى كتابه شرح المهذب [4] ، وعنه ينقل الصفدى مادة هذا الفصل .

وعبارة النووى توهم - كما فهم منها الصفدى - ضعف الإسناد الأول عن أبى الضحى ، وصحة الإسناد الثانى ، عن عمرو ابن دينار ، وليس الأمر كذلك ؛ فضعف الإسناد لا يرجع إلى أبى الضحى - وهو من الثِّقات - كما يفهم من عبارة النووى

---

(١) أبو محمد ، عمرو بن دينار ، الأثرم ، الجمحى بالولاء ، المكى ، (٤٦ - ١٢٦ هـ) فقيه ، عالم ، مفتى مكة . انظر : سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٠٠ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى [١٢١ - ١٤٠] ١٨٦ ، وفى حاشيتيهما جريدة مصادر ، والأعلام ٥ / ٧٧ .

(٢) أبو محمد ، سليمان بن مهران ، الأعمش ، الأسدى بالولاء (٦١ - ١٤٨ هـ) تابعى ، محدث ، مقرئ ، فرضى ، انظر : نور القبس ٢٥١ ، وسير أعلام النبلاء ٦ / ٢٢٦ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى [١٤١ - ١٦٠] ١٦١ ، وفى الحاشية جريدة مصادر ، والوافى بالوفيات ١٥ / ٤٢٩ ، وشذرات الذهب ١ / ٢٢٠ ، والأعلام ٣ / ١٣٥ .

(٣) أبو العلاء ، المسيب بن رافع ، الأسدى ، الكاهلى ، الكوفى (ت نحو ١٠٥ هـ) فقيه ، محدث ، ثقة ، رفض القضاء تورعا ، انظر : طبقات ابن سعد ٦ / ٢٩٣ ، والتاريخ الكبير ٧ / ٤٠٧ ، والجرح والتعديل ٨ / ٢٩٣ ، والمعرفة والتاريخ ٢ / ٧٦٥ ، و٣ / ١٢٢ وسير أعلام النبلاء ٥ / ١٠٢ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى [١٠١ - ١٢٠] ٢٥٨ ، وتهذيب التهذيب ١٠ / ١٥٣ .

(٤) انظر : المجموع ٤ / ٣١٣ - ٣١٥ .

وإنّما يرجع ضعف الإسناد إلى رجلين آخرين ، متكلم فيهما ، وهما : العَدَنى ، والجُعْفِى ؛ وتوضيح ذلك كالآتى : المعروف أَنَّ كتاب الجامع للثورى رواه عنه عبد الله ابن الوليد العدنى [(١)] ، وهو متهم ، وضعف الإسناد راجع إليه ، وإلى جابر الجُعْفِى الذى قال عنه البيهقى : « لا يحتج به » [(٢)] .

وقد وثّق ابن التركمانى [(٣)] رواية أبى الضحى من طريق أخرى ، فقال : وقد روى هذه القصة عن سفيان الثورى من لا نسبة بينه وبين العدنى حفظا ، وجلالة وهو الإمام عبد الرحمن بن مهدى [(٤)] ولم يرد فيه ذكر لعبد الملك ، وساق السند الآتى : قال ابن أبى شيبة [(٥)] : حدّثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى الضحى [(٦)] .

أَمَّا رواية عمرو بن دينار ، فقد وثَّقها الزَّرْكَشِىّ [(٧)] فى كتابه التنقيح [(٨)] - كما

---

(١) قال أبو حاتم : لا يحتج به ، وهو مكّى ، اشتهر بالعدنى ، وقال ابن معين : لا أعرفه ، و لم أكتب عنه شيئا ، وقال أحمد : ما كان صاحب حديث ، وربما أخطأ فى الأسماء ، ولم يوثقه إلا أبوزرعة . انظر : التاريخ الكبير ١ / ٣ / ٢٢٧ والجرح والتعديل ٥ / ١٨٨ ، وميزان الاعتدال ٢ / ٥٢٠ .

(٢) انظر : الجوهر النقى (على هامش سنن البيهقى) ٢ / ٣٠٩ .

(٣) أبو الحسن ، على بن عثمان بن إبراهيم ، علاء الدين ، الحنفى ، الماردينى ، المعروف بابن التركمانى (٦٨٣ - ٧٥٠ هـ) من علماء الحديث واللغة ، وقاضى الحنفية فى مصر ، له مؤلفات كثيرة ، طبع منها « الجوهر النقى فى الرد على البيهقى » ، انظر : الوافى بالوفيات ٢١ / ٣٠٧ ، وفى الحاشية جريدة مصادر والأعلام ٤ / ٣١١ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٩٢ ، و٧ / ١٤٥ .

(٤) أبو سعيد ، عبد الرحمن بن مهدى بن حسان ، العنبرى ، البصرى ، اللؤلؤى ، مولاهم (١٣٥ - ١٩٨ هـ) من كبار حفاظ الحديث ، ثقة .

انظر : التاريخ الصغير ٢ / ٢٨٣ ، وسير أعلام النبلاء ٩ / ١٩٢ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ١٢٩ ، والأعلام ٣ / ٣٣٩ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٩٦ .

(٥) أبو بكر ، عبد الله بن محمد ، العبسى ، الكوفى ، ابن أبى شيبة ، مولاهم (١٥٩ - ٢٣٥ هـ) من كبار حفاظ الحديث ، ثقة ، انظر : سير أعلام النبلاء ١١ / ١٢٢ ، الوافى بالوفيات ١٧ / ٤٤٢ ، الأعلام ٤ / ١١٧ معجم المؤلفين ٦ / ١٠٧ .

(٦) انظر : الجوهر النقى ٢ / ٣٠٩ .

(٧) أبو عبد الله ، محمد بن بَهَادُر ، بدر الدين ، الزَّرْكَشِى (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) عالم بالفقه ، والأصول ، تركى الأصل ، مصرى المولد والنشأة والوفاة ، له تصانيف كثيرة فى فنون متعددة .

انظر : الأعلام ٦ / ٧٠ ، ومعجم المؤلفين ٩ /١٣١ .

(٨) كتاب « التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح » ، مخطوط ، وعليه نكت للحافظ ابن حجر ، انظر : كشف الظنون ١ / ٥٤٩ ، والأعلام ٦ / ٦١ .

يقول ابن حجر - و أضاف : « والرواية المذكورة عن عمرو صحيحة ، أخرجها البيهقى ، وليس فيها منافاة للأولى ، والله أعلم » [1] .

وأنكر الإمام النووى ما حكاه الإمام الغَزّالى [2] ، فى كتابه « الوسيط » [3] أَنَّ ابن عباس ﷺ استفتى عائشة ، واستفتى أبا هريرة [4] ، ووصف هذا المتن بأَنَّه باطل ، لا أصل له ، لذكر أبى هريرة فيه [5] .

وهذا الأثر الذى أنكره النووى وثَّقه ابن حجر ، من طريق أخرى ، قال : « وأَمَّا استفتاؤه لأبى هريرة فأخرجه ابن أبى شيبة ، وابن المنذر [6] من طريق الأعمش ، عن المسيَّب بن رافع ، عن ابن عباس ، فى هذه القصة ، قال : « فَأَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، وَغَيْرِهِمَا ، قَالَ : فَكُلُّهُمْ قَالَ : إِنْ مِتَّ فِي هَذِهِ السَّنَةَ ، كَيْفَ تَصْنَعُ بِالصَّلاَةِ ؟ »

قال : فترك عينه ؛ فلم يداوها ، وفى هذا إنكار على النووى ، فى إنكاره على الغَزّالى - تبعا لابن الصلاح [7] - ذِكْرَه لأبى هريرة فى هذا » [8] .

---

(١) انظر : التلخيص الحبير ٣ / ٣٠١ .



(٢) أبو حامد ، محمد بن محمد بن محمد ، حجة الإسلام ، الطوسى ، الغَزّالى (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) فيلسوف ، متصوف ، له مؤلفات كثيرة ، انظر : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، والعبر ٢ / ٣٨٧، والمقفى الكبير ٧ / ٧٦ ، والأعلام ٧ / ٢٢ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٦٦ .

(٣) الوسيط ٢ / ٦٠٧ .

(٤) أبو هريرة ، عبد الرحمن بن صخر ، الدوسى (٢١ ق . هـ - ٥٩ هـ أكثر الصحابة حفظا للحديث ، ورواية له ، ولي أمر المدينة مدة ، واستعمله عمر ابن الخطاب على البحرين ، وكان أكثر مقامه بالمدينة ، وبها توفى . انظر : طبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٢ ، والجرح والتعديل ٦ / ٤٩ ، والاستيعاب ٤ / ١٧٦٨ ، وأسد الغابة ٣ / ٤٦١ ، وسير أعلام النبلاء ٢ / ٥٧٨ ، والعبر ١ / ٤٦ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٣٢ ، والوافى بالوفيات ١٨ / ١٥٣ ، ومجمع الزوائد ٩ / ٣٦١ ، وغاية النهاية ٢ / ٣٧٠ ، والأعلام ٣ / ٣٠٨ .

(٥) انظر : المجموع ٤ / ٣١٤ .

(٦) أبو بكر ، محمد بن إبراهيم ، النيسابورى ، ابن المنذر (٢٤٢ - ٣١٩ هـ فقيه ، حافظ ، كان شيخ الحرم بمكة المكرمة ، له تصانيف كثيرة ، منها المبسوط فى الفقه ، وتفسير كبير . انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٣١١ - ٣٢٠] ص ٥٦٨ ، والأعلام ٥ / ٢٩٤ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٢٠ .

(٧) أبو عمرو ، عثمان بن عبد الرحمن ، تقى الدين ، ابن الصلاح ، الشهرزورى (٥٧٧ - ٦٤٣هـ) فقيه ، محدث ، مفسر ، شهر بمقدمته المعروفة بمقدمة ابن الصلاح ، وعنوانها « معرفة أنواع علم الحديث » . انظر : الأعلام ٤ / ٢٠٧ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٥٧ .

(٨) انظر : التلخيص الحبير ٣ / ٣٠١ .

وإذا قارنّا رواية الأعمش هذه ، عن المسيَّب ، بالرواية عنهما في سنن البيهقى تبيَّن لنا أنهما روايتان مختلفتان تماما ، ونتساءل :

١ - هل هما روايتان مختلفتان لحديثين صحيحين ، فيمكن التأويل لهما ؟ .

٢ - أو إحدى الروايتين صحيحة ، والأخرى باطلة ؟ .

٣ - وما سبب إنكار بعض العلماء هذا الأثر ؟ .

٤ - وما موقف العلماء من تأويله ؟ .

ذهب ابن الصلاح - وتابعه النووى - إلى بطلان هذا الأثر الذى فيه ذِكْرٌ لأبى هريرة ، كما أنكرا الرواية الأولى التى فيها بَعْثُ عبد الملك بالأطباء ، على البُرُد ؛ ذلك لأَنَّ أمُّ المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - توفيت سنة ٥٨ هـ ، وأبا هريرة ﷺ توفى سنة ٥٩ هـ ، ومن بعدهم ، توفيت أُمُّ المؤمنين أُمُّ سلمة - رضى الله عنها - فى سنة ٦٢ هـ ، وكانت خلافة عبد الملك سنة ٦٥ هـ ، ولم يمرض ابن عباس ﷺ ، ويفقد بصره إلا فى أواخر عمره ، فلم يكن أحد من الصحابة المذكورين حيًّا فى الوقت الذى وقع فيه الماء فى عينيه ، فكيف استفتاهم وهم أموات ؟ .

وإذا افترضنا أنَّه مرض فى حياتهم فيكون بَعْث الأطباء والبرد قبل وفاة عائشة - أى فى سنة ٥٧ هـ - ولم يكن عبد الملك ، فى ذلك الوقت ، يملك حق بعث البرد الذى هو من سلطة الخليفة ، أو عماله على الأقاليم ، ولم يصح الخبر الذى ذكره ابن سعد [1] فى طبقاته [2] ، والذى جاء فيه أَنَّ معاوية بن أبى سفيان قد ولَّى عبد الملك المدينة ، وعمره ست عشرة سنة ، يقول الذهبى [3] : « هذا لا يُتَابِعُ ابْنَ سَعْدٍ عليه

---

(١) أبو عبد الله ، محمد بن سعد بن منيع ، الزهرى ، كاتب الواقدى (١٦٨ - ٢٣٠ هـ) مؤرخ ، من حفاظ الحديث ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٢٢١ - ٢٣٠] ص ٣٥٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٦٤ ، وفى حاشيتيهما جريدة مصادر ، والأعلام ٦ / ١٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٣١ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥ / ٢٢٤ .

(٣) أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، شمس الدين ، الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) حافظ ، مؤرخ ، له مؤلفات كثيرة . انظر : درة الحجال ٢ / ٢٥٦ ، والبداية والنهاية ١٤ / ٢٢٥ ، وتذكرة النبيه ٣ / ١٠٦ ، ودرة الأسلاك ٣٥٧ ، والمنهل الصافى ٣ / ١٠٦ ، والمقفى الكبير ٥ / ٢٢١ ، والأعلام ٥ / ٣٢٦ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٩٠ .

أَحَدٌ .. وإنَّما استعمل أباه » (١) ، ولو صحّ خبر ولايته فإنَّه يكون ، هو وابن عباس ، في المدينة فلا معنى لبعث البُرُد إلا إذا كان قد جهَّز البريد إلى عائشة في المدينة ، حيث تقيم هي ، وأم سلمة ، في الوقت الذي كان فيه ابن عباس مقيمًا في مكة ، وهذا - أيضا - احتمال ضعيف ، استبعده الصفدي .

شُغِل العلماءُ بموضوع الاضطجاع في الصلاة ، لمن كان في عينه ألم ، وانقسموا فيه ثلاث فئات :

الفئة الأولى : تمنع الاضطجاع ، وهم في منعه يأخذون برأي أم المؤمنين عائشة ، و أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنهما - وأبي هريرة رضي الله عنه ؛ إنْ صحّ الخبر المروي عنهم .

فمن الذين منعوه : الأوزاعي (٢) ، ومالك (٣) والإسفرائيني (٤) والبندنيجي (٥) .

الفئة الثانية : من العلماء تكره الاضطجاع ، ومنهم :

---

(١) انظر : تاريخ الإسلام [٨١ - ١٠٠] ص ١٣٧ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٢٤٧ ، والوافي بالوفيات ١٩ / ٢٠٨ .

(٢) أبو عمرو ، عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد ، الإمام الأوزاعي (٨٨ - ١٥٧ هـ) محدث ، فقيه ، زاهد ، كاتب . انظر : طبقات ابن سعد ٧ / ٤٨٨ والجرح والتعديل ١ / ١٨٤ ، و٥ / ٢٦٦ ، ومروج الذهب ٤ / ١٥٩ ، والوافي بالوفيات ١٨ / ٢٠٧ ، وطبقات الحفاظ ، للسيوطي ٧٩ ، ورحلة النابلسي ٢٤٥ ، والأعلام ٣ / ٣٢٠ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٦٣ .

(٣) أبو عبد الله ، مالك بن أنس بن مالك ، الأصبحي ، الحميري (٩٣ - ١٧٩ هـ) إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة ، انظر : المعارف ٤٩٨ ، والتاريخ الكبير ٧ / ٣١٠ ، وسير أعلام النبلاء ٨ / ٤٨ ، والعبر ١ / ٢١٠ ، وسرح العيون ٢٦٠ ، وغاية النهاية ٣ / ٣٥ ، وشذرات الذهب ١ / ٢٨٩ ، والأعلام ٥ / ٢٥٧ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٦٨ ، ١٣ / ٤١٥ .

(٤) أبو حامد ، أحمد بن محمد ، المعروف بابن أبي طاهر ، الإسفرائيني

(٣٤٤ - ٤٠٦ هـ) فقيه ، أحد أعلام الشافعية . انظر : تاريخ بغداد ٤ / ٣٦٨ ، والمنتظم ٧ / ٢٧٧ ، والعبر ٣ / ٩٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ١٩٣ ، والوافي بالوفيات ٧ / ٣٥٧ ، والأعلام ١ / ٢١١ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٦٥ .

(٥) أبو علي ، الحسن بن عبد الله - أو عبيد الله - بن يحيى ، البندنيجي ، الإسفرائيني (ت ٤٢٥هـ) فقيه ، قاض ، من أعيان الشافعية له تعليقة شهيرة عن الإسفرائيني ، ومؤلفات كثيرة ، انظر : تاريخ بغداد ٧ / ٣٤٣ ، والمنتظم ٨ / ٨١ ، والأعلام ٢ / ١٩٦ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٣٨ .

أبو وائل [١] ، وابن عتبة [٢] .

الفئة الثالثة : تجوّزه ، ومنهم : أبو الشعثاء [٣] ، وأبو حنيفة [٤] وسفيان الثورى ، و أحمد [٥] ، وإمام الحرمين [٦] .

ويبدو أنَّ المالكيـة على رأى إمامهم فى منع الاضطجاع ، للقادر على القيام ، إنْ كان فى عينيه أذى ، وسبق أنْ بيَّنت - فى نهاية الفصل السابق - أنَّ الصفدى ينقل رأى المالكية من مصادر الحنابلة والحنفية ، ولم يرجع إلى مصدرٍ من مصادرهم الفقهية المعتمدة ، وكذلك كل من الحنابلة ، والحنفية على رأى إماميهما أحمد ، وأبى حنيفة فى جواز الاستلقاء .

---

(١) أبو وائل ، شقيق بن سَلَمَة ، الأسدى ، الكوفى (ت نحو ١٠٠ هـ) مخضرم ، أدرك النبى ﷺ ، ولم يره ، محدث ثقة . انظر : المحبر ٣٠٥ ، والتاريخ الكبير ٤ / ٢٤٥ ، والجرح والتعديل ٤ / ٣٧١ ، وتاريخ بغداد ٩ / ٢٦٨ ، وأسد الغابة ٣ / ٧ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٧٦ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ١٦١ والوافى بالوفيات ١٦ / ١٧٢ .

(٢) أبو عبد الله ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، الهذلى ، المدنى ، الأعمى (ت نحو ٩٨ هـ) مفتى المدينة ، وأحد الفقهاء السبعة . انظر : المعارف ٢٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٤٥٧ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى [٨١ - ١٠٠] ٤٢١ ، وفى حاشيتيهما جريدة مصادر ، والأعلام ٤ / ١٩٥ .

(٣) أبو الشعثاء ، جابر بن زيد ، الأزدى ، البصرى (٢١ - ٩٣ هـ) تابعى فقيه ، من الأئمة ، يقال : إنَّه مؤسس مذهب الإباضية . انظر : سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٨١ ، والوافى بالوفيات ١١ / ٣٢ ، والأعلام ٢ / ١٠٤ .

(٤) أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت بن زُوطَى ، التيمى بالولاء ، الكوفى (٨٠ - ١٥٠ هـ) فقيه ، مجتهد ، أحد الأئمة الأربعة .

انظر : الضعفاء والمتروكين للنسائى ٢٣٣ ، والضعفاء ، لأبى نعيم ١٥٤ ، والتمييز والفصل ١ / ٦٨ ، وسير أعلام النبلاء ٦ / ٣٩٠ ، وتاريخ ابن الوردى ١ / ٢٦٧ ، والوافى بالوفيات ٢٧ / ١٤٤ ، وشذرات الذهب ١ / ٢٢٧ ، والأعلام ٨ / ٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ١٠٤ .

(٥) أبو عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل ، الشيبانى ، الوائلى (١٦٤ - ٢٤١ هـ) محدث ، فقيه ، إمام المذهب . انظر : جمهرة أنساب العرب ٣١٩ ، وتهذيب الكمال ١ / ٤٣٧ ، والعبر ١ / ٣٤٢ ، وسير أعلام النبلاء ١١ / ١٧٧ والوافى بالوفيات ٦ / ٣٦٣ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٢ / ٢٧ والأعلام ١ / ٢٠٣ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٩٦ .

(٦) أبو المعالى ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، ركن الدين ، الجوينى ، إمام الحرمين (٤١٩ - ٤٧٨ هـ) فقيه ، أصولى ، متكلم ، مفسر ، أديب له تصانيف كثيرة ، منها نهاية المطلب . انظر : العبر ٣ / ٢٩١ ، وسير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٦٧ ، والوافى بالوفيات ١٩ / ١٧١ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٧ / ١٧٩ ، والأعلام ٤ / ١٦٠ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٨٤ .

يقول ابن التركماني : وذكر القُدُوري [١] في التجريد [٢] عن الحنفية أنَّه يجوز الاستلقاء لمن كان في عينه مرض [٣] .

وكذلك قال ابن قدامة الحنبلي : إنَّ قياس المذهب جواز ذلك [٤] .

وأمَّا رأي الشافعية فقد بسط فيه القول من خلال أشهر كتبهم المعروفة .

كان اعتماد الصفدي ، في موضوع هذا الفصل مؤلفات الشيرازي [٥] وبخاصة منها « المهذب » نقلا عن شرحه للإمام النووي ، و « التنبيه » نقلا عن شرحه لابن الرفعة [٦] .

ويبدو لي أنَّه لم يرجع إلى المصدرين الرئيسين ؛ لأنَّه بمقارنة النص - هنا - بالكتب المشار إليها وجد مطابقا لرواية الشروح لا الأصل ، وقد بيَّنت ذلك في حواشي النص ، كما ينقل عن الرافعي في كتابه « فتح العزيز شرح الوجيز » .

---

(١) أبو الحسين ، أحمد بن محمد ، القُدُوري (٣٦٢ - ٤٢٨ هـ) فقيه ، انتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق ، له مؤلفات كثيرة مشهورة . انظر : الأنساب ١٠ / ٧٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٧٤ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبي [٤٢١ - ٤٣٠] ٢١١ ، والوافي بالوفيات ٧ / ٣٢٠ ، والأعلام ١ / ٢١٢ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٦٦ .

(٢) التجريد : كتاب في سبعة أجزاء ، يشتمل على الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة ، انظر : كشف الظنون ١ / ٣٤٦ ، والأعلام ١ / ٢١٢ .

(٣) انظر : الجوهر النقي ٢ / ٣٠٩ .

(٤) انظر : المغني ٢ / ١٤٧ .

(٥) أبو إسحاق ، إبراهيم بن علي بن يوسف ، جمال الدين ، الشيرازي ، الفيروزبادي (٣٩٣ - ٤٧٦ هـ) فقيه ، متصوف كان يدرِّس في المدرسة النظامية في بغداد ، ويديرها ، ولد فيروزاباد ، ونشأ بها وتوفي ببغداد . انظر : المستفاد من تاريخ بغداد ٤٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٨ / ٤٥٢ والعبر ٢ / ٣٣٤ ، والوافي بالوفيات ٦ / ٦٢ ، والنجوم الزاهرة ٥ / ١١٧ ، والأعلام ١ / ٥١ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٦٨ .

(٦) أبو العباس ، أحمد بن محمد بن علي ، ابن الرفعة ، نجم الدين ، الأنصاري (٦٤٥ - ٧١٠هـ) فقيه ، من فضلاء مصر ، كان محتسبا للقاهرة ، انظر : أعيان العصر ، للصفدي ، نشر سزكين ١/ ٩٨ ، والوافي بالوفيات ٧ / ٣٩٥ وتذكرة النبيه ٢ / ٣٣ ، ودرة الأسلاك ١٨٥ ، وذيول العبر ٤ / ٢٥ والمنهل الصافي ٢ / ٨٢ ، والدليل الشافي ١ / ٧٣ ، والمقفى الكبير ١ / ٦٢٣ ، والأعلام ١ / ٢٢٢ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ١٣٥ .

وخلاصة رأى الشافعية – كما يقول الإمام النووى – : ليس للإمام للشافعى [1] – رحمه الله – فى المسألة نص صريح ؛ ولأصحابه فيها وجهان مشهوران ، هما :

الأول : وهو أصحُّهما ، عند الجمهور ، يجوز له الاستلقاء ، ولا إعادة عليه .

الثانى : لا يجوز .

وحاول بعض الفقهاء تأويل الأثر ، يقول ابن قدامة :

« فأَمَّا خبر ابن عباس – إِنْ صح – فيحتمل أَنَّ المخبرلم يخبر عن يقين ، وإِنَّما قال : أرجو ، أو أَنَّه لم يُقْبَل خبره ؛ لكونه واحدا ، أو مجهول الحال [2] .

ولا يخلو الفصل من الاستطراد – كعادة الصفدى – فذكر بعض أمراض العين ، وأسبابها ، وكيفية علاجها ، منها أحد عشر مرضا تكون فى الجفون ، و منها أربعة وعشرون مرضا تكون بالموق .

ويروى ما يرد على خاطره من ذكريات ، وقصص حكيت له عن بعض الناس الذين نزل بهم المرض ، كما يروى من الشعر أبياتا استحسنها ، وفيها وصف للعين وقد أصابها المرض .



(١) أبو عبد الله ، محمد بن إدريس بن العباس ، الهاشمى ، القرشى ، المطَّلبى (١٥٠ – ٢٠٤هـ) فقيه ، شاعر ، عالم باللغة ، والقراءات ، والأيام ، وأحد الأئمة الأربعة ، انظر : مروج الذهب ٤ / ٢٤ والمحمدون ١٩٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ٥ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى [٢٠١ – ٢١٠] ٣٠٤ ، والعبر ١ / ٢٦٩ ، والمقفى الكبير ٥ / ٣٠٩ ، والأعلام ٦ / ٢٦ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ٣٢

(٢) تراجع المسألة فى : المغنى ، لابن قدامة ٢ / ١٤٧ ، والمجموع ، للنووى ٤ / ٣١٣ ، والتلخيص الحبير، لابن حجر ٣ / ٣٠١ .

تحدث الصفدى عن « العين » فى علوم اللغة : من نحو ، وصرف ، وفقه لغة .

كما تحدث عنها فى علوم الأدب : من شعر ، ونثر ، ونقد ، وتاريخ .

وخَصَّص لذلك تسعة فصول ، تبدأ من الفصل السادس ، وتنتهى بالفصل الرابع عشر ، ووضع لها العناوين الآتية : جملة المشترك فى العين لغة

العين لفظ مشترك

تثنية المشترك وجمعه

فى حلي العين

محاسن العين

معايب العين

عوارض العين

كيفية النظر وهيئته

أجزاء العين

وسأتناول هذه الفصول بالعرض والتحليل ، وبيان ما فيها من فنون ، ومباحث ، وما أثاره فيها من قضايا .

جملة المشترك فى العين لغة

بناء هذا الفصل على مادة « العين » التي جمعها الجوهرى [1] فى معجمه « تاج اللغة وصحاح العربية » [2] . ومن المعروف أنَّ للصفدى عنايةً خاصة بهذا المعجم ؛

(١) أبو نصر ، إسماعيل بن حماد ، الجوهرى ، الفارابى (ت ٣٩٣ هـ) لغوى ، أديب ، خطاط ، كان أول من حاول الطيران ، ومات بسبب محاولته .

انظر : العبر ٢ / ١٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٨٠ ، والوافى بالوفيات ٩ / ١١١ ، والمزهر ١ / ٩٧ ، والأعلام ١ / ٣١٣ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٦٧ .

(٢) طبع مرارا ، وحققه أحمد عبد الغفور عطار . انظر الصحاح « عين » : ٦ / ٢١٧٠ - ٢١٧٢ .

فقد عكف عليه ، يدرسه ، وينقده ، ويكتب عنه ، فشرح شواهده في كتابه :

« حَلْي النَّوَاهِد على ما في الصحاح من الشواهد »

وبيَّن صعوبة رد الكلمات إلى أصولها في كتابه :

« غوامض الصحاح »

واختصره في كتابه : « نجد الفلاح في مختصر الصحاح »

ونقده في كتابه :

« نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهري من الوهم » .

ولا نكاد نعرف له عناية بمعجم آخر من معاجم اللغة الكثيرة التي عرفتها المكتبة العربية ، وكان ابن منظور (١) قد أذاع في الناس معجمه الكبير« لسان العرب » الذي شُهِر ، في ذلك الوقت ، وكتب عنه علماء عصره ، يثنون عليه ، ويصفونه بالحسن - كما يقول الصفدي - ولكنه لم ير إلا المجلد الأول منه فقط (٢) ؛ ولذلك كان اعتماده كله على الصحاح .

ولفظ العين كأنَّما هو يحتضن الوجود الإنساني كله ، وتُقْتَنَص فيه صور الحياة بكل مظاهرها في اختلافها ، وتنوعها ، وحيويتها ؛ فالمعاني التي نجدها لهذا اللفظ تتخذ من الإنسان مرتكزا لها ، ومحورًا تدور حوله :

في : نفسه ، وصفاته

وفيما تقوم به حياته من : مال ، وماء ، وغذاء .

وفيما يحيط به من أرض ، وسماء .

وفيما بين السماء والأرض من طير ، وحيوان ، ونبات ، وتلخيص هذه المعاني كالآتي :

---

(١) أبو الفضل ، محمد بن مكرم بن علي ، جمال الدين ، ابن منظور ، الأنصاري ، الرويفعي ، الإفريقي ، المصري (٦٣٠- ٧١١ هـ) لغوي ، أديب شاعر عمل في ديوان الإنشاء ، بالقاهرة ، وولي القضاء ، في طرابلس ، وكان من المكثرين في التأليف ، اختصر الكثير من أمهات كتب الأدب ، واللغة .

انظر : الوافي بالوفيات ٥ / ٥٤ ، وتاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ق ٦ / ٦٤ والأعلام ١٠٨/٧ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٤٦ .

(٢) انظر : الوافي بالوفيات ٥ / ٥٦ ، نكت الهميان في نكت العميان ٢٧٦ .

فى أعضاء الجسم : تدل العين على عضو البصر .

وعلى عين الركبة : وهى قَلْتٌ [1] فى مُقَدَّمها ، ولكل ركبة عينان ، وهما : نقرتان فى مقدمها عند الساق .

فى صفات الإنسان : تدل العين على : عِظَمِ سواد العين ، وسعتها .

وتدل على الكرام من الناس أو خيارهم ، وسَرَاتِهم ، وأشرافهم ، وأفاضلهم ، أو الرئيس فيهم .

وتدل على الجاسوس ، والديدبان ، والرقيب أو الربيئة ، والطليعة للعسكر ، وغيره .

وتدل على الفرد الواحد أو الجماعة من الناس .

وتدل على ذات الشخص أو نفسه ، و تدل على منظره وشاهده ، كما تدل على الإخوة الأشقاء لأب وأم .

فى سلوك الإنسان : تدل على الرعاية ، والحفظ ، والكِلاءة ، والإكرام ، والإشفاق .

في ما يؤذيه : تدل على الإصابة بالعين ، والإصابة فى العين ، ومرض فى الجلد .

فى لغته : تدل على حرف من حروف معجمه اللغوى .

فى ثروته من المال : تدل على الذهب ، و الدينار ، وقيل : الدينار الراجح بمقدار ما يميل معه الميزان ، وسبعة دنانير ، ونصف دانق ، والنقد ، والمال العتيد الحاضر أو الناض [2] .

وعائنة القوم : أموالهم ورعيانهم .

فى آلاته : تدل على عين الميزان ، وهو ميل فيه ، قيل : أَنْ ترجح إحدى كِفَّتيه على الأخرى .

---

(١) **القَلْت** : كل نقرة فى أرض أو بدن ، انظر : اللسان « قلت » ٢ / ٧٢ .

(٢) **النَّضّ** : الدرهم الصامت ، والناض من المتاع : ما تحوَّل وَرِقًا أو عينا ، وقال الأصمعى : اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز النَّاضّ والنَّض .

انظر : اللسان « نضض » ٧ / ٢٣٧ .

وحديدة الفدان أو اللُومَة ، وهى السِنَّة التى يُحْرَث بها .

وأسود العين وأصفر العين من الجوارح التى يصطاد بها . وعين القوس : الجلدة التى يوضع فيها البندق .

فى غذائه : تدل العين على ضرب من العنب .

والثور الوحشى ، وبقر الوحش وهو اسم جامع لها كالعيس للإبل [1] .

ونوع من الطيور .

فى شرابه : تدل على : ينبوع الماء ، والرَّكِيَّة [2] ، والسحاب ، ومطر يدوم أياما لا يقلع ، وقيل يدوم خمسة أيام وأكثر لا يقلع .

فى بيئته : تدل على الناحية من الأرض أو الصُّقْع ، وموضع بعينه ، ومكان عن يمين القبلة .

وبها سُمِّيت كثير من المدن كرأس العين ، وعين التمر ، وقرية باليمن ، وغيرها .

وأسود العين : اسم لجبل .

وتدل على الشمس ، أو صَّيْخَدها [3] ، أو شعاعها الذى لا تثبت عليه العين .

ومادة « العين » من أكثر مواد اللغة استعمالا ، فى صورها التركيبية ، وتَنَوُّع مشتقاتها ، ففى مجمع الأمثال - وحده - وردت كلمة العين مفردة ومثناة ومجموعة فى ستة وسبعين مثلا فإذا أضفنا إلى اللفظ « مرادفاته » : كالمقلة ، والطرف ...

و« أجزاءه » : كالحدقة ، والحنديرة ، واللحظ ، والجفن ....

و « وظائفه » : كالبصر ، والرؤية ، والنظر ...

و « كناياته » : كالحبيبة ، والكريمة .....

تضاعف هذا العدد أضعافا كثيرة ، وفى لسان العرب من الأفعال المجردة والمزيدة ، وتعدد معانيها خير دليل على سعة هذه المادة .

---

(١) معجم العين ٢ / ٢٥٥ .

(٢) الرَّكِيَّة : البئر تحفر ، من ركوت أَىْ حفرت ، والجمع « رَكِيّ » و « ركايا » . انظر: اللسان « ركا » ١٤ / ٣٣٤ .

(٣) الصَّيْخَد : عين الشمس ، سُمى به لشدة حرها ، انظر : اللسان « صخد » ٣ / ٢٤٤ .

وقد اختلف العلماء في جملة المعاني التي استعملت فيها كلمة العين ، فياقوت الحموي (١) يورد للعين عشرين معنى (٢) والزبيدي يذكر أنَّ بهاء الدين السبكي (٣) أوصل معاني « العين » إلى خمسة وثلاثين معنى في قصيدته « العينية » (٤) .

وأوصلها الفيروزابادي في القاموس المحيط إلى سبعة وأربعين معنى مرتبة على حروف الهجاء ، وفي كتابه البصائر ما ينيف على الخمسين معنى ، ورتَّبها - أيضا - على حروف الهجاء ، وأضاف الزبيدي : « قال شيخنا (٥) - يريد : ابن الطيب الفاسي - رحمه الله تعالى - : معاني العين زادت عن المائة ؛ قصَّر المصنف - رحمه الله تعالى - عن استيفائها » (٦) .

والذين يكَثِّرون في معاني العين يتوهَّمون أشياء لا أساس لها ، فالفيروزابادي - مثلا - يقول : إنَّ من معاني « العين » : العيب ، والعز ، والعلم (٧) .

فمن أين جاء بهذه المعاني ؟ .

تذكر مصادر اللغة أنَّ من معاني العين (٨) :

---

(١) أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله ، شهاب الدين ، الرومي ، الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ) مؤرخ ، جغرافي ، أديب ، لغوي ، نحوي ، أهم مؤلفاته معجم الأدباء . انظر : تاريخ إربل ١ / ٣١٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣١٢ ، والأعلام ٨ / ١٣١ ومعجم المؤلفين ١٣ / ١٧٨ .

(٢) انظر : معجم البلدان « عين » ٤ / ١٧٤ .

(٣) أبو حامد ، أحمد بن علي بن عبد الكافي ، بهاء الدين ، السبكي ، المصري (٧١٩ - ٧٧٣هـ) فقيه ، أصولي ، سمع بمصر ، والشام ، وولي قضاء الشام ، ومات مجاورا بمكة . انظر : الوافي بالوفيات ٧ / ٢٤٦ ، وألحان السواجع ١ / ١٠٠ ، إنباء الغُمْر ١ / ٢١ ، الدليل الشافي ١ / ٦٢ ، حسن المحاضرة ١ / ٤٣٥ والدارس ١ / ٣٦٦ ، درة الحجال ١ / ١٠٠ ، الأعلام ١ / ١٧٦ ، معجم المؤلفين ٢ / ١٢ .

(٤) انظر : تاج العروس « عين » ٩ / ، ورواها الصفدي في هذا الفصل .

(٥) أبو عبد الله ، محمد بن الطيب بن محمد بن محمد ، الشَّرَقِيّ ، الفاسي ، المالكي (١١١٠ - ١١٧٠ هـ) محدث ، عالم باللغة ، والأدب ، مولده بفاس ووفاته في المدينة المنورة ، له مؤلفات كثيرة ، منها موطَّئة الفصيح . انظر : الأعلام ٦ / ١٧٧ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١١١ .

(٦) انظر : التاج « عين » ٩ / ٢٨٧ ، وفي موطَّئة الفصيح ١ / ٦٩ ذكر الفاسي أنَّ معاني « العين » نحو خمسة وعشرين معنى فقط .

(٧) بصائر ذوي التمييز ٤ / ٥ .

(٨) العين ٢ / ٢٥٥ ، والتهذيب ٣ / ٢٠٦ ، ومجمل اللغة ٣ / ٦٤١ ...

١ - الثَّقْب في المزادة .
٢ - وتَعَيُّن السقاء : أى : بَلِىَ ورَقَّ منه مواضع ، فلم يمسك الماء .
٣ - العيون بالجلد : وهى دوائر رقيقة ، وذلك حيث يقولون : تَعَيَّن الجلد .
٤ - والميل فى الميزان ، وهو عيب فيه .

فاستدل الفيروزابادى من هذه المعانى على أَنَّ العين تدل على « العيب » مطلقا [١] .

كما استنتج معنى « العِزّ » من دلالة العين على أشراف القوم وأفاضلهم .

واستدل على معنى « العلم » من دلالة العين على اليقين ، وعلى حقيقة الشىء ، يقال : جاء بالأمر من عين صافية ، أى : من فَصِّه وحقيقته [١] .

وهذه النتائج التى توصل إليها اجتهاد شخصى منه ، لانجد لها سندا فى المعاجم الأخرى ، أو الاستعمال الأدبى .

ويبدو أَنَّ هذا هو الباب الذى ولجه الفاسى ؛ ليدَّعى أَنَّ معانى العين زادت على المائة ، ولعل اتساعهم فى استعمال اللفظ أوحى للغَزَّالى القول بأَنَّ من معانى العين « الدنيا » [٢] ؛ وهو ما يؤكد ما ذهبت إليه من احتضان اللفظ للوجود الإنسانى كلِّه .

وبالرغم من هذه الكثرة فى معانى كلمة العين ؛ فقد أنكر فريق من العلماء أن تكون« العين » من المشترك اللفظى [٣] ، ويعزون تعدد المعانى إلى المجاز .

وفى الفصل التالى سيأتى تفصيل الحديث عن ظاهرة المشترك اللفظى : أسبابها ، وصورها ، ووظائفها .

والخطة التى سلكها الصفدى فى تصنيف هذا الفصل هى أَنْ يصوغ منه عقدا فريدا ، يفصل بين لؤلؤ حباته اللغوية جواهر المعارف والملح ؛ فهو ينقل المادة اللغوية من « الصحاح » ، ويتوقف عند كل معنى من معانيه ، فيذكر شواهده : أبياتا من روائع الشعر ، أو فِقَرًا من فنون النثر كالقصص ، والأمثال ، إلى جانب شذرات من الرسائل الإخوانية ، والمكاتبات الديوانية ، وهو فى كل هذا يستطرد من طرفة أدبية ،

---

(١) بصائر ذوى التمييز ٤ / ٦ .
(٢) معيار العلم ٨٦ .
(٣) منهم د / علىعبد الواحد وافى ، انظر : فقه اللغة ١٩١ ، والحاشية .

إلى رواية تاريخية ، ثم ينتقل إلى الرياضة العقلية فيذكر بعض الألغاز والمُعَمَّيات ، وما يتحاجى به أهل القرآن ؛ لاختبار حفظهم لآياته ، وسرعة بديهتهم فى الفهم ، ويعرض الصفدى بضاعته من المعارف العامة فى التراجم ، وأسماء الرجال ، والكتب ، وأنواع الجوارح ، ويمكن حصر استطراداته فى المعانى الآتية :

١ - لغز حلُّه « العين » الباصرة .

٢ - التورية بحرف « العين » ملغزا فى : بجع ، شمع ، ماش ، لغلغ ، قبع ، ضبع ، قدم ، قوس البندق ، خركاه ، مملوك اسمه سودكين .

٣ - الترجمة لأحد عشر رجلا جاءت كلمة « العين » - مكبرة أو مصغرة - فى أسمائهم أو كناهم أو ألقابهم .

٤ - ذكر ثلاثة وعشرين كتابا يحمل عنوانها كلمة « العين » - مفردة أو مضافة - مابين متن وشرح ، وخمسة عناوين لمختصرات فيها طرافة .

٥ - تشبيه النرجس بالعيون ، والشاعر يريد العيون بمعنى : الدنانير الذهبية ، فلا يتبادر إلى الذهن الصورة المعتادة فى تشبيه العيون بالنرجس .

٦ - من أعلام البقاع والأماكن : الجبل المسمى بـ « أسود العين » ، والمدينة المسماة « رأس عين » وما ورد فى وصفها .

٧ - أصحاب الصيد بالجوارح يسمون فصيلة الصقور بأسود العين ، وفصيلة البازى بأصفر العين ، ويروى ستة مقاطع شعرية فى صفات الجوارح .

٨ - يذكر جملة من كنايات العين التى شاعت فى عصره ، من مثل قولهم « على عينك يا تاجر » بمعنى : الجهر والظهور ، وقولهم : « العين الصافية » : بمعنى عين الواشى ، و « عين البوم » بمعنى الدينار ، ومثل « كُسِرَتْ عينه » من الإحساس بالذنب ، أو الحياء .

٩ - يروى اثنتى عشرة قطعة من الشعر فى العُور ، وما يستطرف من أخبارهم .

١٠ - ويروى قطعتين فى وصف الدروع ، جاء فيها « ضيق العين » بمعنى البخل .

١١ - فى البيتين الآتيين تتبع الصفدى أقوال العلماء والشعراء فى تفسيرهما ، وحل الرمز فيهما ، وتطرق إلى الحروف التى تصلح رَوِيًّا ، والتى لاتصلح فى قوافى

الشعر ، وما رآه هو مناسبا لحل اللغز فيهما ، والبيتان هما :

رُبَّمَا عَالَجَ القَوَافِي أُنَاسٌ   تَلْتَوِي تَارَةً لَهُمْ وَتَلِينُ
طَاوَعَتْهُمْ عَيْنٌ ، وَعَيْنٌ ، وَعَيْنٌ   وَعَصَتْهُمْ نُونٌ ، وَنُونٌ ، وَنُونٌ

والبيتان للحسين بن عبد السلام ، مولى الكردوسيين ، وقد ذاع أمرهما ، وكثر تناول الأذكياء لهما محاولين كشف سرهما ، نظما ونثرا ، وربما ظل بعضهم يفكّر فيهما شهورا طويلة ، وربما حرماهم النوم في ليلهم ، والراحة في نهارهم .

ويذكر الصفدى (١) أنّ محمد بن الجهم (٢) قد كتبهما في المعمّى وبعث بهما إلى عفيف الدين النحوى (٣) الذى كتب عنهما كتابا سمّاه « إظهار السر المكنون في عين وعين وعين ونون ونون ونون » (٤) .

١٢ - يختم الصفدى الفصل بجملة من الرسائل استخدم فيها كاتبوها العين بمعانيها المختلفة .

وأخيرا يروى القصيدة النونية للبهاء السبكى .

وليس من المبالغة في شيء القول بأنّه يندر أنْ تجد فصلا في كتاب حوى ما حواه هذا الفصل من فنون القول ، وضروب المعرفة ، وتنوع الأغراض ، إلى جانب ما اشتمل عليه من الملح والنوادر في إطار غَنِيّ من الثقافة اللغوية الراقية .

---

(١) في عبارة الصفدى ما يفيد أنّ ابن الجهم بعث بهما إلى ابن عدلان ، وكأنه معاصر له ، فإمّا أنْ يكون ابن الجهم هذا شخص آخر غير المعروف بهذا الاسم ، والمترجم في الحاشية التالية ، وإمّا أنْ يكون في الكلام سقط ، والمرسِل إلي ابن عدلان شخص لم يذكر الصفدى اسمه ، وهو الأرجح ؛ لأنّه يسأله إنْ كان قد قرأ البيتين ، وفكر فيهما قبل جوابه ، وقد عجب من سرعة بديهته ، في الجواب ؛ مما يرجح أنّه كان معاصرا له .

(٢) أبو عبد الله ، محمد بن الجهم ، السِّمَّرى (١٨٨ - ٢٧٧ هـ) أديب ، قارئ ، محدث ثقة ، وهو تلميذ الفراء ، وراويته ، له كتاب « المعمى » في أحاجي العرب . انظر : تاريخ الطبرى ٨ / ٦٦٥ ، وتاريخ بغداد ٢ / ١٦١ ، والمنتظم ٥ / ١٠٨ ، واللباب ٢ / ١٣٨ ، ومعجم الأدباء ١٨ / ١٠٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣ / ١٦٣ ، والوافي بالوفيات ٢ / ٣١٣ ، ولسان الميزان ٥ / ١١٠ ، وغاية النهاية ٢ / ١١٣ .

(٣) أبو الحسن ، على بن عدلان ، الرَّبَعى ، الموصلى ، عفيف الدين (٥٨٣ - ٦٦٦ هـ) عالم ، نحوى ، أديب ، توفي بالقاهرة ، وانفرد بحل المترجم والألغاز ، انظر : ذيل مرآة الزمان ٢ / ٣٩٢ ، والوافي بالوفيات ٢١ / ٣٠٨ وعقد الجمان ٢ /٣٧ ، والسلوك ١ / ١ / ٥٧٥ ، والنجوم الزاهرة ٧ / ٢٢٦ ، والأعلام ٤ / ٣١٢ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ١٤٩ .

(٤) انظر : الوافي بالوفيات ٢١ / ٣٠٩ .

العين لفظ مشترك

شغلت قضية الدلالة كثيرًا من البيئات العلمية العربية ، وبخاصة بيئة الأصوليين ، ويتحدث العلماء عن قسمة ثلاثية تحكم العلاقة بين اللفظ والمعنى [1] ، ولعَلَّ أوَّل من أشار إليها ، وكتب عنها سيبويه [2] بقوله :

« اعلم أَنَّ من كلامهم :

اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين .

فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو : جلس ، وذهب .

واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو : ذهب ، وانطلق .

واتِّفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وَجَدْت عليه من [المَوْجِدة] ، ووَجَدْت : إذا أَرَدْتَ [وُجْدَان الضالة] ، وأشباه هذا كثير» [3] .

فالقسمة هى :

١ - الألفاظ المختلفة للمعانى المختلفة ، ويسمونها المتباين :

les differents

٢ - الألفاظ المختلفة للمعانى المتفقة ، ويسمونها المترادف :

les synonyme

٣ - الألفاظ المتفقة للمعانى المختلفة ، ويسمونها المشترك :

les homonymes

---

(١) راجع : العشرات فى غريب اللغة ، للزاهد ٥ ، والخصائص ٢ / ٩٣ ، والصاحبى ١١٤ ، والعشرات فى اللغة ، القزاز ٢٦ ، واتفاق المبانى ٨٩ ، وجمع الجوامع ١٣٥ ، وحاشية البنانى ١ / ٢٦٩.

(٢) أبو بشر ، عمرو بن عثمان بن قَنْبر، البصرى ، الحارثى بالولاء ، الملقَّب بسيبويه (١٤٨ - ١٨٠ هـ) إمام النحاة ، وأول من بسط علم النحو .

انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [١٧١ - ١٨٠] ١٥٤ وفى الحاشية جريدة مصادر ، وانظر : الأعلام ٥ / ٨١ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٠ .

(٣) الكتاب ١ / ٢٤.

الألفاظ المتباينة

وهى الأصل ؛ لأَنَّ اللغة هى أداة التفاهم ، وهى وسيلة التواصل بين الناس ، ومن العلماء مَنْ يجعل وظيفة اللغة أكثر من مجرد التوصيل والتعبير [1] ؛ لذلك تقتضى حكمة الوضع أَنْ تدل الألفاظ المختلفة على المعانى المختلفة بالحَدِّ والحقيقة ، كالرَّجُل ، والحديد ، والشمس .

ومن المتباين

* المشتق مع المشتق منه ، كالحديد والحدَّاد ، والعدل والعادل .
* والمنسوب مع المنسوب إليه ، كالنحو ، والنحوىّ .

وأطلق الإمام الغَزَّالى على« الألفاظ المتباينة « اسم» الألفاظ المتزايلة » [2] وجعل من أقسامها : المتواطئة ، والمشككة ، والمتشابهة .

المتواطئة : وهى الأسماء المشتركة فى الحد والرسم ، المتساوية فيه بحيث لا يكون الاسم لواحد من أفراده بمعنى إلا وهو لكل الأفراد الآخرين بذلك المعنى نفسه ، فلا تتفاوت فيما بينها بصفة من الصفات الست التى يقال فيها : بـ [الأولى والأحرى] ، أو [التقدم والتأخر] ، أو [الشِّدة والضَّعف] ، وسُمِّى متواطئا من التواطؤ أى : التوافق ؛ وذلك لتوافق أفراد معناه فيه ، ومثال المتواطئ إطلاق اسم « الإنسان » ؛ للدلالة على أفراده من زيد وعمرو ، وغيرهما ، واسم « الحيوان » ؛ للدلالة على أفراده من الفرس والثور ، وغيرهما .

المشككة : قد يدل الاسم الواحد على شيئين مختلفين يجمعهما معنى واحد فى نفسه ، ولكن يختلف ذلك المعنى بينهما من جهة أخرى ، وهو نوعان :

المشكك المطلق :

وهو الذى يختلف فيه المعنى فى الشيئين المختلفين ، من جهة ما من الجهات

---

(١) الشعر واللغة ٤ ، واللغة والمجتمع ١٦.

(٢) زال الشىء وأزاله : فرّقه فتفرق . انظر : اللسان « زيل » ١١ / ٣١٦ .

الست ، المشار إليها ، بحيث : ! يكون أحدهما أولى به من الآخر ! أو مقدم به عنه . ! أو أشد فيه منه .

ومَثَّلَ الغَزَّالي للنوع الأول بكلمة « **الوجود** » فإنَّه لبعض الأشياء من ذاته ، ولبعضها من غيره ، فيكون ماله الوجود من ذاته « **أولى وأحرى** » بالاسم مما له الوجود من غيره .

ومثَّل للنوع الثاني بكلمة « **الوجود** » - أيضا - لبعض « **الموجودات** » ، فإنَّه معنى واحد في الحقيقة ؛ ولكن يختلف بالإضافة إلى المسميات ؛ فإنّه يكون للجوهر قبل ما هو للعَرَض ، ويكون لبعض الأَعْرَاض قبل بعضها الآخر ؛ فهذا « **بالتقَدُّم والتَّأَخُّر** » .

ومثَّل للنوع الثالث بصفة « **البياض** » في كل من : العاج والثلج ؛ فإنَّه لا يقال عليهما بالتواطؤ المطلق المتساوى ؛ بل أحدهما « **أشد بياضا** » من الآخر .

المشكك بحسب النسبة إلى شيء :

أ - فقد يكون بحسب النسبة إلى مبدأ واحد ، مثل كلمة « طِبِّى » لـ [الكتاب ، والمِبْضَع ، والدواء] .

ب - وقد يكون بحسب النسبة إلى غاية واحدة ، مثل كلمة « صِحِّى » لـ [الدواء ، والرياضة ، والفَصْد] .

جـ - وقد يكون بالنسبة إلى مبدأ وغاية واحدة ، مثل كلمة « إلهية » لـ [جميع الأشياء] .

وسُمِّيَ مُشَكِّكًا لتشكيكه الناظر فيه في أنَّه متواطئ ، أو غير متواطئ ، وسبب هذا الشَكِّ ؛ أنَّك إذا نظرت إلى جهة اشتراك الأفراد في أصل المعنى ظننت أنَّه متواطئ ، وإذا نظرت إلى جهة الاختلاف ظننت أنَّه غير متواطئ .

المتشابهة : وهى الأسماء التى تطلق على أشياء لا يجمعها معنى واحد ، ولكن بينها تشابه ما ، في الشكل أو الحال ، كإطلاق كلمة « الإنسان » على الإنسان الحقيقي ، وعلى تمثال له ، على شكله من الطين أو الحجر .

فليس هذا بالتواطؤ ؛ لاختلافهما بالحَدِّ .

فحد الأول : « حيوان ، ناطق ، مائت » .

وحد الثاني : « شكل صناعي يُحاكَى به صورة الحيوان الناطق المائت » .

وكإطلاق كلمة « القائمة » لعضو الحيوان ، وجزء السرير ؛ وذلك لاختلاف الحد فيهما .

فحد الأولى : أنَّها « عضو طبيعي يقوم عليه الحيوان ، ويمشي به » .

وحد الثانية : أنَّها « جسم صناعي مستدير في أسفل السرير ، ليُقِلَّه » ومثل هذا الاسم المتشابه يكون موضوعا في أحدهما وضعا متقدما ، ويكون منقولا إلى الآخر .

والتشابه على ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون في صفة قارَّة ، ذاتية ؛ كصورة الإنسان .

والثاني : أن يكون في صفة إضافية ، غير ذاتية ، كاسم « المبدأ » لـ [طرف الخط ، والعلة] [1] .

والثالث : أنْ يكون التشابه جاريا في أمر بعيد ، كإطلاق اسم « الكلب » على الحيوان المعروف ، وعلى نجم مخصوص ، إذ لا تشابه بينهما إلا في أمر بعيد مستعار ؛ لأَنَّ النجم رُؤِى كالتابع للصورة التى على هيئة الإنسان ، ثم وجد الكلب أتبع الحيوانات للإنسان ، فسمي باسمه ، ولا عبرة بمثل هذا الاشتباه ، ولهذا ينبغي أنْ يلحق بالمشترك المحض [2] .

وذكر البنَّاني [3] اختلاف الآراء حول المشكك ، فقد أنكر وجوده ابن التلمساني [4] وقال : « لا حقيقة للمشكك ؛ لأنَّ ما به التفاوت إنْ دخل في التسمية ، فاللفظ مشترك ، وإلا فهو متواطئ » [5] ، وأجاب عنه القرافي [6] قال :

---

(١) مخطوطة العمومية من « صرف العين » تبدأ بهذا المثال .

(٢) انظر : معيار العلم ، للغزالي ٨٢ - ٨٤ .

(٣) عبد الرحمن بن جاد الله ، البنَّاني ، المالكي (ت ١١٩٨ هـ) فقيه ، أصولي ، أصله من بنانة ، إحدى قرى منستير ، بإفريقية ، قدم مصر ، وجاور بالأزهر ، انظر : الأعلام ٣ / ٣٠٢ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٣٢

(٤) أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن علي ، شرف الدين ، الفهري ، التلمساني ، الشافعي (٥٦٧ - ٦٤٤ هـ) فقيه ، أصولي ، تصدر للإقراء بمصر ، انظر : الأعلام ٤ / ١٣٥ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٣٣ .

(٥) انظر : حاشية البناني ١ / ٢٧٥ .

(٦) أبو العباس ، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن ، شهاب الدين ، الصنهاجي المالكي ، القرافي =

« بأنَّ كلا من المتواطئ والمشكك موضوع للقدر المشترك ، لكن التفاوت إنْ كان بأمور من جنس المسمى « فالمشكك » ، أو بأمور خارجة عن مسماه - كالذكورة ، والأنوثة ، والعلم ، والجهل - فالمتواطئ » [1] .

وقد قسّم ابن بِنِين [2] الألفاظ المتباينة أقساما أخرى ، توضِّح طرق الاختلاف بين الألفاظ والمعانى [3] ، ومن هذه الأقسام :

أ - اختلاف لفظى ومعنوى مطلق : وهو الأصل الذى تقوم عليه اللغة ؛ إذ يختص كل لفظ بدلالة معينة لا يشاركه فى ذلك لفظ آخر ، نحو : يشرب ، حَجَر ، كوكب ، فيل ، فلا يوجد تشابه بين هذه الكلمات فى اللفظ ، من ناحية ، كما لا يوجد تشابه بين ما تدل عليه من معان ، من ناحية أخرى .

ب - اختلاف لفظى مقيد ومعنوى مطلق :

وهو أنواع منها :

١ - العشرات : وهى ألفاظ متفقة فى أمور ، ومختلفة فى أمور ، فهى جميعا ذات وزن صرفى واحد ، ومشتركة فى الحرف الأخير ، مثل :

البَخْع : قتل النفس أسفا ، **والبَدْع** : اختراع الشىء .

والبَكْع : استقبال الرجل ما يكره .

والبَلْع : الكثير الصمت ...

فالاتفاق الشكلى لا يتعدى ظاهر الكلمات بينما الاختلاف مطلق بين معانيها .

= (٦٢٦ - ٦٨٤ هـ) فقيه ، أصولى ، مفسر ، مثّال ، مصرى المولد ، والنشأة ، والوفاة ، انظر : الوافى بالوفيات ٦ / ٢٣٣ ، ودرة الحجال ١/ ٨ ، والدليل الشافى ١ / ٣٩ ، والمنهل الصافى ١ / ٢٣٢ ، وحسن المحاضرة ١ / ٣١٦ ، والأعلام ١ / ٩٤ ، ومعجم المؤلفين ١ / ١٥٨ .

(١) انظر : حاشية البنانى ١ / ٢٧٥ .

(٢) أبو الربيع [أو أبو عبد الغنى] ، سليمان بن بنين بن خلف ، تقى الدين ، المصرى ، الدقيقى (ت ٦١٤ هـ) نحوى ، فرضى ، عروضى ، له تصانيف كثيرة ، انظر : التكملة لوفيات النقلة ٤ / ٢٩٠، والوافى بالوفيات ١٥ / ٣٥٦ ، والأعلام ٣ / ١٢٢ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٢٥٦ .

(٣) هذا عرض موجز للباب الأول من كتابه « اتفاق المبانى وافتراق المعانى » وعنوان الفصل « ما اختلف لفظه واختلف معناه » ، استنبطها د / يحيى عبد الرءوف جبر ، محقق الكتاب ، ص ٣٦ - ٤٠ .

٢ – **الألفاظ المتشابهة** : فى الوزن الصرفى ، من جذور لغوية مختلفة يوهم ظاهرها أنَّ أحد اللفظين فاعل ، والثانى مفعول ، مثل :

المُذَرِّع – بالكسر – المطر الذى يرسخ فى الأرض قدْر ذراع .

والمُذَرَّع – بالفتح – الذى أمه أشرف من أبيه .

٣ – **الألفاظ المتشابهة** : فى البناء ، ويوهم ظاهرها أنَّ أحد الاسمين مذكر والآخر مؤنث ، مثل : الرَّمِيّ – كغَنِيّ – سحابة عظيمة القطر، والجمع أَرْمِية ، والرَّمِيَّة : الصيد يُرْمى .

٤ – **الألفاظ المتشابهة** : فى الوزن ، ومختلفة فى الحروف ، يوهم ظاهرها أنَّ الاسمين من لغتين مختلفتين ، إحداهما تهمز ، والأخرى لا تهمز ، مثل :

الدنىء – مهموز – : الخسيس .

والدنىّ – غير مهموز – : القريب ، مأخوذ من الدُّنو .

٥ – **الألفاظ المتشابهة** : فى الوزن ، ومختلفة فى الضبط ، ويوهم ظاهرها أنَّ الاسمين حالتهما واحدة ، مثل :

الثَّناء – بالفتح – : عقال البعير ، وغيره مشتقة من حبل مثنى ، وكل واحد من ثنيين ، فهو ثَناء .

والثِّناء – بالكسر – جمع الثَّني من البهائم ، وهو من أسنانها .

٦ – **الألفاظ المتشابهة** : فى الوزن ، ومختلفة فى ترتيب الحروف بالتقديم والتأخير ، فينشأ عنها اختلاف فى المعنى ، مثل :

خَصِر : للذى يجد البرد ، فإذا كان مع البرد جوع ، قيل : خَرِص [(١)] .

جـ – اختلاف لفظى ومعنوى مقيَّد بأثر إعرابى :

والقيد – هنا – خارج نطاق الكلمة ، ففى الحديث الشريف :

(لا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بعد اليوم ، ولا يُقْتَصُّ منه)

فالفعل المضارع الواقع بعد « لا » يروى بالرفع ، ولا نافية ، ولا يجوز الجزم باعتبار لا ناهية ، لأنَّ المعنى يختلف ؛ فإذا قُرِئَ بالجزم ، على جهة النهى ، لأوجب

---

(١) انظر : اللسان « خصر » ٤ / ٢٤٣ .

ألاَّ يُقْتَل القُرَشِيّ وإنْ ارتدّ ، ولا يُقْتَصّ منه و إنْ قَتَل النفس ، وهو مخالف للشرع .

وإذا قُرِئ الفعل بالرفع ؛ كان المقصود أنَّ قريشا لن يرتدّ منها أَحَدٌ بعد اليوم ، فيستحق القتل ، وهذا المعنى يستلزم أنْ تكون « لا » نافية ، لا ناهية ، فالإعراب هو الذى فرَّق بين المعنيين .

د – اختلاف لفظى ومعنوى مقيد بحركة ضبط :

فى بنية الكلمة مثل : سُبَّة : للرجل تَسُبُّه الناس ، و سُبَبَة : للرجل يَسُبُّ هو الناس ، فاللفظان من جذر لغوى واحد ، والمعنى فيهما واحد ، ولكن نتج عن اختلاف حركة البناء الداخلى اختلاف فى توجُّه المعنى نحو الشخص المقصود .

هـ – اختلاف لفظى بسيط :

ينتج عنه اختلاف معنوى فى مقدار هذا الاختلاف :

مثل : قَضَمَ : وهو الأكل بأطراف الأسنان .

وخَضَمَ : وهو الأكل بالفم كله .

وكلاهما ضرب من الأكل ، والضاد والميم مشتركتان بين اللفظين ، والقاف أخت الخاء ، فبين اللفظين تقارب فى المعنى ، بمقدار ما بين الحرفين المشتركين فيهما ، وبينهما اختلاف فى المعنى بمقدار ما بين القاف والخاء من اختلاف ، وقد كتب ابن جنى [(١)] بابا ، جعل عنوانه « باب فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى » [(٢)] ضرب فيه أمثلة كثيرة من هذا النوع .

و – اختلاف لفظى ومعنوى مقيد :

وهو مقيَّد بعلاقة اللفظ باسم اشتق منه هذا اللفظ :

ومن ذلك اشتقاقهم من « البطن » :

المُبَطَّن : للخميص البطن .

---

(١) أبو الفتح ، عثمان بن جنى ، الموصلى (٣٣٠ – ٣٩٢ هـ) أديب ، نحوى ، صرفى ، لغوى ، انظر : سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧ ، والشعور بالعور ١٦٣ ، والأعلام ٤ / ٢٠٤ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٥١ .

(٢) انظر : الخصائص ٢ / ١٤٥ .

البَطِين : للعظيم البطن خِلْقَة .

المِبْطان : للكبير البطن من كثرة الأكل .

البَطِن : للنَّهِم .

المَبْطون : للعليل البطن .

فهذه صفات كلها فى البطن ، وتشترك فى الأحرف الأصلية ، ونتج اختلاف الدلالة من اختلاف الصيغة التى اشتقت عليها الكلمة .

الألفاظ المترادفة

وهيالألفاظ المختلفة التى تدل على معنى يندرج تحت حد واحد ، ك [الخمر ، والراح ، والعقار] فإنَّ المسمى بهذه الأسماء الثلاثة يجمعه حد واحد ، وهو - كما يقول الغزالى - : « المائع المسكر المعتصر من العنب » ، والأسامى مترادفة عليه ، وكالإنسان والبشر ، وسمي مترادفا لترادفهما - أى تواليهما - على معنى واحد .

وقد أنكر بعض العلماء وجود المترادف فى اللغة على فئتين :

فئة تنكر وقوعه مطلقا :

منهم : محمد بن زياد ، ابن الأعرابى [1] ، وثعلب [2] ، وابن دُرُسْتَوَيْه [3] ،

(1) أبو عبد الله ، محمد بن زياد ، ابن الأعرابى ، الكوفى (١٥٠ - ٢٣١ هـ) راوية ، نسّابة ، من علماء اللغة ، أملى على الناس ما يحمل على أجمال ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٢٣١ - ٢٤٠] ص ٣٢٠ ، وبالحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٦ / ١٣١ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١١ .

(2) أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن زيد ، ثعلب ، الشيبانى بالولاء (٢٠٠ - ٢٩١ هـ) إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، راوية للشعر ، محدث ثقة .

انظر : نور القبس ٣٣٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٤ / ٥ ، والوافى بالوفيات ٨ / ٢٤٣ ، وشذرات الذهب ٢ / ٢٠٧ ، والأعلام ١ / ٢٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٠٣ .

(3) أبو محمد ، عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتَوَيْه ، الفارسى ، البصرى (٢٥٨ - ٣٤٧ هـ) من علماء اللغة والنحو ، كثير التصانيف ، وله عدة كتب شرع فيها ولم يكملها . انظر : الوافى بالوفيات ١٧ / ١٠٣ ، والأعلام ٤ / ٧٦ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٤٠ .

وأبوعلى الفارسى [١] ، وابن فارس [٢] ، وغيرهم .

وقد بيَّن التاج السبكى [٣] رأى هذه الفئة من العلماء ، فقال : « ذهب بعض الناس إلى إنكار الترادف ، فى اللغة العربية ، و زعم أنَّ كل ما يظن من ترادفات ؛ فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات ، كما فى الإنسان والبَشَر ؛ فإنَّ الأول موضوع له باعتبار النسيان ، أو باعتبار أنَّه يؤنس ، والثانى باعتبار أنَّه بادى البَشَرَة ، وكذلك الخَنْدَرِيس والعُقَار ؛ فإنَّ الأول باعتبار العتق ، والثانى باعتبار عَقْر الدَنّ لشدتها ، وتكلَّف لأكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب » [٤] .

وفئة ثانية تنكر وقوعه فى الأسماء الشرعية فقط :

ومنهم الإمام الرازى [٥] ؛ لأنَّ وقوعه فى اللغة على خلاف الأصل فى الوضع ؛ للحاجة إليه فى النظم والسجع ؛ وذلك منتف فى كلام الشارع [٦] .

ويرى ضرورة تقييد الترادف بعدم التباين فى المعنى ، وبعدم التوكيد ، وبعدم الإتباع ، فليس من الترادف « السيف والصارم » فأحدهما يدل على الذات ، والآخر

---

(١) أبو على ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، الفسوى ، الفارسى (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ) أحد الأئمة فى علوم اللغة ، كان يتهم بالاعتزال ، له تصانيف كثيرة ، وتوفى فى بغداد . انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٣٥١ - ٣٨٠] ص ٦٠٨ ، والوافى بالوفيات ١١ / ٣٧٦ ، والأعلام ٢ / ١٧٩ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٠٠ .

(٢) أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكرياء ، القزوينى ، الرازى ، المالكى (٣٢٩ - ٣٩٥ هـ) من أئمة اللغة ، والأدب ، له تصانيف كثيرة ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٣٨١ - ٤٠٠] ص ٣٠٩ ، والوافى بالوفيات ٧ / ٢٧٨ ، والأعلام ١ / ١٩٣ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٤٠ .

(٣) أبو نصر ، عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى ، تاج الدين ، السبكى (٧٢٧ / ٧٧١ هـ) من قضاة الشافعية ، مؤرخ ، أديب ، أصولى ، فقيه ، مولده بمصر ، ووفاته بدمشق ، انظر : ألحان السواجع ٥٠٥/١ ، والوافى بالوفيات ١٩ / ٣١٥ ، وتذكرة النبيه ٣ / ١٩١ ، والبداية والنهاية ١٤ / ٣١٨ ، والمنهل الصافى ٧ / ٣٨٥ ، والدليل الشافى ١ / ٤٣٣ ، والأعلام ٤ /١٨٤ ، ومعجم المؤلفين ٢٢٥/٦.

(٤) الابهاج فى شرح المنهاج ١ / ٢٣٧ ، والمزهر ١ / ٤٠٣ .

(٥) أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن الحسين ، فخر الدين ، القرشى ، التيمى ، البكرى ، الملقب بابن خطيب الرى (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) مفسّر ، شاعر ، واعظ ، كثير التصانيف ، انظر : التكملة لوفيات النقلة ٢ / ١١٢١ ، وسير أعلام النبلاء ٢١ / ٥٠٠ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى [الطبقة ٦١] ص ٢٠٤ ، ودول الإسلام ٢ / ١١٢ ، والإعلام بوفيات الأعلام ٢ / ٤٠٨ ، والأعلام ٦ / ٣١٣ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٧٩ .

(٦) انظر : حاشية البنانى ١ / ٢٩٠ .

يدل على الصفة ، والفرق بينه وبين التوكيد أنَّ أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر كالإنسان والبشر ، وفى التوكيد يفيد الثانى تقوية المعنى فى الأول ، والفرق بينه وبين التابع أنَّ التابع وحده لا يفيد شيئا ، كقولنا : عطشان نطشان ، فكلمة « نطشان » لا معنى لها [1] ، فالإتباع من أساليب العرب ، وهو أن تُتْبَع الكلمةُ الكلمةَ على وَزْنِها أو رَوِيِّها إشباعا وتأكيدا ، و رُوِى أنَّ بعض العرب سُئِل عن ذلك ، فقال : « هو شىء نَتِدُ به كلامنا » [2] .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس « أنَّ السر فى إنكار الترادف أنَّ أصحاب هذا الرأى كانوا من الاشتقاقيين الذين أسرفوا فى إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه ، حتى الأسماء الجامدة ، والأسماء الأجنبية عن اللغة العربية أبَوْا إلا أنْ يجعلوا لها أصلا اشتقت منه ... ولعل ابن دُرَيْد [3] فى كتابه « الاشتقاق » هو المسئول الأول عن هذه المدرسة ، فقد حاول إرجاع جميع أسماء القبائل ، والأمكنة المشهورة إلى أصل اشتقت منه .

ثم جاء ابن فارس فبلغ بهذا الاشتقاق الذروة ، وألَّف معجمه الذى سماه « مقاييس اللغة » ، واضعا نصب عينيه أنْ يجمع أكثر ما يمكن جمعه من كلمات يمكن أنْ تشتق لها أصول » [4] .

ويقول [5] : « بعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين يستشفون فى الكلمات أمورا سحرية ، ويتخيلون فى معانيها أشياء لا يراها غيرهم ، فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة ، يتبنَّون الكلمات ، ويرعونها رعاية كبيرة ، ينقِّبون عما وراء المدلولات ، سابحين فى عالم من الخيال ، يصوِّر لهم من دقائق

---

(١) المزهر ١ / ٤٠٢ .
(٢) الصاحبى ٢٧٠ .
وَتَِد : ثَبَّت ، انظر : اللسان « وتد » ٣ / ٤٤٤ .
(٣) أبو بكر ، محمد بن الحسن بن دريد ، الأزدى ، البصرى (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) من أئمة اللغة والأدب ، كان يقال : هوأشعر العلماء وأعلم الشعراء له كثير من المصنفات . انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٣٢١ - ٣٣٠] ٨٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٥ / ٩٦ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٢٢١ ، والأعلام ٦ / ٨٠ ، ومعجم المؤلفين ٩ / ١٨٩ .
(٤) فى اللهجات العربية ١٨٠ .
(٥) نفسه ١٨١ .

المعاني وظلالها ما لايدركه إلا هم ، ولا يقف عليه إلا أمثالهم ، وفي كل هذا مِنَ المبالغة ، والمغالاة ما يأباه اللغوى الحديث فى بحث الترادف » .

ومن العلماء فئة أخرى تثبته :

هذه الفئة من العلماء تُقِرُّ بوجود الترادف ، وتثبت وروده عن العرب ، ومنهم : الأصمعي [١] ، وأبو زيد الأنصارى [٢] ، وابن خالويه [٣] ، وتاج الدين السبكي ، وابن يعيش [٤] ، والفيروزابادى ، وغيرهم ، وحجّتهم فى ذلك ما ترويه كتب اللغة والأدب والسير من قصص وأحاديث تظهر وجود المترادف فى تعبيراتهم [٥] ، ولم ينكر أحد من العلماء شيئا من الرواية ، فنراهم يفسّرون اللفظ بمرادفه ؛ فابن دريد يروى عن أبى زيد الأنصارى أنّه سَأَلَ أعرابيا : « ما المُحْبَنْطِئ ؟ قال : المُتَكَأْكِئ . قال : قلت : ما المُتَكَأْكِئ ؟ فقال : المُتَآزِف . قال : قلت : ما المُتَآزِف ؟ قال : أنت أحمق » [٦] .

---

(١) أبو سعيد ، عبد الملك بن قريب - وقيل : اسم أبيه عاصم ، ولقبه قريب - الأصمعى ، البصرى ، الباهلى (١٢٢ - ٢١٦ هـ) أحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان . انظر : نور القبس ١٢٥ ، وتاريخ الإسلام ، للذهبى (٢١١ - ٢٢٠ هـ) ص ٢٧٤ ، و سير أعلام النبلاء ١ / ١٧٥ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ١٤٥ ، والوافى بالوفيات ١٩ / ١٨٧ ، والكنى والألقاب ٢ / ٣٩ ، والأعلام ٤ / ١٦٢ ومعجم المؤلفين ٦ /١٨٧ .

(٢) أبو زيد ، سعيد بن أوس بن ثابت ، الخزرجى ، الأنصارى (١١٩ - ٢١٥ هـ) من علماء اللغة ، والنحو ، والأدب ، انظر : الفهرست ٨٧ ، ونور القبس ١٠٤ ، ووفيات الأعيان ٢ /٣٧٩ ، وسير أعلام النبلاء ٩ / ٤٩٤ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ١٤٤ ، والعبر ١ / ٢٨٩ ، والوافى بالوفيات ١٥ / ٢٠٠، وغاية النهاية ١ / ٣٠٥ ، والأعلام ٣ / ٩٢ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ٢٢٠ .

(٣) أبو عبد الله ، الحسين بن أحمد بن خالَوَيْه ، الهمذانى (ت ٣٧٠ هـ) لغوى ، نحوى ، واختص بسيف الدولة الحمدانى وأولاده . انظر : الوافى بالوفيات ١٢ / ٣٢٣ ، والأعلام ٢ / ٢٣١ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٣١٠ .

(٤) أبو البقاء ، يعيش بن على بن يعيش ، موفق الدين ، الأسدى ، المعروف بابن يعيش ، وبابن الصانع (٥٥٣ - ٦٤٣ هـ) من كبار علماء العربية ، له تصانيف فى النحو والصرف ، أشهرها شرح المفصل ، وشرح التصريف الملوكى .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ / ١٤٤ ، والإعلام بوفيات الأعلام ٢ / ٤٣٧ ، والأعلام ٨ / ٢٠٦ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٢٥٦ .

(٥) انظر : فى اللهجات العربية ١٧٦ .

(٦) جمهرة اللغة « باب النوادر فى الهمز » ٣ / ٢٧١ ، وعنها فى المزهر ١/ ٤١٣ ، وانظر : فصول فى فقه العربية ٣١٦ .

ورُوِىَ عن أبى عثمان المازنى [1] أنّه قال : « سَمِعْتُ أبا سَرَّار الغنوى يقرأ : ﴿ فَحَاسُوا خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ [2] فقلت : إنّما هو « جَاسُوا » ، فقال : حاسوا ، وجاسوا واحد .

قال : وسمعته يقرأ ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا ﴾ [3] ؛ فقلت له : إنّما هو « نَفْسٌ » .

فقال : النَّسَمَةُ والنَّفْسُ واحد [4] .

وروى ابن جنى ، عن أبى يحيى عبد الحميد الحِمَّانى [5] ، عن الأعمش ، عن أنس [6] ، أنّه قرأ : ﴿ وَأَصْوَبُ قِيلاً ﴾ [7]

فقيل له : يا أبا حمزة ، إنّما هى : ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ .

فقال أنس : إنَّ أقوم ، وأصوب ، وأهيأ ، واحد [8] .

---

(١) أبو عثمان ، بكر بن محمد بن عثمان - وقيل : بقية ، وقيل : عدى - بن حبيب ، المازنى ، البصرى (ت ٢٤٩ هـ) أحد الأئمة في النحو والأدب ، كان ذا دين وورع ، وصنَّف التصانيف المشهورة فى العربية والتصريف .

انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٢٤١ - ٢٥٠] ص ١٨٦ ، والوافى بالوفيات ١٠ / ٢١١ ، والأعلام ٢ / ٦٩ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٧١ .

(٢) سورة الإسراء ١٧ : ٥ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٧٢ .

(٤) الأمالى ، للقالى ٢ /٧٨ ، وعنها فى المزهر ١ / ٤١٣ ، وفصول فى فقه العربية ٣١٦ ، وانظر : المحتسب ٢ / ٣٣٦ .

(٥) أبو يحيى ، عبد الحميد بن عبد الرحمن ، الحِمَّانى الكوفى (ت ٢٠٢ هـ) داعية ، محدث ، حدَّث عن الأعمش ، وسفيان الثورى ، روى له البخارى ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجة .

انظر : الأنساب ، للسمعانى ٣ / ١٧٥ ، وميزان الاعتدال ٢ / ٥٤٢ ، والوافى بالوفيات ١٨/ ٧٠ ، وتهذيب التهذيب ٦ / ١٢٠ .

(٦) أبو حمزة ، وقيل : أبو ثمامة ، أنس بن مالك بن النضر ، المدنى ، النجارى ، الخزرجى (١٠ ق . هـ - ٩٣ هـ) خادم رسول الله ﷺ ومن رواة الحديث

انظر : التاريخ الكبير ٢ / ٢٧ ، والمعارف ٣٠٨ ، والاستيعاب ١ / ١٠٨ ، والإصابة ١ / ٧١ ، وأسد الغابة ١ / ١٥١ ، وتهذيب الكمال ٣ / ٣٥٣ ، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٣٩٥ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٥٦ ، والأعلام ٢ / ٢٤ .

(٧) سورة المزمل ٧٣ : ٦ .

(٨) المحتسب ٢ / ٣٣٦ .

ويُعَلِّق ابن جني على قول أنس ، فيقول : « هذا يؤنس بأنَّ القوم كانوا يعتبرون المعانى ، ويخلدون إليها ، فإذا حَصَّلوها ، وحَصَّنوها سامحوا أنفسهم فى العبارات عنها » [(١)] .

ويرى هؤلاء المُقِرُّون لفكرة الترادف أنَّ الاستعمال يؤيِّدهم ؛ فمثلا « لا ريْب » لاتعنى شيئا أكثر من « لا شَكَّ » [(٢)] كما نرى الترادف فى القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول ﷺ .

وساق الدكتور إبراهيم أنيس بعض آيات القرآن الكريم التى تبرهن على وقوع الترادف فى كلمات القرآن من مثل قوله تعالى : ﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ [(٣)] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ [(٤)] .

ومثل قوله تعالى : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ [(٥)] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [(٦)] . ونشأ عن اختلاف الرأى أمران :

الأول : التَّزيُّد فى الترادف ، فأكثر فيه البعض ، وأدخل فيه ما ليس منه .

والثانى : كثرة المؤلفات التى ألفها المنكرون ، والمثبتون ، كل منهم ينتصر لرأيه .

فبالنسبة للأمر الأول لم يفرِّق المتزيدون بين المترادف حقيقة وبين ما نتج عن التَّطوُّر الصوتى للكلمات ، أو ما يمكن أنْ يكون بسبب التصحيف والتحريف ، وسنذكر أمثلة من هذه الكلمات عندما نبيِّن أنواع المترادف ؛ بل من المتباين ما يُظَنُّ أنَّه مترادف ، وهو ليس كذلك ؛ فإذا كان الموضوع واحدًا ، وتتعدد أسماؤه بحسب اعتبارات مختلفة يوهم الترادف ، وقد بيَّن الغزَّالى بعضًا من أنواعه ، قال : « فمن ذلك أنْ يكون أحد الاسمين له من حيث موضوعه ، والآخر من حيث له وصف ،

---

(١) المحتسب ٢/٢٣٦ .

(٢) فى اللهجات العربية ١٧٥ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٦٤.

(٤) سورة المؤمنون ٢٣ : ٣٢.

(٥) سورة يوسف ١٢ : ٩١.

(٦) سورة البقرة ٢ : ٤٧ ، وانظر : فى اللهجات العربية ١٨٠.

كقولنا : سيف ، وصارم ، فإنَّ الصارم دل على موضوع موصوف بصفة الحدة ، بخلاف السيف .

ومن ذلك أنْ يدل كل واحد على وصف للموضوع الواحد ، كالصارم ، والمُهَنَّد ؛ فإنَّ أحدهما :

يدل على [حدته] ، والآخر على [نسبته] .

ومن ذلك أنْ يكون أحدهما بسبب وصف ، والآخر بسبب وصف الوصف ، كالناطق ، والفصيح » [١] .

نشط المنكرون للترادف للاحتجاج لرأيهم ؛ فأخذوا يؤلفون الكتب في بيان الفروق اللغوية في الألفاظ المتقاربة في المعاني [٢] .

وفي رأى بعض الدارسين المحدثين [٣] أنَّ من كتب الفروق :

كتب «خلق الإنسان» .

والرسائل اللغوية التي ألفت في موضوعات خاصة ، مثل : الإبل ، والنبات ، والشجر ، والنخل ، والكَرْم ، للأصمعي ، وغيره .

كما ألف ابن خالويه كتابا في أسماء الأسد ، جمع فيه خمسمائة اسم ، وكتابا في أسماء الحية جمع فيه مائتين [٤] .

وذكر الفيروزابادى أربعة وثمانين اسما للعسل [٥] .

وزاد عليها السيوطي [٦] اسمين ، هما : الصَّرْخَدِيّ ، والسَّعَابِيب [٧] .

---

(١) معيار العلم ص ٨٤ .

(٢) انظر مقدمة كتاب « الفرق » ، لابن فارس ، ومقدمة كتاب « الفرق » لثابت بن أبي ثابت ١٠ ، ومقدمة كتاب « كتب خلق الإنسان مع تحقيق كتاب غاية الإحسان في خلق الإنسان » ، للسيوطي ١٨ .

(٣) انظر : دلالة الألفاظ ٢٤٠ ، وفي اللهجات العربية ١٧٤ ، ومقدمة الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة ٨٨ .

(٤) وفي الفهرست ص ٩٢ ألف محمد بن الحسن كتابا في « أسماء الخمر وعصيرها » .

(٥) الصاحبي ٤٣ ، ومعجم الأدباء ٩ / ٢٠٤ ، والمزهر ١ / ٣٢٥ ، ٤٠٧ .

(٦) أبو الفضل ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين ، السيوطي ، المصري (٨٤٩ - ٩١١ هـ) عالم مشارك في أنواع من العلوم ، ومن المصنفين المكثرين انظر : فهرس الفهارس و الأثبات ٢ / ١٠١٠ ، والأعلام ٣ / ٣٠١ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٢٨ .

(٧) المزهر ١ / ٤٠٩ .

وجمع دوهامر De Hammer المفردات العربية المتصلة بالجَمَل ، وشئونه ، فوصلت إلى أكثر من ٥٦٤٤ كلمة [١] .

وقيل : إنَّ أبا العلاء المعرى [٢] كان يعرف سبعين اسما للكلب [٣] .

ويبدو أنَّ الكلب من الحيوانات التى حظيت بتراث ضخم من الكلمات ، فابن إياس [٤] يذكر أنَّ الحاكم بأمر الله الفاطمى [٥] قد أعدم رجلا يقال له : « جبَّارة اللغوى » كان يعرف للكلب ثلثمائة اسم [٦] .

كما يعد منها : كتاب « فقه اللغة » للثعالبى [٧] ، وكتاب « المخصص » ، لابن سيده [٨] .

---

(١) انظر : فقه اللغة ، للدكتور على عبد الواحد وافى ١٦٩ .

(٢) أبو العلاء ، أحمد بن عبد الله ، التنوخي ، الضرير ، المعرى (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) شاعر ، أديب ، فيلسوف ، من بيت علم كبير ، ومن أذكياء العالم له كثير من المؤلفات ، وقد جمعت تراجمه في كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء » . وانظر : الأنساب ٣ / ٩٠ ، وتارخ أبى الفدا ٢ / ١٧٦ ، والعبر ٢ /٢٩٣ ، ونكت الهميان ١٠١ ، والوافى بالوفيات ٧ / ٩٤ ، ومعاهد التنصيص ١/ ١٣٦ ، ونزهة الجليس ١ / ٤١٩ ، ومواسم الأدب ٢٤٥/١ ، والكنى والألقاب ٣ / ١٩٤، والأعلام ١ / ١٥٧ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٢٩٠ .

(٣) انظر : الوافى بالوفيات ٧ / ٩٧.

(٤) أبو البركات ، محمد بن أحمد بن إياس ، الحنفى (٨٥٢ - ٩٣٠) من مماليك مصر ، مؤرخ ، أديب . انظر : تاريخ الأدب العربى ، بروكلمان ق ٨ /٨٤ ، والأعلام ٦ / ٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٣٦/٨ .

(٥) أبو على ، منصور بن نزار بن معد ، الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٧٥ - ٤١١ هـ) من خلفاء الدولة الفاطمية ، غريب الأطوار ادَّعى الألوهية ، ومن المسرفين فى القتل ، وتاريخه مليء بالنقائض . انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٤٠١ - ٤٢٠] ٢٨٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٥ / ١٧٣ ، ودول الإسلام ١ / ٢٤٥ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٢٧٧ ، والأعلام ٧ / ٣٠٥ .

(٦) انظر : بدائع الزهور ١ / ١ / ٢٠١ .

(٧) أبو منصور ، عبد الملك بن محمد ، الثعالبى (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) لغوى أديب ، مؤرخ ، شاعر ، انظر : دمية القصر [تح : العانى] ٢ / ٢٢٨ ، والذخيرة ٤ / ٢ / ٥٦٠ ، والعبر ٣ / ١٧٢ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٣٧ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٢٨٨ وفيه وفاته سنة ٤٣٠ هـ ، والوافى بالوفيات ١٩ / ١٩٤ ، والكنى والألقاب ٢ / ١٢٩ ، والأعلام ٤ / ١٦٣ ومعجم المؤلفين ٦ / ١٨٩ .

(٨) أبو الحسن ، على بن إسماعيل ، المرسى ، ابن سِيدَه (ت ٤٥٨ هـ) إمام فى اللغة وآدابها ، شاعر ، له كثير من المؤلفات أشهرها المخصص ، والمحكم . =

بل لم يخل عصر من عصور التاريخ العربى - فيما أعلم - من عالم يكتب كتابا - أو أكثر - فى المترادف منذ وضع الأصمعى كتابه « ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه » [1] .

وبالرغم من كثرة المنكرين للترادف ، فقد وقع أغلب العلماء فى التناقض ، وأثبتوا ما أنكروه من قبل ، فقد روى ابن فارس عن شيخه ثعلب أنّه كان ينكر الترادف ، وأيَّد هذه الرواية كل من ابن السراج [2] وابن يعيش ، ومع ذلك فثعلب لم ينكر الترادف في مجالسه ؛ بل روى فيها كثيرا من الألفاظ المترادفة ، وأبوهلال العسكرى [3] نسى مبدأه الذى ذكره فى « الفروق اللغوية » ؛ فذكر كثيرا من المترادفات فى كتابيه « التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء » ، و« المعجم فى بقية الأشياء » [4] .

وأثبتت الدراسات الحديثة أنَّ جُلَّ هؤلاء العلماء قد جاءت عنهم روايات لغوية كثيرة ظاهرها الإقرار بالترادف ، إذ رَوَوْا لنا ألفاظا كثيرة ترادفت فى دلالاتها ، دون أنْ يستنكروا ذلك أو يخالفوه ، بالرغم مما شاع عنهم من إنكار للترادف ، مما جعل بعض الباحثين يفترض عدة احتمالات ، منها :

١ - افتراض قولين لكل منهم .

= انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٤٤١ - ٤٦٠] ص ٤٤٧ ، وفى الحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٤ / ٢٦٣ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٣٦ .

(١) نشره مظفر سلطان فى دمشق سنة ١٩٥١ ، وماجد حسن الذهبى فى دمشق - أيضا - سنة ١٩٨٦ ، وانظر إحصاءً لبعض كتب الترادف فى مقدمة « الألفاظ المختلفة فى المعانى المؤتلفة ، لابن مالك ، للدكتور محمد حسن عواد ٨٩ وفى اللغة العربية وعلومها ٤٢ .

(٢) أبو بكر ، محمد بن السرى بن سهل ، البغدادى ، ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) أديب ، شاعر ، نحوى ، لغوى . انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٣٠١ - ٣٢٠] ٥٢٣ ، والأعلام ٦ / ١٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١٩.

(٣) أبو هلال ، الحسن بن عبد الله ، العسكرى (ت بعد ٣٩٥ هـ) شاعر ناقد ، أديب ، لغوى ، عارف بالفقه ، له مؤلفات كثيرة ، انظر : الوافى بالوفيات ١٢ / ٧٨ وطبقات المفسرين ، للداودى ١ / ١٣٤ ، وروضات الجنات ٢١٥ ، والأعلام ٢ / ١٩٦ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٤٠ .

(٤) انظر : فصول فى فقه العربية ٣١٢ ح / ١٢ ، و٣١٥ .

٢ - نظرتهم إلى الألفاظ نظرة خاصة ؛ وهوكونها تتضمن فروقا دلالية ، قد تكون غامضة بالنسبة لهم ، وليس بالإمكان التنبيه عليها ؛ لأنَّ للعرب فى كل تسمية علة يرونها [١] .

وقد فسَّر ابن جماعة [٢] السبب فىهذا التناقض فى رده على من ينكر الترادف في مثل : « السيف ، والمهنَّد ، والصارم » قال : « الحاصل أنَّ من جعلها مترادفة ينظر إلى اتحاد دلالتها على الذات ، ومن يمنع ينظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى ؛ فهي تشبه المترادفة في الذات والمتباينة في الصفات ، قال بعض المتأخرين : وينبغي أن يكون هذا قسما آخر ، وسماه « المتكافئة » .

قال : و أسماء الله تعالى وأسماء رسوله ﷺ من هذا النوع ؛ فإنَّك إذا قلت : إنَّ الله غفور ، رحيم ، قدير ، تطلقها دالَّة على الموصوف بهذه الصفات » [٣] .

والترادف أنواع كثيرة ، وقد أفاض علماء اللغة المحدثون فى بيان تلك الأنواع ، ومعرفة أسباب ظهوره [٤] ، وثار جدال بين المَجْمَعِيِّينَ فى القاهرة حول الترادف ، بعد المقال الذى نشره عنه على الجارم [٥] ، فى العدد الأول من مجلة المجمع ، ثمّ نادى الدكتور أحمد أمين في مقال له بضرورة التخفيف من متن اللغة ، وذلك بما يأتى :

١ - التخفيف من كثير من مفردات اللغة بإعدام الكلمات الحوشية .

٢ - حذف الكثير من المترادفات ؛ فهى ترف زائد ، لاحاجة بنا إليه .

٣ - حذف الأضداد .

٤ - التخفيف من المشترك .

---

(١) انظر : ابن قتيبة اللغوى ٢٦٥ .

(٢) أبو عمر ، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ، عز الدين ، ابن جماعة ، الكنانى ، الحموى ، ثم المصرى ، الشافعي (٦٩٤ - ٧٦٧ هـ) فقيه ، محدث خطيب ، قاضي القضاة . انظر : الوافى بالوفيات ١٨ / ٥٥٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى ١٠ / ٧٩ ، والأعلام ٤ / ٢٦ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٢٥٧ .

(٣) انظر : المزهر ١ / ٤٠٥ .

(٤) انظر فى الترادف عند المحدثين : فى اللهجات العربية ١٧٨ ، وفصول فى فقه العربية ٣٢٢ .

(٥) مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، بالقاهرة ، العدد / ١ ، سنة ١٩٣٥ ، ص ٣٢٩ .

وتصدى للرد عليه - بعد المقال مباشرة - كل من : الشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ إبراهيم حمروش ، وفى رأيهما أنَّه لا يجوز حذف شيء من الكلمات الواردة فى اللغة لأنَّه « ليس من التحقيق فى العلم أنْ نَمُرَّ على هذه الأنواع من الكلمات فى شعر أو نثر ، دون أنْ نفهم معانيها ، إلاَّ إذا أَرَاد إعدام هذه الكلمات ، والنصوص الواردة فيها » [1] ؛ وهو مالا يقبله أحد [2] .

وقد عقَّب الدكتور إبراهيم أنيس على مقال الدكتور أحمد أمين ، فقال [3] : « وقد برهنت دراستنا للترادف فى اللغة العربية أنَّه إذا طُبِّقَتْ الشروط التى يراها المحدثون لتحقيق الترادف فسنرى أنَّ ما تشتمل عليه لغتنا عدد مقبول ، لا يُعَدُّ إشكالا فى اللغة ، وكذلك الشأن فى ألفاظ التضاد ، فقد بحثها الدكتور منصور فهمى فى واحد من أعداد مجلة المجمع وانتهى فى بحثه إلى أنَّ عدد الكلمات التى تعد من التضاد ، بحق ، لا تكاد تجاوز عشرين كلمة .

أمَّا المشترك اللفظى فمعظم كلماته من المجازات المنسية ، كما رأى ابن درستويه ؛ على أنَّه إذا طُبِّقَتْ شروط المحدثين على كلمات المشترك اللفظى اتضح أنَّ عددها محدود [4] ، فلا تُعَدُّ عيبا فى اللغة العربية » .

ومن المؤكد أنَّ الترادف من الظواهر اللغوية الإنسانية ؛ فلا تكاد تخلو منها لغة ، فالإنجليزية - مثلا - لغة غنية بالمترادفات ؛ لاقتراضها من اللاتينية ، واللغات الأخرى [5] ومثلها الفرنسية ، والإسبانية ؛ بل ومعظم اللغات .

---

(١) مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، العدد٦ ، سنة ١٩٥١م ، ص ٩٣ .

(٢) انظر : مقال الدكتور أحمد أمين فى عدد المجلة المذكور ٨٧ ، ومقال الشيخ محمد الخضر حسين ٩٣ ، ومقال الشيخ إبراهيم حمروش ١٠٣ .

(٣) كتاب فى أصول اللغة « مجموعة قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة » ق ١ / ١٠٨ .

(٤) ليس صحيحا أنَّ المشترك قليل ، فالدكتور لطفى عبد البديع يراه أغلب كلمات اللغة ؛ فمن النادر أنْ تجد لأى كلمة معنى واحدا ، فى أية لغة من اللغات ، ونظرة متأنيّة فى معاجم اللغة العربية تثبت هذه الحقيقة .

راجع : فلسفة المجاز ١٤٨.

(٥) دور الكلمة فى اللغة ١٠٠ .

الألفاظ المشتركة

اللفظ المشترك : هو اللفظ الواحد الذى يطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة ، إطلاقا متساويا ؛ بحيث يدل على كل واحد من الموجودات بطريق الحقيقة لا بطريق المجاز ؛ وذلك مثل كلمة « الخال » التى تدل على :

١ - أخى الأم .
٢ - اللواء .
٣ - الشامة فى الجسد .
٤ - الغيم أوالسحاب .
٥ - البرق
٦ - اسم موضع .
٧ - موضع الخلاء .
٨ - الخيلاء .
٩ - الظن والعلم .
١٠ - الزمن الماضى .
١١ - العَزَب .
١٢ - الرجل السمح .
١٣ - ضرب من برود اليمن .
١٤ - الثوب الناعم .
١٥ - الثوب الذى تضعه على الميت تستره به .
١٦ - الجبل الضخم .
١٧ - البعير الضخم .
١٨ - الظَلْع والغَمْز يكون فى الدابة .
١٩ - اسم جبل تلقاء المدينة .
٢٠ - المباراة .
٢١ - المنخوب الضعيف .
٢٢ - القاطع .. (١)

(١) انظر : اللسان « خيل » ١١ / ٢٢٦ - ٢٣٣ .

فهذه معان مختلفة الحدود والحقائق ، بعضها أسماء ، وبعضها أعلام ، وبعضها صفات ، ولفظها واحد .

اختلف العلماء اختلافا كبيرا في المشترك اللفظى ، كاختلافهم فى المترادف ، فمنهم من أنكره ، وتَأَوَّلَ لكل ما وَرَدَ منه ، ورَدَّه إلى صورة من صور المجاز ، ومنهم من أَقَرَّ به ، وضرب له أمثلة ، بل وأفرد له مؤلفات على حدة ، ومنهم من زاد منه ، وأفرط فيه ، وأدخل عليه ما ليس منه ، بل إنَّ بعض العلماء - كالإمام الغَزَّالى - يعتبر كلا من الحقيقة والمجاز من أنواع المشترك وسأعرض رأيه أولا ، لشدة تأثيره فى الأصوليين من بعده ، ثم أفصل القول فى حجج المنكرين والمكثرين .

يرى الغَزَّالى أَنَّ الألفاظ المشتركة : هى المختلفة فى المعنى ، المتفقة فى الاسم ، « حيث لا يكون بينهما اتفاق وتشابه فى المعنى البتة » (١) ؛ ولأنَّ هذا النوع من الكلمات يفتقر إلى القرينة ، وتتعدد معانيه ؛ لذلك ينبغى أن يجتنب استعماله فى المخاطبات ، والبراهين (٢) .

وقَسَّمه ثلاثة أقسام : مستعار، ومنقول ، ومخصوص باسم المشترك ، وبيانها كالآتى :

المستعار

الاسم المستعار: هو الاسم الدال على ذات الشيء بالوضع أولا ، ويمتاز معناه بصفة الدوام ، فهو يدل على مسماه من أول الوضع إلى الآن ؛ فإذا لُقِّب به اسم آخر ، لمناسبته للأول ، على وجه من وجوه المناسبات ، من غير أَنْ يدوم هذا اللقب ، فلا يجعل ذاتيا للثانى ، وثابتا له ، ومنقولا إليه فهو المستعار ، وضرب للمستعار مثلا بكلمة « الأم » فهى موضوعة وضعا أولا لـ (الوالدة) ولكنه يستعار للمعانى الآتية :

١ - الأرض : فيقال لها أم البشر .

٢ - العناصر الأربعة : فتسمى أمهات ؛ على معنى أَنَّها أصول .

---

(١) معيار العلم ٨٢ .

(٢) نفسه ٨١ .

٣ - أصل الولد .

فهذه المعاني التي استعير لها لفظ « الأم » لها أسماء خاصة بها ، وإنّما تسمي بـ « الأم » في بعض الأحوال ، على طريق الاستعارة .

ويرى الغزّالي أنَّ المستعار يصلح للمواعظ ، والخطابيات ، وأبلغ استعمال له في الشعر ، ولكن ينبغي الابتعاد عن استعماله في البراهين والحجج .

المنقول

وهو أنْ يُنْقَلَ الاسم عما وضع له إلى معنى آخر ، ويُجْعَلَ اسما له على صفة الثبات والدوام ، و في الوقت نفسه يُسْتَعْمَلُ في المعنى الأول ؛ فيصير مشتركا بينهما ، مثل : « الصلاة » ، و « الحج » ، و « الكافر» ، و « الفاسق » .

والمنقول يستعمل في العلوم كلها ، وهو من سنن التطور والرُّقِيِّ فالواضع الأول للغة ، لم تجتمع عنده كل المعاني في وقت وضعها ؛ ليُفْرِدَ لكل معنى اسما خاصا به ، وإنّما ظهرت معان جديدة بعد الوضع فاضطر المتكلمون باللغة إلى النقل من الألفاظ الموضوعة للتعبير عن المعاني المبتكرة ، وضرب الغَزَّالي مثلا بكلمة « الجوهر» فهو موضوع أصلا لنوع من الأحجار الكريمة ، يعرفه الصيرفي ، ونَقَلَه المتكلم إلى معنى جديد حصَّله في نفسه ، وهو أحد أقسام الموجودات (١) .

المشترك

هو أن يكون الواضع وضع لفظا واحدا لمعنيين مختلفين ، أو أكثر وضعا أوليا ، يدل عليها دون أنْ يكون اللفظ منقولا عن معنى آخر ، ومن أقسامه :

١ - الصيغة الصرفية : كالاسم الذى تتحد فيه الدلالة على الفاعل والمفعول من وزن صرفي واحد ، كـ « المختار» فتكون بمعنى الفاعل ، في مثل قولك « زيد مختار» ، وتكون بمعنى المفعول ، في قولك « العلم مختار» ، ومثله في الدلالة

---

(١) يرى العسكرى أنَّ الاسم المنقول بمنزلة العَلَم في أنّه لا يكون فيه معنى ما نقل عنه ، وإنّما يوافقه في اللفظ فقط . انظر : الفروق ١٦٧.

« المضطر» ، وفى الأفعال تتحد الدلالة فى البناء للمعلوم والبناء للمجهول من وزن صرفى واحد مثل « يُضَارّ » [1] .

٢ - ما يقع على أمور متشابهة فى الظاهر مختلفة فى الحقيقة ولا يكاد يوقف على وجه مخالفتها ، مثل : كلمة « الحى » الذى يطلق على: الله ، والإنسان ، والنبات .

ومثل : كلمة « النور » الذى يطلق على : « المدرك بالبصر ، والمضاد للظلام » .

ومثل : « العقل الهادى إلى غوامض الأمور» .

وعند استعمال المشترك فى البراهين خاصة ، وفى الخطابيات يجب أنْ تكون معه قرينة ؛ منعا للَّبْس ودفعا للمتشابه .

وفرَّق الغزالى بين الأنواع الثلاثة ؛ فالنقل فى المستعار غير ثابت ، لا يدوم ، وفى المنقول ثابت دائم ، والمشترك هو الذى وُضِع بالوضع الأول مشتركا للمعنيين ، لا على أنّه استحقه أحد المسميين ، ثم نقل عنه إلى غيره ، إذ ليس لشىء من : « ينبوع الماء » ، و « الدنيا » ، و« قرص الشمس » ، و « العضو الباصر » سبق إلى استحقاق اسم « العين » ، بل وضع للكل اسما متساويا بخلاف المستعار والمنقول .

ويبدو أنَّ الغزَّالى يطلق لفظ « المستعار » على معنيين :

١ - **الحقيقة العرفية** : وهى التى لشهرتها أشبهت الحقيقة الوضعية فى عدم افتقارها إلى القرينة ؛ كإطلاق لفظ « الأم » على « الأرض » ، وهو بهذا المعنى يكون من المشترك اللفظى .

---

(١) فى قوله تعالى : ﴿ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ ﴾ [سورة البقرة ٢ : ٢٨٢] قيل : المراد يُضَارِر ، وقيل : يُضَارَر ، أى : الكاتب ، والشهيد لا يُضَارَر فيكتم الشهادة والخط ، وهذا أظهر ، ويَحْتَمِلُ أَنَّ مَنْ دعا الكاتب والشهيد لا يُضَارِّه ؛ فيطلبه فى وقت فيه ضرر ، ومثله قوله تعالى : ﴿ لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ [سورة البقرة ٢ : ٢٣٣]

انظر : البرهان فى علوم القرآن ٢ / ٢٠٧ .

٢ – **الاستعارة** : كما اصطلح عليها علماء البلاغة العرب ، ومثالها عنده : « استعارة أطراف الحيوان ، لغير الحيوان ، وذلك كقولهم : رأس المال ، وجه النهار ، عين الماء ، حاجب الشمس أنف الجبل ... » .

وهذه الاستعارات بنوع مناسبة بين المستعار والمستعار منه وفرّق بينها وبين المجاز ، فقال في المجاز : « قد يراد به المستعار ، فالمعنى أنّه قد تُجُوِّزَ عن وضعه ، وقد يراد به ما يقتضي الحقيقة ، وفي الإطلاق خلافه ، كقوله : ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (١) إذ المسئول في الحقيقة أهل القرية ، لا « نفس القرية » ، ولا يكون بهذا المعنى من المشترك .

لَخَّص التاج السبكي موقف العلماء من المشترك ، فجعلهم ثلاث طوائف (٢) ، المنكرون مطلقا ، والمثبتون مطلقا ، والمُقِرُّون بوجوده بشروط .

فالمنكرون للاشتراك في اللغة منهم : ثعلب ، والأبهرى (٣) والبَلْخِيّ (٤) ، وقد سبق أن بيّنّا موقف كل من :

---

(١) سورة يوسف ١٢ : ٨٢ ، وانظر : معيار العلم ٨٥ – ٨٨ .

(٢) انظر : جمع الجوامع ١٣٦ ، والإبهاج في شرح المنهاج ١ / ٢٥٠ ، وصرف العين ١٤/ب ، وحاشية البناني ١ / ٢٩٢ .

(٣) أبو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد ، التميمي ، الأبهرى (٢٨٩ – ٣٧٥ هـ) القاضى ، وشيخ المالكية في العراق ، له مصنفات كثيرة . انظر : المنتظم ٧ / ١٣١ ، وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٣٢ ، والعبر ٢ / ٣٧١ ، والأعلام ٦ / ٢٢٥ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ٢٤١ .

(٤) أبو زيد ، أحمد بن سهل ، البلخي (٢٣٥ – ٣٢٢ هـ) أحد الكبار الأفذاذ من علماء الإسلام ، جمع بين الشريعة ، والفلسفة ، والأدب والفنون له مؤلفات كثيرة . انظر : الوافي بالوفيات ٦ / ٤٠٩ ، والأعلام ١ / ١٣٤ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٢٤٠ .

ملاحظة : نصّ السبكي في الإبهاج في شرح المنهاج ١ / ٢٥٠ على أنّه يريد بالبلخي أبا زيد ، أحمد بن سهل ؛ وينقل الصفدى عن السبكي سماعا في صرف العين ١٤ / ب ، أنَّ البلخي هو : أبو القاسم ، عبد الله بن أحمد بن محمود ، الخراساني ، الكَعْبِي (٢٧٣ – ٣١٩ هـ) وهو متكلم ، من شيوخ المعتزلة ، وإليه تنسب طائفة « الكعبية » منهم ، له مؤلفات كثيرة .

انظر : فرق وطبقات المعتزلة ٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٤ / ٣١٣ ، والعبر ٢ / ١٧٦ ، والوافي بالوفيات ١٧ / ٢٥ ، ودرة الحجال ٣ / ٤٧ ، وشذرات الذهب ٢ / ٢٨١ ، والأعلام ٤ / ٦٥ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٣١ .

ابن درستويه ، وأبى على الفارسى ، وأبى هلال العسكرى من المترادف ، فهم ينكرونه ، وينكرون - أيضا - المشترك .

يقول ابن درستويه : « فإذا اتفق البناءان فى الكلمة والحروف ، ثم جاءا لمعنيين مختلفين ؛ لم يكن بُدٌّ من رجوعهما إلى معنى واحد ، يشتركان فيه ، فيصيران متفقى اللفظ والمعنى» (١) ، ويقول أبو هلال العسكرى : « فكما لا يجوز أَنْ يدلّ اللفظ الواحد على معنيين ، فكذلك لا يجوز أَنْ يكون اللفظان يدلان على معنى واحد ؛ لأنَّ فى ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه » (٢) وحجة المنكرين أَنَّ واضع اللغة حكيم ، وأَنَّه وضع الألفاظ ليُسْتَدَلَّ بها على المعانى فى يسر وسهولة ووضوح ، والمشترك يوقع فى حيرة وارتباك ؛ لتردد الذهن بين أكثر من معنى ، فوضعه مُخِلٌّ بالحكمة ، والقائلون بالمنع من الذين يرون أَنَّ اللغة توقيفية ، وأَنَّ واضع اللغة هو الله » .

والمثبتون للاشتراك هم أكثر العلماء ، منهم :

الخليل بن أحمد (٣) ، و تلميذه سيبويه ، وأبو عبيدة ، والأصمعي والهَجَرى (٤) ، وغيرهم .

وحجة المثبتين : أَنَّ المعانى غير متناهية ، ويكفى أَنْ تدخل الأعداد ضمن المعانى ، وهى لا تصل إلى نهاية تتوقف عندها ، وذلك فى الوقت الذى تعتبر فيه الألفاظ متناهية ؛ لأنَّها مركبة من الحروف ، والحروف متناهية ، محصورة العدد ، والمركب من المتناهى هو بالضرورة متناه ، فلو قسَّمنا الألفاظ على المعانى فلا بُدَّ

---

(١) انظر : فصول فى فقه العربية ٣٢٥ ، نقلا عن تصحيح الفصيح ١ / ٢٤٠ .

(٢) الفروق فى اللغة ١٢ .

(٣) أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن عمرو ، الفراهيدى ، الأزدى ، اليحمدى ، البصرى (١٠٠ - ١٧٠ هـ) من أئمة اللغة والأدب ، ومن نوابغ الفكر ، وأذكياء العالم ، وهو واضع علم العروض ، كان يحج سنة ، ويغزو سنة وكان زاهدا . انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [١٦١ - ١٧٠ هـ] ١٦٩ والوافى بالوفيات ١٣ / ٣٨٥ ، والأعلام ٢ / ٣١٤ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ١١٢.

(٤) أبو على ، هارون بن زكريا ، الهجرى (ت نحو ٣٠٠ هـ) عالم بالأدب واللغة ، والبلدان ، انظر : معجم البلدان ٢٠ / ٢٦٢ ، ومقدمة الشيخ حمد الجاسر لكتاب « التعليقات والنوادر » ٨ - ١٤٨، والأعلام ٨ / ٦٠ .

وأنْ تستوعبها جميعا ؛ وإلا وجدت بعض المعانى بلا ألفاظ تعبر عنها ، ومتى كانت الألفاظ مستوعبة للمعانى يلزم الاشتراك ؛ لأنَّه لابدَّ حينئذ من لفظ واحد ، يدل على معان كثيرة .

وقد رد التاج السبكى حجة المثبتين هذه بأدلة مقنعة ، فليست المعانى غير متناهية ؛ لأنَّ ما لا نهاية له فى الوجود محال ، وليست الأعداد غير متناهية ؛ فأصولها متناهية ، وهى : الآحاد ، والعشرات ، والمئون ، والألوف ، ولإنْ سلمنا بصحة المقدمتين - وهما : عدم تناهى المعانى ، وتناهى الألفاظ - فلا يشترط أنْ توجد ألفاظ لكل المعانى ، بل جاز خلو بعض المعانى عن الوضع ، وضرب لذلك مثلا بأسماء الروائح ؛ فكثير منها لا تجد لها أسماء مستقلة ، لا مشتركة ، ولا مفردة ، بعد الاستقراء والبحث التام ، وإنَّما يثبت التاج السبكى وجود المشترك باللغة ذاتها ، لا بالقياس العقلى ، وذلك لوجود ألفاظ كثيرة تدل على أكثر من معنى ، منها فى القرآن الكريم : القُرْء للطهر والحيض ، وعسعس لأقبل وأدبر ، وغير ذلك [(١)] .

ومما يؤيد حجة المثبتين ما نقله الزركشى رواية عن أحمد ، عن أبى الدرداء ﷺ قال : « لاَ يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقه ؛ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً » ؛ أىْ : اللفظ الواحد يحتمل معانىَ متعددة ، ولا يقتصر به على ذلك المعنى ، بل يعلم أنَّه يصلح لهذا ولهذا » [(٢)] .

وذهب بعض المثبتين للاشتراك إلى القول بأنَّ الاشتراك هو الغالب على كلمات اللغة ؛ وذلك « لأنَّ الحروف بأسرها مشتركة بشهادة النحاة ، والأفعال الماضية مشتركة بين الخبر والدعاء ، والمضارع كذلك ، وهو أيضا مشترك بين الحال والاستقبال ، والأسماء كثير فيها الاشتراك ؛ فإذا ضممناها إلى قسمى الحروف والأفعال كان الاشتراك أغلب » [(٣)] .

والفئة الثالثة من العلماء هم المثبتون للاشتراك بشروط ، ذكرالتاج السبكى منهم الفخر الرازى ، وأهل الظاهر .

---

(١) انظر : الإبهاج ١ / ٢٤٩ ، وصرف العين (مخطوط العمومية) ١٦ / أ .

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٢ / ٢٠٧.

(٣) المزهر ١ / ٣٧٠ .

فأمّا الفخر الرزى فأجازه إلا بين النقيضين ، فمحال ، قال : « فالعقول تمنع من وضع لفظ للشيء ونقيضه » .

ويرى التاج السبكى أنَّ الفخر الرازى قد ناقض نفسه فى أكثر من موضع ؛ وكأنَّه ينقض رأيه ، ويبيِّن فساده .

وأمَّا الظاهرية فقد نُسِب إليهم القول بوقوع المشترك فى غير القرآن الكريم والحديث الشريف ، فقيل : إنَّما منعوا وقوعه فى القرآن الكريم فقط ، وقيل : منعوه فى القرآن والحديث جميعا ، قال التاج السبكى : « ولم أجد - بعد البحث فى كتبهم - ما يشهد لصحة واحد من القولين عنهم ، لا عن داود [1] - رحمه الله تعالى - ولا عن واحد من علماء مذهبه » [2] .

عوامل نشأة المشترك

يرجع السبب فى وجود المشترك اللفظى فى اللغة إلى عدة عوامل ، نلخصها فيما يلى .



١ - الاستعمال المجازى :

يبدو أنَّ الاستعمال المجازى كان أكثر الأسباب التى أدَّت إلى ظهور المشترك فى اللغة العربية ، وغيرها من اللغات الأخرى المعروفة ، فكثير من المعانى التى تستعمل فيها كلمة « العين » يمكن أن ترد إلى صورة من صور المجاز ، من ذلك :

* الإصابة بالعين ، والإصابة فى العين ، والمعاينة .
* الجاسوس ، والديدبان ، والرقيب ، والربيئة .
* الشمس ، وشعاعها ، أو صيخدها .

---

(١) أبو سليمان ، داود بن على بن خلف ، الأصبهانى ، البغدادى ، الملقَّب بالظاهرى ، (٢٠١ - ٢٧٠ هـ) أحد الأئمة المجتهدين فى الإسلام ، ورأس أهل الظاهر ، انتهت إليه رئاسة العلم فى بغداد ، له مصنفات . انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٢٦١ - ٢٨٠] ص ٩٠ ، وبالحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٢ / ٣٣٣ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ١٣٩ .

(٢) انظر : الإبهاج ١ / ٢٥٠ ، وصرف العين ١٥ / أ .

* الذهب ، والدينار ، والمال الحاضر « الناضّ » .
* الينبوع ، وعين الركيّة « البئر » .
* عين الركبة .
* الكريم ، وأشراف الناس ، وسراتهم ، والسيد ، ورئيس القوم .
* بقر الوحش ، وجنس من العنب ، واسم طائر [١] .

وبعض المعانى التى تستعمل فيها كلمة « العين » ، لا يمكن ردها إلى صورة من صور المجاز ، أو « لا يتضح لنا - الآن - علاقتها بالعين المبصرة ؛ وما نظن إلا أنّ هذه الصلة كانت موجودة في أذهان العرب الأوائل الذين أطلقوا لفظ « العين » عليها » [٢] ، ولكن لا نعرفها ، وربّما كشفت عنها الأيام ، ومن تلك المعانى :

* الدنيا .
* الاعوجاج فى الميزان .
* السحابة من ناحية قبلة أهل العراق ، والمطر الدائم .
* الأماكن عن يمين قبلة أهل العراق .
* ذات الشيء .

ويضرب لنا العسكرى مثالين للفظين ، كان للمجاز أثر فى إكسابهما معنى جديدا غير معناهما ، قال : « المنحة : الشاة أو البعير يمنحها الرجل أخاه ، فيحتلبها زمانا ، ثم يردها ، ثم صار كل عطية منحة ؛ لكثرة الاستعمال ، والهبة عطية منفعة » [٣] .

وقال : « الإتقان : من التِّقْن ، وهو التُّرْنُوق الذى يكون فى المسيل أو البئر ، وهو الطين المختلط بالحَمْأة ، يُؤْخَذ ؛ فيُصْلَحُ به التأسيس ، وغيره ، فيسد خَلَلَهُ ، ويصلحه ، فيقال : أتقنه ، إذا طلاه بالتِّقْنِ ، ثم استعمل فيما يصح معرفته ، فيقال : أتقنت كذا أىْ : عرفته صحيحا ، كأنّه لم يدع فيه خللا » [٤] .

---

(١) أنظر : العين ٢ / ٢٥٤ ، الصحاح ٦ / ٢١٧٠ ، إصلاح المنطق ٥٦ ، صرف العين ٢٢/ ب ، بصائر ذوى التمييز ٤ / ٤ ، المزهر ١ / ٣٧٢ .

(٢) فصول فى فقه العربية ٣٢٧.

(٣) الفروق فى اللغة ١٦٢ .

(٤) نفسه ٢٠٦ .

وكان العسكرى موفقا فى بيان انتقال المعنى من الحسى إلى المعنوى ، فإنَّ « المعنويات فرع عن الحسيات بطريق المجاز » (١) .

وهو ما أجمع عليه المحدثون من علماء اللغات (٢) .

وقد يسهم التاريخ فى تفسير بعض المجازات الغامضة ، من ذلك ما بيَّنه العسكرى فى كلمة « الجائزة » بمعنى العطية – أو المنحة (٣) ، ومن ذلك « التقاوى » بمعنى البذور ، ومرجعها إلى « الحبوب » التى كان يأخذها الفلاحون من مخازن الحكام ، ومُلاَّك الأرض ، مساعدة ، و« تقوية » لهم على توفير احتياجات الأرض من البذور ، على أنْ يردها آخذوها عند الحصاد ، مع ما على الأرض من خراج (٤) .

ولاتختلف اللغة العربية عن غيرها من اللغات فى تأثير المجاز فى معانى الكلمات ، وظهور المشترك ، فلعله من الظواهر اللغوية العامة ؛ فقد أصبحت كلمة «ANK» فى بعض اللغات الأوربية ، كالإنجليزية والفرنسية تعنى « الدَّبَّابة » ، إلى جانب معناها الأول كخزان ، أو وعاء من الزنك ، والأصل فى هذه التسمية : أنَّ البريطانيين فى أثناء الاستعداد للحرب العالمية الأولى – وبعد أنْ توصلوا إلى صنع الدبابة – وكان شكلها الأول يشبه الخزان ، وحِفْظًا للأسرار الحربية ؛ كانت العامة ، إذا مرت بمستودع من مستودعاتها ، ودفع الفضول بعضهم إلى السؤال عن هذا الشيء المجهول الغامض ، قيل لهم : إنه خزان ، ومن هنا جاءت التسمية (٥) .

ويقول أولمان ULLMAN : « فالاستعارة مثلا كما فى نحو CRANE ، وظيفتها

---

(١) فصول فى فقه العربية ٣٢٨ .

(٢) انظر : فى اللهجات العربية ١١٩ ، دور الكلمة فى اللغة ١٩١ .

(٣) قال : إنَّ بعض الأمراء فى أيام عثمان (وأظنه عبد الله بن عامر قَصَدَ عَدُوًّا من المشركين ، بينهم وبينه جسر ، فقال لأصحابه : « من جاز إليهم فله كذا » فجازه قوم منهم ، فَقَسَّمَ فيهم مالاً ؛ فَسُمِّيَتْ العَطِيَّة على هذا الوجه جائزة » . انظر : الفروق فى اللغة ١٦٦ .

(٤) انظر : فصول فى فقه العربية ٣٢٩ .

(٥) محاضرات فى اللغة الإنجليزية ، للدكتور محمد مهدى علام ، ألقاها على طلبة الدراسات العليا ، فى كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، فى سنة ٦٩ / ١٩٧٠ م ، ولا تنس أنَّ « الدبّابة » لفظ قديم استعير للسلاح المعروف اليوم .

إلحاق مدلول جديد بمدلول قديم ، عن طريق العلاقة المباشرة بين المدلولين ، غير أَنَّ السمات المشتركة فقط هي التي يدركها المتكلم ، حين يتم الانتقال من المعنى القديم إلى المعنى الجديد ، والمعتاد أنْ يعيش المعنى القديم ، جنبا إلى جنب مع المعنى الجديد ؛ فالطير المسمى : CRANE [وهو طير الكركى] سوف يظل يُدْعى بهذا الاسم ، بالرغم من أَنَّ اللفظ نفسه قد أطلق على تلك الآلة المعهودة ، التى تستعمل فى رفع الأحمال الثقيلة » [1] .

وضرب أولمان مثلا آخر بيَّن فيه كيف اكتسبت كلمة COLLATION معنى الأكلة الخفيفة ، إلى جانب معناها الأول وهو الموازنة ، والمراجعة التفصيلية ، معتمدا على حادثة تاريخية ، أعطت تفسيرا مقبولا لهذا التطور فى المعنى [2] .

« ولعل أهم عامل فى تَغَيُّر المعنى هو الاستعمال المجازى ، وليس من الضرورى أنْ يكون الاستعمال المجازى مقصودًا ، متعمدًا ، كما نلحظه فى بعض الأساليب الشعرية ، والكتابية ، بل قد يقع من عدة أفراد فى البيئة اللغوية ، فى وقت واحد ، ودون مواضعة ، أو اتفاق بينهم ، فالناس فى لغة تخاطبهم قد يَلْجَئُون إلى مجازات ؛ لتوضيح معانيهم ، وإبرازها فى صورة جلية ، دون أنْ يعمدوا إلى هذا عمدا ، أو يرغبوا فى إظهار براعة فى الكلام ، فكما تعوَّدوا أنْ يقولوا : « رأس الإنسان » ، قد يقولون - أيضا - « رأس الجبل » ، و« رأس النخلة » ، ثم أخيرا « رأس الحكمة » ولا يعنون بكلمة « رأس » فى كل استعمال من هذه الاستعمالات سوى الجزء الأعلى البارز من كل شيء ، وإنِ اختلفت هذه الأجزاء فى تفاصيلها .

ونحن فى فهمنا لمعانى الأشياء لا نتطلب الدقائق والتفاصيل فيها ، بل نكتفى عادة بفكرة سريعة ذات ارتباط بتجاربنا السالفة » [3] ، وهذه العفوية فى الاستعمال المجازى هى ما أشار إليه الغَزَّالى ، من قبل ، من استعارة « أطراف الحيوان لغير الحيوان كقولهم : رأس المال ، ووجه النهار ، وعين الماء ، وحاجب الشمس » [4] .

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ١١٧ ، وفصول فى فقه العربية ٣٢٧.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ١٧٤ ، وفصول فى فقه العربية ٣٢٨ .

(٣) فى اللهجات العربية ١٩٣ ، وانظر : دلالة الألفاظ ١٢٨ .

(٤) معيار العلم ٨٧ .

وكما يكون المجاز عفويا ، قد يكون مقصودا ، وذلك فى استعمال الموهوبين من الشعراء الممتازين ، والنابهين من الأدباء والمترسلين ، ويكون - عادة - وليد بيئته الطبيعية والثقافية ، وعصره ، وخاضعا فى الوقت نفسه للذوق العام ، والتقاليد الفنية وبمرور الوقت يتناسى الناس هذه المجازات ، وتصبح من المعانى الحقيقية للكلمة ، وتعد من المشترك .

٢ - تداخل اللهجات :

لم يهتم اللغويون القدماء كثيرا ، ببيان اللهجات المحلّية ، فى البيئات العربية المختلفة ؛ لاعتبارهم الجزيرة العربية كلها بيئة لغوية واحدة ، ولولا إشارات قليلة فى المعاجم العربية ، وكتب اللغة ، وبخاصة كتب الأضداد ، وشروح شعر القبائل ، لولا هذه الإشارات القليلة لما أمكن معرفة شيء عن تلك اللهجات ، ولما أمكن تفسير اختلاف دلالة اللفظ الواحد على المعانى الكثيرة ، بل المتضادة أحيانا .

يقول ابن السراج : « محال أَنْ يصطلح أهل اللغة على ما يلبس ، دون ما يوضح ، وهذا ادّعاء من ادّعى أنّه ليس فى لغة العرب لفظتان متفقتان فى الحروف إلا لمعنى واحد ، لكنه أغفل أَنَّ الحى أو القبيلة ، ربما انفرد القوم منهم بلغة ، ليس سائر العرب عليها ؛ فيوافق اللفظ فى لغة قوم - وهم يريدون معنى - لفظا آخر من لغة آخرين ، وهم يريدون معنى آخر ؛ ثم ربما اختلطت اللغات ، فاستعمل هؤلاء لغة هؤلاء ، وهؤلاء لغة هؤلاء ، فأصل اللغة قد وضعت على بيان وإخلاص ، لكل معنى لفظ ينفرد به » (١) .

قال حيّان بن أبجر (٢) : كنت عند ابن عباس ﷺ فجاءه رجل من هذيل ، فقال له : ما فعل فلان - لرجل منهم - فقال :

مات وترك كذا وكذا من الولد ، وثلاثة من الوراء ، يريد : من ولد الولد » ،

---

(١) فصول فى فقه العربية ٣٣٠ ، نقلا عن الاشتقاق ، لابن السراج ٣٣ .

(٢) صحابى ، يعدُّ فى الكوفيين ، شهد صفّين مع الإمام على ﷺ .

انظر : التاريخ الكبير ١ / ٢ / ٥٨ ، والاستيعاب ١ / ٣١٧ ، وأسد الغابة ٢ / ٦٧ ، والوافى بالوفيات ١٣ / ٢٢٤ ، والإصابة ١ / ٣٦٣ .

ومن لهجة هذيل ، احتفظت اللغة بمعنى : « ولد الولد » لكلمة « الوراء » ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ (١) يريد من ولد ولده » (٢) .

٣ – الاقتراض من اللغات الأخرى :

قد نجد لفظا عربيا أصيلا له معنى يستعمل فيه ، ونجد اللفظ نفسه في لغة أخرى ، غير العربية ، وبمعنى مختلف ، فإذا استعمل العرب اللفظ بالمعنى الثاني ، يصبح من المشترك ؛ ولكن أحد المعنيين أصيل ، والثاني دخيل .

يقول ابن دريد :

« السُّوار معروف ، والجمع : أَسْوِرَة ، والإسوار – من العجم – الفارس ، والجمع أساور ، وأساورة .

قال القُلاخُ بْنُ حَزْنٍ السَّعْدِيّ :

وَوَتَّـرَ الأَسَـاوِرُ الـقِـيَـاسَـا   صُـغْـدِيَّـةً تَـنْـتَـزِعُ الأَنْـفَـاسَـا

وقال الآخر :

أَقْدِمْ أَخَا نُهْمٍ عَلَى الأَسَاوِرَةْ   وَلا تُـهَـالَـنْـكَ رِجْـلٌ نَـادِرَةْ

ويقول : والسُّوار : الفارس من فرسان العجم ، يقال سُوَارٌ ، وسِوَارٌ ، بالضم والكسر » (٣) ، فالعرب تستعمل اللفظين في معنييهما العربي والأعجمي .

وذكر العسكري أنَّ « زور » العربية بمعنى سوَّى ، وحسَّن ، وهي في الفارسية بمعنى القوة (٤) .

وجمع ابن منظور لكلمة الزور – وما تطور عنها – معانيَ عربية متعددة ، وضم إليها معانيَ أعجمية ، فمن معانيها العربية : الميل ، والكذب ، والباطل ، والتحسين ، والإصلاح ، وسيد القوم ، وكل شيء يتخذ ربًّا ، ويعبد من دون الله ، والصخرة .

---

(١) سورة هود ١١ : ٧١ .

(٢) أضداد ، الأنباري ٦٩ ، وأمثلة أخرى في : فصول في فقه العربية ٣٣٠ .

(٣) انظر : الجمهرة « رسو » ٢ / ٣٣٩ ، والملاحن ١٠٨ ، وراجع : اللسان « سور » ٤/ ٣٨٧ – ٣٨٨ .

(٤) الفروق في اللغة ٣٨ .

ومن معانيها الأعجمية : الصنم .

وصور الكلمة : الزَّوْر ، والزُّور ، والزُّون .

أمَّا دلالة الزُّور على ما يتخذ رَبًّا يُعْبَدُ ، فيبدو أنه تطور إسلامى عن معنى الباطل والكذب ؛ لذلك يقول أبو عبيدة : كل ما عُبِد من دون الله فهو زور [1] .

وأَمَّا تشابه الصورة اللفظية مع الفارسية ، فيقول أبو سعيد [2] :

الزُّون : الصنم ، وهو بالفارسية زون ، بشم الزاى السين .

وقال حُمَيْدُ بن ثَوْر [3] :

ذَاتُ المَجُوسِ عَكَفَتْ للزُّونِ [4] .

ويذكر الأنبارى [5] فى قوله تعالى : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ [6] .

قال : « صُرْهُنَّ ، معناه : قَطِّعْ أجنحتهنَّ ، وأصله بالنبطيَّة « صِرْيَة » ، ويحكى هذا عن مقاتل بن سليمان ؛ فإنْ كان أُثِرَ هذا عن أحد الأئمة ؛ فإنَّه مما اتفقت فيه لغة العرب ولغة النبط » [7]

وإذا بحثنا عن معنى الصرّ فى اللغة العربية ، نجد لسان العرب ذكر من معانيها : شدة البرد ، شدة الصوت ، النار، الحبس والمنع ، الدلو تسترخي ؛ فَتَصِرُّ، أَىْ :

---

(١) لسان العرب « زور » ٤ / ٣٣٣ - ٣٣٩ .

(٢) أبو سعيد ، الحسن بن عبد الله ، السِّيرافى (٢٨٤ - ٣٦٨ هـ) نحوى لغوى ، أديب ، له مؤلفات كثيرة ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٣٥١ - ٣٨٠ هـ] ٣٩٤ ، وفى الحاشية جريدة مصادر، والأعلام ٢ / ١٩٥ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٢٤٢ .

(٣) أبو المثنى ، حُمَيْد بن ثَوْر ، الهلالى ، العامرى (ت نحو ٧٠ هـ) شاعر مخضرم ، من الفصحاء ، فى الطبقة الرابعة من الإسلاميين ، انظر : الوافى بالوفيات ١٣ / ١٩٣ ، وفى الحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٢ / ٢٨٣ .

(٤) البيت من الرجز ، والقافية من المتواتر ، وهو فى اللسان « زور » ٤ / ٣٣٨ والنصوص السابقة منقولة من المادة نفسها .

(٥) أبو بكر ، محمد بن القاسم ، الأنبارى (٢٧١ - ٣٢٨ هـ) لغوى ، أديب إخبارى ، راوية ، له مؤلفات كثيرة ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [٣٢١ - ٣٣٠] ٢٤٧ ، وفى الحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٦ / ٣٣٤ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ١٤٣ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ٢٦٠ .

(٧) الأضداد ٣٨ .

تشد ، وتُشمَع بالمِشمَع [1] وليس في المادة معنى التقطيع ، ولا ما يمكن أن يُؤَوَّل به ، وأظن أنَّ إفادة اللفظ معنى القطع ربما جاء إلى العربية من النبطية - كما قال مقاتل - وبخاصة إذا عرفنا أنَّ الذين ترجموه ذكروا عنه أنَّه كان يأخذ عن اليهودى ، والنصرانى من علم القرآن ، ما يوافق كتبهم .

ذكر ابن منظور لكلمة « البيب ، والبيبة » خمسة معان ، هى [2] : كوَّة الحوض ، ومسيل الماء ، والصنبور ، والثعلب ، والأسلوب « وهذا اللفظ العربى الأصيل يشبه في صوته اللفظ الأوربى « Pipe » وهو الأداة التى يستعملها المتحضرون فى تدخين التبغ ، والتى يعرّبها البعض بكلمة « الغَلْيُون » ، ولا أدرى من أين جاءت هذه الكلمة ، إلى العربية ؛ ولعلها تعريب اللفظ الفرنسى « Galion » بمعنى السفينة الكبيرة ، ذات القلاع والمجاذيف ، وربما كان ارتباطها بمعنى « البيب » الخاصة بالتدخين أنَّ أكثر مستعمليها من البحّارة ، وباستعمال العرب الآن كلمة « البيب » فى المعنيين : العربى ، والأوربى ، يصبح اللفظ من المشترك .

٤ - التطور اللغوى :

للتطور جانبان : تطور فى اللفظ ، وتطور فى المعنى ، وكلا الجانبين يؤدِّى إلى واحدة من النتائج الآتية ، وهى :

أ - تختلف صورة اللفظين ، وتتباعد أصواتهما ، بعد اتفاق أو يحتفظان بصورتيهما المختلفة ، من الوضع الأول ، ومع اختلافهما فى المعنى ؛ فيكون منهما المتباين .

ب - تتفق صورة اللفظين ، وتتوحد أصواتهما ، بعد اختلاف ، ومع اختلافهما فى المعنى ؛ فيكون منهما المشترك .

جـ - تختلف صورة اللفظين ، وتتباعد أصواتهما ، ومع اتفاقهما فى المعنى ؛ فيكون منهما المترادف .

---

(١) انظر : اللسان « صرر » ٤ / ٤٥٠ - ٤٥٥ .

(٢) انظر : اللسان « بيب » ١ / ٢٢٥ ، وانظر أمثلة أخرى في : فصول في فقه العربية ٣٣١

ونثبت فيما يلي أمثلة لأثر التطور في ظهور المشترك [1] .

- مَرَدَ : أقدم ، وعتا ، ومرد الخبز : ليَّنه بالماء .

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني « مَرَثَ » ، أبدلت الثاء تاء ، وجهرت التاء ؛ لمجاورتها الراء ؛ وبذلك ماثَلَت كلمة مرد بمعناها الأول .

- الفَرْوَة : جلدة الرأس ، والفروة : الغنى .

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني « الثَّرْوَة » ، أبدلت الثاء فاء .

- دَعَمَ الشيء : قوَّاه ، ودعمه : دفعه ، وطعنه ، ورماه بشيء .

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني « دَحَمَ » جُهِرَت فيها الحاء ؛ لمجاورتها الدال ؛ فأبدلت عينا ، فوافقت الكلمة الأولى ، بمعناها الأول ، وأضيف معنى جديد للفظ ، عن طريق الكلمة المطورة .

- حَنَك الغراب : باطن أعلى الفم من داخل ، وحَنَك الغراب : شدة سواده .

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني « حَلَك » قلبت فيها اللام نونا .

- التَّغَب : الوسخ والدرن ، والتَّغَب : القحط والجوع .

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني « السَّغَب » ، فأبدلت السين تاء .

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني « حَرَم » ، فأبدلت الميم باء .

- قَطَبَ : زوى ما بين عينيه ، وقطب الشيء : قطعه .

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني « قَطَمَ » ، فأبدلت الميم باء .

- سَحَبَ : جَرَّه على وجه الأرض ، وسحب : أكل وشرب أكلا شديدا .

- حَرِبَ : اشتد غضبه ، حَرِب : سلبه ماله .

وأصل الكلمة بالمعنى الثاني « زَعَب » همست الزاى والعين ، فأصبحتا سينا وحاء .

- اللَّزْب : اللصوق ، واللزب : لدغ العقرب ، أو الحيَّة .

اللَّسْب : اللصوق ، واللسب : لدغ العقرب ، أو الحيَّة .

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس : « كان الأولى أنْ ينسب أحد المعنيين إلى المادة

---

(١) انظر : في اللهجات العربية ٢٠١ - ٢٠٤ ، وفصول في فقه العربية ٣٣٢ - ٣٣٣ .

الأولى ، والمعنى الثانى إلى المادة الأخرى ، ولكن التطور الصوتى فى إحدى المادتين - وذلك بهمس الزاى ؛ لتصبح سينا ، أو بجهر السين ؛ لتصبح زايا - قد أوقع القدماء فى اللبس ، وجعلهم يخلطون بين معنيين بعيدى العلاقة » .

والدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - ينقل عن القاموس المحيط ، ولو رجع إلى لسان العرب لأمكنه أنْ ينسب لكل لفظ معناه ؛ فقد جاء فى اللسان : « لَزَبَ الشىء ، يَلْزُب - بالضم - لَزْبا ، ولزُوبا : دخل بعضه فى بعض ، ولَزَب الطين ، يلزُب ، لزوبا ، ولَزُبَ : لَصِقَ وصَلُبَ ، وفى قول علىّ ﷺ : « وَلاَطَهَا بِالبَلَّة ؛ حَتَّى لَزَبَتْ » أى : لَصِقَت ولَزِمَتْ ، وطين لازب : أى لازق ، قال الله تعالى : ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [1] ...

واللازب : الثابت ، والمِلْزَاب : البخيل الشديد » [2] .

وكأن المال يلصق عنده ؛ فأغلب معانى كلمة « لزب » يفيد اللصوق .

وفى اللسان « لَسَبَتْه الحيَّة ، والعقرب ، والزُّنْبُور - بالفتح - تَلْسِبُه ، وتَلْسَبُه ، لَسْبًا : لدغته ، وأكثر ما يستعمل « اللسب » فى العقرب .

وفى صفة حيَّات جهنَّم : أنشأن به لسبا ، اللسب ، واللسع واللدغ : بمعنى واحد .... ولَسَبَه أسواطا ، أىْ : ضربه ؛ ولَسِبَ العسل ، والسمن ، ونحوه - بالكسر - يَلْسَبُه ، لَسْبًا : لَعِقَه » [3] ، فأغلب معانى « اللسب » اللدغ .

وبمراجعة المادتين فى لسان العرب تستطيع أن تجد مثالا آخر للتطور فى كلمتين أخريين ، يقول ابن منظور :

« اللَّزْبَة : الشدة ، وجمعها لِزَبٌ ؛ حكاها ابن جنىّ ، وسَنَةٌ لَزْبَة : شديدة ، ويقال : أصابتهم لَزْبة ؛ يعنى شدة السنة ، وهى القحط ، والأزْمَة ، والأزْبة ، واللزبة : كلها بمعنى واحد » .

فمجىء اللزبة بمعنى الشدة والضيق والقحط إنما هو تطور فى صورة « الأزمة » ، بقلب الميم باء ، فأصبحت « الأزبة » وأُعْطِىَ لها معنى الكلمة الأولى قبل الإبدال .

---

(١) سورة الصافات ٣٧ : ١١ .

(٢) انظر : اللسان « لزب » ١ / ٧٣٨ .

(٣) انظر : اللسان « لسب » ١ / ٧٣٨ .

ويقول : « لَسِبَ بالشيء : مثل لَصِبَ به ، أىْ : لَزِق » ؛ فمجيء المعنى الأخير لكلمة « لسِب » إنما هو تطور صوتى فى الفعل « لَصِب » بإبدال الصاد سينا ، ومعنى لَصِب : لَزِق .

يقال : لَصِبَ الجلد باللحم ، يَلْصَبُ ، لَصَبًا ، فهو لَصِبٌ : لَزِقَ به من الهُزَال [(1)] .

ـ نَسَبَه : ذكر نسبه ، وأنْسَبَت الريح : اشتدت .

فأصل الكلمة بالمعنى الثانى من « أنشبت الريح » : اشتدت ، فقلبت الشين سينا ، فأشبهت الكلمة – بعد القلب – الكلمة الأولى ، وضُمَّ معناها إليها .

ـ الخَبْت : المتسع من بطون الأرض ، والخبيت : الحقير .

وأصل الخبيت : الخبيث ، أبدلت الثاء تاء .

ـ المَحْت : الشديد ، والمحت : اليوم الحار ، والمحت : الخالص .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ معنى الخالص جاء من كلمة « البحت » ومعناها الخالص ، وأنَّ قلب الباء منها إلى ميم قد أدى إلى نسبة معنى الخالص إلى كلمة « المحت » مع ما لها من معان أخر .

وربما كان معنى « الخالص » قد جاءها من « المحض » ، بإبدال الضاد تاء ، فقد جاء فى اللسان « المَحْض » : اللبن الخالص بلا رغوة [(2)] .

ـ الفحث : حيّة عظيمة ، لا تؤذى [(3)] ، وفَحَثَ عن الخبر : فَحَصَ .

والكلمة بالمعنى الثانى من الفعل « بَحَثَ » فأبدلت الباء فاء .

ـ من أمثلة التطور ما رواه المُبَرِّدُ [(4)] أنَّ على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه –

(1) اللسان « لصب » ١ / ٧٣٩ .

(2) اللسان « محض » ٧ / ٢٢٧ .

(3) لم يشر صاحب اللسان إلى هذا المعنى ، وإنما جاء فيه : « الفَحِثَة والفَحِث ـ بكسر الحاء – ذات الأطباق .. والفَحِث ، لغة فى الحَفِث ، وهو : القِبَة ، ذات الأطباق من الكَرِش .

انظر : اللسان « فحث » ٢ / ١٧٦ .

وفى الجمهرة « ثحف » ٢ / ٣٥ : « الحفاث : ضرب من الحيات ، لا يضر » .

(4) أبو العباس ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، الثُمالى ، الأزدى ، المُبَرِّد ، (٢١٠ – ٢٨٦ هـ) إمام العربية ، فى بغداد ، فى زمنه ، له مؤلفات كثيرة ، أهمها : الكامل ، والمذكر والمؤنث ، =

لما ضربه عبد الرحمن بن مُلْجَم - لعنه الله - قال : (فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، شَأْنُكُمْ بِالرَّجُلِ) .

« قال بعضهم : فزت : نجوت ، من الفوز ؛ لأنَّه رأى أنَّه قُتِل شهيدا ، وعرف ما أعد الله له بذلك في الآخرة .

وقال قوم : أراد : مُتُّ ؛ لأنَّ التَّفْوِيز ، هو الهُلْك ، ومنه سُمِّيَت المفازة ، وهي الأرض المقفرة المهلكة ، وكلا الوجهين مُتَوَجِّه ، والأول أَمْثَل بالمعنى » (١) .

وينكر ابن نُبَاتَة (٢) - بعد أنْ ذكر الرأيين - أنْ يكون المعنى الثاني من التفويز ؛ وإنَّما هو من الفَوْز - أيضا - استنادا إلى رواية المُبَرِّد ، قال : « فاز الرجل ، وفوَّز : إذا هلك » (٣) .

ويبدو أنَّ فاز بمعنى هلك ، هو تطور لفظي للفعل « فاظ » ، يقولون : « فاظت نفسه ، فَوْظًا ، كفاضت ، فَيْضًا » ، قال الأصمعي : « حان فَوْظُه ، أيْ : موته ».... وأفصح منها وآثر : فاظت نفسه فيوظا » ، وذهب الفرَّاء إلى أنَّ تميما ، وكلبا تقلبان الظاء ضادا ، فيقولان : فاضت نفسه ، تفيض فيْضًا ، وفُيُوضًا (٤) ، ومن لهجة القبيلتين انتقل معنى الهُلْك إلى الفيض أيضا ، وقال أبو عمرو (٥) : « لا يقال : فاضت نفسه ؛ ولكن يقال : فاظ ، إذا مات ، بالظاء ، ولا يقال : فاض ، بالضاد ، بَتَّةً » (٦) ، ويبدو أنَّ رواية أبي زيد أكثر شمولا ، وإحاطة من رواية الفرَّاء ، قال : كل

= والمقتضب ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبي [٢٨١ - ٢٩٠] ٢٩٩ ، والأعلام ٧ / ١٤٤ ومعجم المؤلفين ١٢ / ١١٤.

(١) الكامل ٣ / ١٩٦ ، ومطلع الفوائد ومجمع الفرائد ، لابن نباتة ٢٤ .

(٢) أبو بكر ، محمد بن محمد بن محمد ، جمال الدين ، ابن نباتة ، الجذامي ، الفارقي ، المصري (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ) شاعر فحل ، وأديب ، عالم ، وكاتب مترسل ، انظر : تذكرة النبيه ٣ / ٣٠٤ ، ودرة الأسلاك ٤٤٤ ، والمقفى الكبير ٧ / ١٠٣ ، والأعلام ٧ / ٣٨ ، ومعجم المؤلفين ١١ / ٢٧٣ .

(٣) الكامل ١ / ٢٦٨ .

(٤) اللسان « فاظ » ٧ / ٤٥٢ - ٤٥٣ .

(٥) أبو عمرو ، زبَّان بن عمَّار ، ابن العلاء ، التميمي ، المازني ، البصري (٧٠ - ١٥٤ هـ) نحوي ، من أئمة اللغة ، والأدب ، هو واحد من القراء السبعة ، انظر : المعارف ٥٣١ ، ٥٤٠ ، ونور القبس ٢٥ ، وسير أعلام النبلاء ٦ / ٤٠٧ ، وتهذيب التهذيب ١٢ / ١٧٨ ، والأعلام ٣ / ٤١ .

(٦) انظر : اللسان « فاض » ٧ / ٢١١ .

العرب تقول : « فاظت نفسه » ، إلا بنى ضبّة ؛ فإنَّهم يقولون : « فاضت نفسه » بالضاد ، وأهل الحجاز ، وطيّء يقولون :

« فاظت نفسه » ، وقضاعة وتميم وقيس ، يقولون « فاضت نفسه مثل فاضت دمعته » [١] ، من الواضح أنَّ اختلاف اللهجات ، بين القبائل أدّى إلى هذا الخلط فى المعنى ، نتيجة للتطور الصوتى وإبدال الحروف بعضها من بعض .

ليست اللغة العربية بدعا من اللغات ، فإنَّ أثر التطور اللغوى واضح ، فى كثير منها ، فى نَشْأَة بعض كلمات المشترك اللفظى ، ويضرب أولمان مثلا باللغة الإنجليزية ، فيقول :

« والمشترك اللفظى ينشأ من اتفاق كلمتين مستقلتين ، أو أكثر فى الصيغة ، اتفاقا بطريق الصدفة ، وعلى هذا ليس هناك أقل من أربع كلمات تُمَثِّلُها الصيغة « sound » فى اللغة الإنجليزية ، فهذه الكلمات الأربع ، بعد أنْ اشتقت من أصول مختلفة ، أخذت تتقارب بعضها من بعض فى الصيغة ؛ حتى اتحدت ، وتماثلت ؛ فالكلمة " sound " بمعنى " healthy " [صحيح البدن] كلمة جرمانية قديمة ، وهناك ما يقابلها بالفعل ، فى تلك اللغة ، وهى الكلمة " gesund " التى لا تزال تؤدى المعنى نفسه ، أمَّا " sound" بمعنى [صوت] ؛ فإنَّها ترجع إلى الكلمة الفرنسيَّة « son» ، وما العنصر : [d] إلا تطور ، متأخِّر الحدوث ، و " sound " بمعنى [سبْر الغور] ، امتداد للفعل الفرنسى : sonder وربما تكون هناك علاقة تاريخية ، بين هذه الكلمة الفرنسية ، والكلمة : sound الرابعة ، التى تعنى [مضيق الماء] ، والتى توجد فى لغات جرمانية متعددة » [٢] .

٥ – التداخل الصرفى :

لا أعرف أحدًا استعمل هذا المصطلح ، ولم أجد لفظا غيره يعبِّر عما أردت بيانه من سبب لإيجاد المشترك ، فى اللغة ، وهو سبب ناشئ عن الأوزان الصرفية ،

---

(١) اللسان : فاض .

(٢) دور الكلمة فى اللغة ١٢٧ ، فصول فى فقه العربية ٣٣٣ .

وقواعد الاشتقاق ، وما يمكن أنْ يؤدِّيه الإدغام من الاتحاد الصوتي للكلمات المتقاربة فيه ؛ وإنّما قسته على ما اصطلح عليه اللغويُّون من قولهم ، تداخل اللغات ، وتداخل اللهجات ، فاخترت هذا العنوان ؛ لأبيِّن به سببا من أسباب المشترك ، وهذه بعض الأمثلة :

قال الشاعر [1] :

عَافَتِ الشُّرْبَ فِي الشِّتَاءِ ، فَقُلْنَا : بَرِّدِيهِ ، تُصَادِفِيهِ سَخِينَا

قال الأنباري [2] : بَرِّدِيه ، « أي : سَخِّنيه ؛ فإذا صحّ هذا القول صلح أنْ يقال : للحار بارد ، وأن يقع البرد على الحر ؛ إذا فهم المعنى ، قال أبو بكر : وحكى لي بعض أصحابنا ، عن أبي العباس ، أنّه كان يقول ، في تفسير هذا البيت : « بل رديه » من الورود ؛ فأدغم اللام في الراء ؛ فصارتا راء مشدَّدة » .

وإذا راجعنا مادة « برد » في الاستعمال ، والمعاجم [3] نجد المعنى لا علاقة له بالتسخين ، من قريب أو من بعيد ، وإنّما جاء المعنى من تكوين كلمة جديدة من الكلمتين « بل رديه » ، فَقُلِبَت اللام راء ، وأدغمت الراء في الراء ، ونشأ عن هذا الادغام تغيير المعنى ؛ وقد نبّه العلماء على هذا الغلط ، وأكده كل من قطرب وابن سيده [4] .

• لعب التداخل الصرفي دورًا غريبًا في تداول المعاني لثلاث كلمات ، من أصول مختلفة ، ومعان مختلفة ؛ فأصبح لها معنى مشترك يجمعها ، إلى جانب مالها من معان أخر ، هذه الكلمات هي : دافاه [من دفأ] ، ودافاه [من دفف] ، وذافاه [من ذفف] [5]

---

(١) البيت بدون عزو في أضداد الأنباري ، واللسان « برد » ٣ / ٨٢ ، وروايته في اللسان « عافت الماء » وفي رواية الأنباري « في برد الشتاء » ، ولا يتزن البيت وينسب التاج السبكي مَنْ يزعم أنّ المراد « سخينا » إلى الغفلة .

انظر : معيد النعم ٩٨ ، والبيت من الخفيف ، والقافية من المتواتر .

(٢) الأضداد ٦٤.

(٣) انظر : العين ٨/ ٢٧ ، الجمهرة ١ / ٢٤٠ .

(٤) انظر : اللسان « برد » ٣ / ٨٢ .

(٥) راجع المواد الآتية في اللسان : « دفأ » ١ / ٧٦ ، « دفف » ٩ / ١٠٥ ، و« ذفف » ٩/ ١١٠ .

* أصل الدفء : ضد البرد .

ويقال - أيضا - : « أدفأت الجريح ، ودافأته ، ودفوته ، ودافيته ، ودافقته : إذا أجهزت عليه » .

وفي الحديث المرفوع ، أنّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِأَسِيرٍ يُرْعَد فقال لقوم : (اذْهَبُوا بِهِ ؛ فَأَدْفُوهُ) فذهبوا به ، فقتلوه ؛ فوداه رسول الله ﷺ ، أراد الإدفاء ، من الدفء ، وأنْ يُدْفَأ بثوب ، حسبوه بمعنى القتل ، في لغة أهل اليمن ، وأراد « أدْفِئُوه » - بالهمز - فخفّفه بحذف الهمزة ، وهو تخفيف شاذ ، وليس الهمز من لغة قريش .

* أصل الدفّ : صفحة الجنب ، وضرب الطائر جنبيه بجناحيه ، ويقال - أيضا - : « دفّف على الجريح ، كذفّف : أجهز عليه ، وكذلك دافّه ، مدافّة ، ودِفَافًا ، ودَافَاه .

قال أبو عبيدة : وفيه لغة أخرى ، فليدافِه - بتخفيف الفاء - من دافيته ، وهي لغة لجهينة .

أصل الذفّ : الخفة ، والإسراع ، والإجهاز على الجريح .

فانظر : حذف الهمزة من دافأه للتخفيف ، فأصبحت « دَافَاه » وحذف الفاء من دافّاه للتخفيف ، فأصبحت « ذَافَاه » .

وإبدال الذال دالا من « ذافاه » تصحيفًا ، أو تطوّرًا ، فأصبحت « دافاه » .

وقد نشأت كلمة جديدة ، بصورة واحدة ، وبوزن صرفي مختلف ، من أصول ثلاثة ، واختلط معناها ، فأصبحت تدل على القتل في « دفأ ، ودفّ » ، وهذا المعنى ، في الأصل من ذفّ .

ورووا بيتين من الرجز نسبوهما مرة إلى رؤبة ، ومرة إلى أبيه [1] ، جاء فيهما [2] :

---

(١) أبو الجَحّاف ، رؤبة بن عبد الله العجاج ، التميمي ، السعدى (ت ١٤٥ هـ) راجز من الفصحاء المشهورين ، أخذ عنه اللغويون ، كانت إقامته في البصرة وله ديوان شعر . انظر : الوافي بالوفيات ١٤ / ١٤٧ ، والأعلام ٣ / ٣٤ ، ومعجم المؤلفين ٤ / ١٧٣ .

وأبوه ، هو أبو الشّعْثاء ، عبد الله بن رؤبة ، العجاج (ت نحو ٩٠ هـ) شاعر ، راجز مجيد ، له ديوان ، انظر : الأعلام ٤ / ٨٦ .

(٢) البيتان في اللسان « دفّ » و « ذفّ » .

لَمَّا رَآنِي أُرْعِشَتْ أَطْرَافِي كَانَ مَعَ الشَّيْبِ مِنَ الذُّفَافِ

والكلمة الأخيرة رويت بالدال تصحيفا ، وبالذال على أصل اللفظ ، والمعنى .

* قال المعرى [1] :

فَعُجْ يَدَكَ اليُمْنَى ؛ لِتَشْرَبَ طَاهِرًا فَقَدْ عِيفَ لِلشُّرْبِ الإِنَاءُ المُعَوَّجُ

لم يُرِد المعرى – هنا – المُعَوَّج الذى هو ضد المستقيم ، من « العِوَج » ؛ وإنَّما أراد « الإناء »الذى فيه عَظْمُ الفِيل ، من « العاج » [2] .

* القلب المكانى ، للحروف كان من بين الأسباب الصرفية التى أوجدت المشترك ، قال الفَرَّاء [3] : « لا نعرف صار بمعنى قطَّع إلا أنْ يكون الأصل فيه صَرَى ، فقدمت اللام إلى موضع العين ، وأخرت العين إلى موضع اللام ، كما قالوا : عاث فى الأرض ، وعثا ، وقاع على الناقة وقعا » [4] ، ويبدو أنَّ هذا القلب المكانى كان شائعا فى قبيلة سُلَيْم ، قال الشاعر [5] :

أَهَاجَكَ يَأْسُ مَنْزِلَةٍ بَيَابِ بِأَجْرَعَ بَعْدَنَا قَفْرِ الرِّحَابِ ؟

فقدَّم الباء على الياء فى كلمة « يباب » .

وقد تَسْأَل : ألا يمكن أنْ نعتبر هذه الأمثلة صورة من صور التطور ؟ ولِمَ اعتبرتها نوعا مخالفا ؟ .

هى وإن كانت شبيهة بالتطور إلا أننى أرى بينهما فرقا ، فالتطور ناشئ من تغيُّر فى صوت الحرف بالإبدال ، أو تغيُّر فى المعنى بالنقل ، دون أنْ يكون للبناء التركيبى ، أو القالب الصرفى ، للكلمة دور فى إحداث هذا التغيُّر ، بينما نلاحظ الأثر الصرفى – هنا – واضحا فيما طرأ ، على الكلمة من التغيير ، فهو يقوم أساسا على

---

(١) لزوم مالا يلزم ١ / ٢٦٤ ، والبيت من الطويل ، والقافية من المتدارك .

(٢) انظر : مطلع الفوائد ١٣١ .

(٣) أبو زكريا ، يحيى بن زياد بن عبد الله ، الفرَّاء ، الديلمى (١٤٤ – ٢٠٧ هـ) إمام الكوفيين فى عصره ، نحوى ، لغوى ، أديب ، فقيه ، مشارك فى علوم كثيرة ، له مؤلفات . انظر : نور القبس ٣٠١ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١١٨ ، والتمييز والفصل ١ / ٢٤٢ ، والأعلام ٨ / ١٤٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ١٩٨ .

(٤) الأضداد ، للأنبارى ٣٦ .

(٥) التعليقات والنوادر ، للهَجَرِى ٣ / ١٠٦٥ ، والبيت من الوافر ، والقافية من المتواتر .

تغيّرٍ فى البنية التركيبية بنقل الحرف من مكانه ، أوإعادة صياغة المادة اللغوية على وزن صرفى خاص ، نتج عنه نقل المعنى ، من لفظ إلى آخر .

* النحت من الأبنية الصرفية ذات الأثر فى إيجاد المشترك .

والنحت : هو استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر [١]

من ذلك قولهم : أُزِلُوا حتى هُزِلُوا : أى : حُبِسُوا ، وضُيِّق عليهم ، فالأَزْل : الحبس .

وقولهم : كان في الأزل قادرا ، وعالما ، وعلمه أزلى ، وله الأزلية ، مصنوع ، ليس من كلام العرب ، وكأنهم نظروا فى ذلك إلى لفظى « لم أزل » [٢] ؛ فنحتوا منهما « الأزل » بمعنى العلم القديم ، فالاسم المنحوت من كلمتين ، والفعل المجرد بمعنى الحبس والتضييق اتفقا فى الصورة ، واختلفا فى المعنى ، فنشأ عن ذلك أنْ أصبح لكلمة « أَزَل » معنيان : الحبس ، والعلم القديم .

٦ - العبث :

وينشأ من سوء فهم الطفل معنى الكلمة التى يسمعها ، وربما عاش الطفل فى بيئة منعزلة ، قليلة التحضُّر ، فيعطى للكلمة معنى غير معناها ، وقد يكون هذا المعنى قريبا من معناها الحقيقى أو بعيدا عنه ، ويكبر الطفل دون أنْ يجد من يصحّح له خطأه ، ويضيف هذا الخطأ معنى جديدا للكلمة ، تستعمله الأجيال الناشئة ، ويتوارثه الأبناء عنهم ، « فتغيُّر المعاني قد يكون من أخطاء الأجيال الناشئة ، وليس من السهل التمييز بين الكلمات التى اختلفت معانيها ، بسبب استعمال مجازى ، وبين تلك التى تعددت معانيها بسبب أخطاء الأطفال ، على أنَّه يمكن بوجه عام أنْ ننسب تغيُّر المعانى فى كلمة من الكلمات إلى عبث الأطفال ، حين لا نلاحظ علاقة واضحة بين المعنى القديم والمعنى الجديد ، وحُكْمُنا فى هذه الحالة مُرَجَّح

---

(١) معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب ٢٢١ .

(٢) انظر : الخصائص ٢ / ١٥٠ ، وأساس البلاغة « أزل » ٥ ، واللسان « أزل » ١ / ١٤ ، واللسان ١١ / ١٤ ، والأصل فيه « يزلى » ثم أبدلت الياء ألفا ؛ لأنَّها أخف ، فقالوا « أزلىّ » كما قالوا فى الرمح المنسوب إلى ذى يزن : « أَزَنِىّ » ، ونصل « أَثْرِبىّ » .

لا مؤكد ؛ لأنَّ بعض المجازات المنسية قد نشأت في ظروف لغوية خاصة ، ومضى عليها زمن طويل ؛ فأصبح من الصعب الكشف عنها » (١) .

والدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله تعالى - قصر تغيُّر المعنى هذا على عبث الأطفال وحدهم ، أفلا يكون للكبار عبث ، ينشأ عنه تغيُّر فى المعنى ؟ .

شاع فى عصرنا هذا نوع من عبث الكبار ، وأصبحت العامة - وفى ظروف اقتصادية ، وسياسية خاصة - تتعمَّد أنْ تعطى للكلمات معانى غير معناها ، وتتولى وسائل الإعلام الحديثة : المرئية والمسموعة والمقروءة ، تتولى بوسائلها الخاصة نشر هذه المعانى ، وإذاعتها ، على نطاق واسع ، فبعد أنْ كان الفقراء يسمُّون الجنيه المصرى « الْلَحْلُوح » ، وانحطَّت قيمته ، صار الألف منه « باكو » ، وأصبح هذا اللفظ المُعَرَّب يدل على « ألف جنيه » ، إلى جانب دلالته على « الصُّنْدوق ، أو اللفافة » وأصبح ألف الألف منه « المليون » « أرنبا » ، والألف من هذه الأرانب « فيلا » ، وأصبح الناس جميعا ، فى مصر ، وفى كل بيئاتها يفهمون هذه المعانى الجديدة ، بمجرد إطلاق اللفظ ، بل ربما انصرف إليها الذهن أولا ، قبل معانيها الأصيلة التى أصبحت أحوج إلى القرينة من المعنى المتعارف عليه .

ناقش الصفدى ظاهرة المشترك بعامة ، فى هذا الفصل ، ولا يكاد يولى لفظ « العين » فيه اهتماما ، أو يتعرَّض لمعانيه ، وقد سبق أنْ بينها فى الفصل السابق ، وذلك بالرغم من عنوان هذا

الفصل الذى نص فيه على أنَّه سيتحدث عن العين باعتبارها من الألفاظ المشتركة ، ويذكر - كما يقول - رسمه ، وبحوثه المتعلقة به ، ويمكن أن نبيِّن الأسس التى ذكرها الصفدى ، فيما يأتى :

١ - تعريف المشترك ، وقد عرَّفه بقوله : « لفظة موضوعة لحقيقتين مختلفتين ، وأكثر ، وضعا أولا ، من حيث هما كذالك ، فاحترز بـ « الوضع الأول » عما يدل على الشيء بالحقيقة ، وعلى غيره بالمجاز ، فإنَّ الصلاة تدل على الدعاء حقيقة ، وعلى هذه الهيئة المجموعة من الركوع ، والتلاوة ، والسجود ، وغير ذلك مجازا » .

---

(١) فى اللهجات العربية ١٩٦ .

والملاحظ أنَّ الصفدي ناقض نفسه في هذا التعريف ، في موضعين .

الأول : أنّه اعتبر المعنى المجازي لا يدخل اللفظ في مفهوم المشترك ، ومع ذلك يعلق على قول جرير [1] :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ   رَعَيْنَاهُ ، وَإِنْ كَانُوا غِضَابَا

فيقول : « السماء يستعمل للمطر والنبات ؛ فاستخدم أحد مفهوميه ، في قوله « نزل » يعني المطر ، ومفهومه الآخر ، في قوله « رعيناه » يعني : النبات ، وهذا وإنْ كان حقيقة في الأول مجازا في الثاني إلا أنَّه كثر استعمال مجازه ، واشتهر ؛ فصار حقيقة عرفية ، فأمكن اعتبار الاشتراك فيه » [2] .

ويبدو أنَّ الصفدي يأخذ – هنا – برأي الإمام الشافعي ، فقد جوَّز استعمال اللفظ في حقيقتيه ، وفي حقيقته ومجازه ، وحَمْلِه عند الإطلاق عليهما ، وأخرج ابن الرفعة نصه على ذلك من الأم [3] .

الثاني : اعتبر الصلاة – هنا – ليست من المشترك ، وفرَّق بين معناها الحقيقي ، والمجازي ، وفي موضع آخر من الفصل استدل بوقوع المشترك في القرآن الكريم بكلمة الصلاة ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ [4] ، فالصلاة من الله مغفرة ، ومن غيره استغفار ، فاستعمل لفظ الصلاة في معنيين متباينين، وهو من المشترك .

وقد شغلت كلمة « الصلاة » العلماء ، وكثرت فيها أقوالهم وتناقضت ، قال النووي : « أصل الصلاة ، في اللغة : الدعاء ، هذا قول جمهور العلماء ، من أهل

(١) أبو حزرة ، جرير بن عطية ، الخطفي ، الكلبي ، اليربوعي (٢٨ – ١١٠ هـ) من فحول شعراء الإسلام ، ولد ومات في اليمامة ، كان أبوه شاعرا ومن أبنائه وحفدته شعراء ، انظر : التمييز والفصل ٢ / ٨٠٣ ، شرح العيني ١ / ٩١ ، وشرح أبيات المغني ١ / ٥٣ ، ومواسم الأدب ١ / ٩٨ ، وأعلام تميم ١٦٧ ، والأعلام ٢ / ١١٩ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ١٢٩ .

(٢) فض الختام ١٨٠ ، وانظر معاهد التنصيص ٢ / ٢٦٢ .

(٣) انظر : الإبهاج في شرح المنهاج ١ / ٢٥٧ .

(٤) سورة الأحزاب ٣٣ : ٥٦ .

اللغة ، وقال الزَّجاج [١] : أصلها اللزوم ، وقال الأزهرى [٢] ، وآخرون : الصلاة من الله تعالى : الرحمة ، ومن الملائكة : الاستغفار ، ومن الآدمى : تضرع ودعاء » [٣] .

قال أبو العالية [٤] : صلاة الله تعالى : ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة : الدعاء ، وقال ابن عباس : يصَلُّون : يبرِّكون [٥] .

وقيل : صلاة الرب : الرحمة ، وصلاة الملائكة : الاستغفار [٦] .

أمَّا السهيلى فقد أنكر أن تكون الصلاة بمعنى الدعاء ، قال : « الصلاة : أصلها انحناء ، وانعطاف من الصَّلَوَيْن ، وهما عرقان ، فى الظهر ، إلى الفَخِذَيْن ، ثم قالوا : صَلَّى عليه ، أى : انحنى عليه ، ثم سمُّوا الرحمة حُنُوًّا ، وصلاة ... ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق ، لا تقول :

صَلَّيْتُ على العدو ، أى : دعوت عليه ؛ وإنَّما يقال : صَلَّيْت عليه فى معنى الحنو ، والرحمة ، والعطف » [٧] .

٢ - فَرَّق الصفدى بين المشترك والمتواطئ ، وبيَّن أنَّ المصطلحين مختلفان وأنَّ أحدهما عكس الآخر ، فالمشترك : لفظ واحد دلَّ على معان مختلفة والمتواطئ : ألفاظ مختلفة ، دلَّت على معنى واحد ومن الملاحظ أنَّ الصفدى يستخدم المتواطئ بمعنى المترادف .

٣ - ردٌّ على من ينكر وجود المشترك فى اللغة ، بحجة أنَّه يؤدى إلى الحيرة ،

---

(١) أبو إسحاق ، إبراهيم بن السرى ، الزجاج (٢٤١ - ٣١١ هـ) عالم بالنحو ، واللغة ، له مؤلفات كثيرة . انظر : الأعلام ١ / ٤٠ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٣٣ .

(٢) أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الأزهر ، الهروى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) أحد الأئمة فى اللغة والأدب ، والفقه ، والتفسير ، له مؤلفات كثيرة ، انظر : الأعلام ٥ / ٣١١ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٣٠ .

(٣) المجموع ١ / ٧٥ .

(٤) أبو العالية ، رُفَيْع بن مهران ، الرياحى ، البصرى مولاهم (ت ٩٠ هـ) من كبار التابعين ، وهو أول من أذَّن وراء النهر ، وروى له الجماعة . انظر : تهذيب ابن عساكر ٥ / ٣٢٣ ، وتذكرة الحفاظ ١ / ٦١ ، وميزان الاعتدال ١ / ٣٤٠ ، والوافى بالوفيات ١٤ / ١٣٨ ، وغاية النهاية ١ / ٢٨٤ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣ / ٨٠٦ ، نقلا عن البخارى ٦ / ١٥١ .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير ٣ / ٨٠٦ ، نقلا عن تحفة الأحوذى ٢ / ٦١٠ .

(٧) الروض الأنف ٢ / ٧ ، وتراجع المسألة ٦ من نتائج الفكر له ص ٥٧ .

وفوات المقصود ، بقوله : « القرائن اللفظية ، وسياق الكلام يدل على المقصود » ، وهو يذهب إلى قول الرافعي ، في التدبير : « الأشبه أنَّ اللفظ المشترك لا يراد به جميع معانيه ولا يحمل ، عند الإطلاق على جميعها ، ذكره في مسألة « إنْ رأيت عينا فأنت حُرٌّ » (١) .

٤ - أشار الصفدي إلى مشكلة أصل اللغة هل هي توقيف أو اصطلاح ؟ .

ويجب الاعتراف بأنَّ البحث في هذه المشكلة خارج عن حدود العلم ؛ لأنَّه ينقصها الدليل المقنع ، والسند التاريخي ؛ وذلك لأنَّ نشأة اللغة ضاربة في جذور التاريخ الإنساني ، قديمة قدم الإنسان نفسه ، ولا سبيل إلى الكشف عنها ، والرجوع إليها ؛ وقد تخلى علماء اللغة المحدثون اليوم عن الخوض فيها ، وبحثها لعدم جدواها (٢) .

٥ - كان اعتماد الصفدي في هذا الفصل كتابين لتاج الدين السبكي ، هما : جمع الجوامع ، وقد أشار صراحة إلى النقل عنه ، والأخذ منه ، ولم يشر إلى كتاب الإبهاج شرح المنهاج بالرغم من وجود نقل كثير عنه .

٦ - الطريف في هذا الفصل هو الربط بين ظاهرة المشترك في اللغة ، والاستعمال الأدبي ؛ فبيَّن الصفدي الأغراض التي يستعمل فيها ، وضرب أمثلة من الأساليب الرفيعة في : الإبهام (٣) ، والتعمية على المخاطب (٤) ، وهو ما عرف باسم

---

(١) انظر : الإبهاج ١ / ٢٦٥ .

(٢) يراجع : الصاحبي ٦ ، والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ١ / ٢٨ ، والمزهر ١ / ٨ ، وحاشية البناني ١ / ٢٦٩ ، واللغة ، لفندريس ٢٩ ، وفلسفة المجاز ٥٩ .

(٣) **الإبهام** : هو أنْ يقول المتكلم كلاما يحتمل معنيين متضادين ، لايتميَّز أحدهما على الآخر ، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك ، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصْدًا ، وسمّاه السَّكاكي « التوجيه » ، انظر : تحرير التحبير ٥٩٦ وفي الحاشية إشارة إلى مصادره .

(٤) التعمية : اسم يعم الإلغاز ، والمحاجاة ، وغيرهما ، وهو أنْ يريد المتكلم شيئا ؛ فيعبِّر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره ، وباطنها عليه .

انظر : تحرير التحبير ٥٧٩ ، وفي الحاشية إشارة إلى مصادره .

« المعاريض »[1] ، وهى فنون كثرت المؤلفات فيها واعتمادها على ظاهرة المشترك اللغوى ، وأخذت عناوين ، منها : « المُوَرَّى » ، و « الملاحن » ، و « فُتْيَا فقيه العرب »[2] .

وفى علوم البلاغة كان المشترك وسيلة لفنون من القول ، منها : الإيجاز[3] ، والجناس التام[4] ، والتورية[5] ، والاستخدام[6] ، وغيرها .



(١) **المعاريض** : هى التورية بالشيء عن الشيء ، انظر: اللسان « عرض » ٧ / ١٨٣ .

(٢) راجع : مقدمة الملاحن ١٨ ، ومعجم المعاجم ٣٤٧ .

(٣) يقصد الصفدى بالإيجاز من طريق الاشتراك أنْ : « يتمكّن البليغ من إدراج المعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة ، ويحصل بذلك الإيجاز الذى هو من أكبر مهمّات البلاغة » ، انظر : صرف العين « ٣٦/أ .

(٤) عرّف الصفدى **الجناس** بقوله : « هو الإتيان بمتماثلين فى الحروف ، أو فى بعضها ، أو فى الصورة ، أو زيادة فى أحدهما ، أو بمتخالفين فى الترتيب ، أو الحركات ، أو بمماثل يرادف معناه مماثلا آخر نظما » ، وهو يريد بهذا التعريف المركب إدخال الأنواع المختلفة من الجناس ، والتى أوصلها السيوطى إلى أربعمائة نوع . انظر : جنان الجناس ٤٢ ، وجنى الجناس ٧١ .

(٥) **التورية** : أنْ تكون الكلمة تحتمل معنيين ، فيستعمل المتكلم أحد احتماليهما ، ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمله ، لا ما استعمله ، انظر : تحرير التحبير ٢٦٨ ، وفى الحاشية جملة مصادر .

(٦) **الاستخدام** : لفظ له معنيان ، يتوسط لفظتين تستخدم كل منهما فى معنى من معانى اللفظ الأول ، وقد يشتبه بالتورية ، وفرّق بينهما الصفدى فى مقدمة كتابه « فض الختام عن التورية والاستخدام » ١٧٩ ، ويراجع « تحرير التحبير » ٢٧٥ ، وفى الحاشية تعريفات أخرى للاستخدام ، ومصادره .

هل يجوز ذلك أو لا ؟

بدأ الصفدى هذا الفصل بتعريف ابن عصفور [1] للمثنى ، وهو قوله : « التثنية ضم اسم نكرة إلى مثله ، بشرط اتفاق اللفظين والمعنيين ، أو المعنى الموجب للتسمية » [2] ، وقد اعترض الزمخشرى [3] على هذا التعريف المشهور للمثنى ، يقول ابن الحاجب [4] فى شرحه على المفصل :

« المثنى : هو ما لحقت آخره زيادتان إلى آخره ، قال الشيخ - يريد الزمخشرى - هذا الحد هو الذى يستقيم ، فى حد المثنى وإذا حددنا التثنية قلنا : هو إلحاق المثنى زيادتان إلى آخره ، وليس قول من قال : ضم شيء إلى مثله ، فى حد المثنى بشيء ؛ لأنك لو قلت : زيد وزيد ضم شيء إلى مثله ، وليس بمثنى » [5] .

وقَصْد الصفدى من تقديم حد المثنى هو الإجابة عن السؤال الذى جعله عنوان

---

(١) أبو الحسن ، على بن مؤمن بن محمد ، الحضرمى ، الإشبيلى (٥٩٧ - ٦٦٩ هـ) نحوى ، صرفى ، لغوى . انظر : صلة الصلة ١٤٢ ، والذيل والتكملة ٤١٣ ، والعبر ٣ / ٣٢٠ ، والوافى بالوفيات ٢٢ / ٢٦٥ ، الأعلام ٥ / ٢٧ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٢٥١ .

(٢) المقرب ٣٩٣ .

(٣) أبو القاسم ، محمود بن عمر بن أحمد ، جار الله ، الزمخشرى ، الخوارزمى (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) إمام فى التفسير ، واللغة ، والنحو ، والأدب معتزلى المذهب ، وشاعر له ديوان شعر ، وله مؤلفات كثيرة .

انظر : الأنساب ٦ / ٢٩٧ ، وأزهار الرياض ٣ / ٢٨٢ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٨ / ٢٢٩ ، وإنباه الرواة ٣ / ٢٦٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ١٥١ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٣٥٩ ، والأعلام ٧ / ١٧٨ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١٨٦ .

(٤) أبو عمرو ، عثمان بن عمر بن أبى بكر ، جمال الدين (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ) فقيه ، مقرئ ، أصولى ، نحوى ، صرفى ، عروضى ، مؤلفاته كثيرة . انظر : وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٢٦٤ ، والعبر ٣ / ٢٥٤ ، و الإعلام بوفيات الأعلام ٢ / ٤٣٩ ، وتاريخ ابن الوردى ٢ / ٢٥٧ ، والوافى بالوفيات ٣/٤٢ ، وفوات الوفيات ٣ / ٤٢ ، والمنهل الصافى ٧ / ٤٢١ ، والدليل الشافى ١ / ٤٤٠ ، والأعلام ٢١١/٤ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٦٥ .

(٥) الإيضاح فى شرح المفصل ١ / ١٢٨ .

الفصل : هل يجوز تثنية المشترك وجمعه أو لا يجوز ؟ وبدأ بذكر رأى العلماء فى أنواع المثنى ، وهى على ثلاثة أقسام :

* تثنية اللفظ والمعنى ، نحو : الزيدين ، والعمرين ، والرجلين ؛ ولهذا المثنى مفرد من لفظه .

* تثنية فى اللفظ دون المعنى ، مثل : مقصين ، ومقراضين ، وجَلَمين ، وكلا ، وكلتا ، واثنين ، واثنتين ؛ وليس لهذا النوع مفرد من لفظه .

* تثنية فى المعنى دون اللفظ ، مثل : « قطعت رءوس الكبشين » . فاللفظ لفظ الجمع ، والمعنى على التثنية ، قال سيبويه : « كل اثنين من اثنين فجمعهما أجود ، تقول : ضربت رءوسهما ؛ لأنَّ رأس كل واحد منه ، وتقول : أخذت ثوبيهما ؛ لأنهما ليسا منهما ، قال الله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [(١)] ، و ﴿ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [(٢)] » [(٣)] .

وبعد أن بيَّن أنواع المثنى نقل قول تاج الدين السبكى عن تثنية المشترك ، وللعلماء فيه ثلاثة مذاهب :

أحدها : – وبه قال ابن مالك – أنَّه يجوز مطلقا .

والثانى : – وبه قال أبو حيَّان [(٤)] – أنَّه يمتنع مطلقا .

والثالث : – وبه قال ابن عصفور – أنَّه يجوز بشرط اتفاق اللفظين فى المعنى الموجب للتسمية ، فإنْ لم يتفقا فلا يجوز [(٥)] .

---

(١) سورة التحريم ٦٦ : ٤ . (٢) سورة المائدة ٥ : ٣٨.

(٣) انظر : البصائر والذخائر ٤ / ١٣٨ ، ويراجع فى المخصص باب « ما جاء مجموعا وإنما هو اثنان أو واحد فى الأصل » ١٣ / ٢٣٤، والحروف ، لابن السكيت ١٧١.

(٤) أبو حيَّان ، محمد بن يوسف بن على ، أثير الدين ، الغرناطى ، الأندلسى الجيانى ، النَّفْزِى (٦٥٤ – ٧٤٥ هـ) من كبار العلماء بالعربية ، والنحو ، والتفسير ، والحديث ، والتراجم ، عالم باللغات ، توفى بالقاهرة وله مؤلفات كثيرة ، أهمها البحر المحيط ، وارتشاف الضرب . انظر : الوافى بالوفيات ٥ / ٢٦٧ ، وتذكرة النبيه ٣ / ٧٨ ، ودرة الأسلاك ٣٤٥ ، والكتيبة الكامنة ٨١ ، والسلوك ٢ / ٦٧٦ ، والمقفى الكبير ٧ / ٥٠٣ ، ودرة الحجال ٢ / ١٢٢ ، والأعلام ٧ / ١٥٢ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١٣٠ .

(٥) قال ابن الحاجب : « هل يجوز أنْ نأخذ الاسم المشترك فنثنيه باعتبار المدلول ، كقولك : عينان ، فى عين الشمس ، وعين الماء ؟ فيه خلاف ، والظاهر جوازه شاذا ، والكثير استعمال خلافه » ، انظر : الإيضاح ١ / ٥٢٩ .

ويبدو أَنَّ رأى الصفدى مخالف لرأى أستاذه أبي حيَّان ، فهو يعجب من الذين ينكرونه ، مع وروده فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، و - أيضا - فى الأساليب الأدبية كثر وجوده ، وصَنَّفَه العلماء فى نوع من أنواع البديع :

* ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى فى قصة موسى وهارون : ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ (١) ، ولم يكن هارون يأتى بمعجزات تجعله شريكا لأخيه فى الوصف بأنَّه ساحر مثله .

* وفى الحديث الشريف روى البخارى قول النبى ﷺ : « تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ ، يَوْمَ القِيَامَةِ ، عِنْدَ اللهِ ذَا الوَجْهَيْنِ الَّذِى يَأْتِى هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ » (٢) .

وأحد الوجهين حقيقة ، والآخر مجاز .

* وفى الأساليب الأدبية شاع تثنية المشترك ، وجمعه فى بابى التغليب ، والتوشيع .

أمَّا التغليب (٣) فللعلماء أقوال كثيرة فى التعليل له منها :

١ - قال الأصمعى : « إذا كان أخوان ، أو صاحبان ، وكان أحدهما أشهر من الآخر سُمِّيا جميعا باسم الأشهر ، قال الشاعر :

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الْحُرَّيْنِ عَنِّى ... مُغَلْغَلَةً ، وَخُصَّ بِهَا أُبَيَّا

وأحدهما الحُرّ » (٤) .

٢ - قال الجاحظ (٥) عن دخول الأم فى تثنية « الأبوين » :

---

(١) سورة طه ٢٠ : ٦٣ .

(٢) انظر : صحيح البخارى [كتاب الأدب ٧٨ ، باب ٥٢] ٧ / ٨٧ ومثله فى سنن أبى داود الحديث ٤/ ٢٦٨ ، ٤٨٧٢ ، ومسند أحمد ٢ / ٢٤٥ .

(٣) راجع نماذج من التغليب فى : الحيوان ٣ / ٢٤٦ ، والصاحبى ١٢٠ ، والديباج ١٢٣ ، وإصلاح المنطق ٤٠٠ ، والحروف ، لابن السكيت ١٧١ ، وأمالى ابن الشجرى ١ / ١٤ ، وسوائر الأمثال ٤١٢ ، والمخصص ١٣ / ٢٢٧ ومجاز القرآن ١ / ٤٦٠ ، وبهجة المجالس ١ / ٩٣ ، وسرور النفس ٧٢ ، وأدب الكاتب ٣٦ ، وشروحه ، والتذكرة الحمدونية ٩ / ٢٣٩ ، ولسان العرب مادتى « شرق ، وغرب » ، وطبقات الشافعية الكبرى ٢ / ١٩٥ ، والمزهر ٢ / ٢٤٦ ونتائج التحصيل ٣٥٤/١ ، وقد ألف المحبى فيه كتابه « جنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين » .

(٤) انظر : الصاحبى ١٢٠ ، والبيت من الوافر ، والقافية من المتواتر .

(٥) أبو عثمان ، عمرو بن بحر بن محبوب ، الجاحظ الكنانى بالولاء (١٦٣ - ٢٥٥ هـ) عالم أديب ، شاعر ، وهو رأس الفرقة الجاحظية من المعتزلة مولده ، ووفاته فى البصرة ، انظر : فرق =

« دخلت الأم فى اسم الأبوة كأنّهم يجمعون على أنبه الاسمين ، وليس ذلك بواجب ، فقد قالوا : سيرة العمرين ؛ وأبو بكر فوق عمر ، وقال الفرزدق [(١)] :

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ   لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

والشمس فوق القمر » [(٢)] ، ويقول ابن سيده : « إذا كان أخوان أو صاحبان ، فكان أحدهما أشهر من الآخر سُمِّيَا جميعا باسم الأشهر ، ومن هذا قولهم : « سيرة العمرين » [(٣)] .

وقال قتادة [(٤)] : « العمران : عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز » [(٥)] .

ويبدو أنّ هذا الرأى وهم من قتادة ، ردّه ابن الشجرى [(٦)] قال : « غلّبوا عمر

= وطبقات المعتزلة ٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ١١ / ٥٢٦ ، وسرح العيون ٢٤٨ ، والأعلام ٥ / ٧٤ ومعجم المؤلفين ٨ / ٧ .

(١) أبو فراس ، هَمَّام بن غالب ، التميمى ، الدارمى ، الفرزدق (ت ١١٠ هـ) من شعراء الطبقة الأولى فى الإسلام ، ومن النبلاء ، له ديوان مشهور انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [١٠١ - ١٢٠] ٢١١ ، وسير أعلام النبلاء ٤ / ٥٩٠ ، والأعلام ٨ / ٩٣ ، معجم المؤلفين ١٣ / ١٥٢ .

(٢) الحيوان ٣ / ٢٥٠ .

(٣) المخصص ١٣ / ٢٢٧ .

(٤) أبو الخطاب ، قَتَادة بن دِعَامة ، السدوسى ، البصرى ، الضرير (٦١ - ١١٨ هـ) مفسر ، حافظ ، لغوى ، نسابة ، عالم بأيام العرب من آثاره تفسير القرآن ، انظر : تاريخ الإسلام ، للذهبى [١٠١ - ١٢٠] ٤٥٣ وفى الحاشية جريدة مصادر ، والأعلام ٥ / ١٨٩ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٢٧ .

(٥) بهجة المجالس ١ / ٩٣ .

وعمر بن عبد العزيز هو أبو حفص ، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، الأموى ، القرشى ، أمير المؤمنين (٦١ - ١٠١ هـ) خامس الراشدين الخليفة الصالح ، والحاكم العادل . انظر : البرصان ، للجاحظ ٤٨٢ ، والمعارف ٣٦٢ ، والتنبيه والإشراف ، للمسعودى ٣١٩ ، ومرآة الزمان جـ / ٥ ، حوادث سنة ١٠١ هـ ، وسير أعلام النبلاء ٥ / ١١٤ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٦٢ ، والوافى بالوفيات ٢٢ / ٥٠٦ ، وغاية النهاية ١ / ٥٩٣ ، والأعلام ٥ / ٥٠ .

(٦) أبو السعادات ، هبة الله بن على بن محمد ، الحسنى ، الشريف ، ابن الشجرى (٤٥٠ - ٥٤٢ هـ) نقيب الطالبيين بالكرخ ، ومن أئمة العلم باللغة والأدب ، وأيام العرب ، مولده ووفاته فى بغداد ، أشهر مؤلفاته أماليه .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠ / ١٩٤ ، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٣٦٣ ، والوافى بالوفيات ٢٧ / ٢٩٤ ، والأعلام ٨ / ٧٤ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ١٤١.

على أبي بكر ؛ لأنَّ أيام عمر امتدت ، فاشتهرت ، ومن زعم أنَّهم أرادوا بالعمرين عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، فليس قوله بشيء ؛ لأنَّهم نطقوا بالعمرين من قبل أنْ يعرفوا عمر بن عبد العزيز ، وَرَدَ أنَّهم قالوا لعثمان (١) - رضوان الله عليه - نسألك سيرة العمرين » (٢) .

ويقول الثعالبي : « من سنن العرب في التغليب :

١ - تغليب من يمشي على من لا يمشي .

٢ - تغليب ما يعقل على ما لا يعقل .

٣ - تغليب المذكر على المؤنث (٣) .

والرأي الذي أخذ به الصفدي - هنا - هو رأي أبي زيد الأنصاري ، فهو يرى أنَّ التغليب بسبب أنَّ لفظ عمر مفرد ، ولفظ أبي بكر مضاف ومضاف إليه (٤) .

وقال التيفاشي (٥) : « يغلبون القمر - والشمس أفضل منه لعلتين :

إحداهما : التذكير .

والأخرى : أنَّهم أنسوا بالقمر ؛ لأنَّهم يجلسون فيه للسمر ، ويهديهم السبيل ،

---

(١) أبو عبد الله - وقيل : أبو عمرو - عثمان بن عفان بن أبي العاص ، القرشي أمير المؤمنين (٤٧ ق . هـ - ٣٥ هـ) ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومن الأغنياء الأجواد ، ومن كتاب الوحي .

انظر : مروج الذهب ٢ / ٣٤٠ ، والاستيعاب ٣ / ١٠٣٧ ، وجمهرة أنساب العرب ٨٣ ، وأسد الغابة ٣ / ٥٨٤ ، والعبر ١ / ٢٦ ، والإصابة ٢ / ٤٦٢ ، ومآثر الإنافة ١ / ٩٣ ، والأعلام ٤ / ٢١٠ .

(٢) أمالي ابن الشجري ١ / ١٤ ، ونَصّ معاذ الهراء - أيضا - على سبق لفظ « العمرين » مجيء عمر بن عبد العزيز ، انظر : الحروف ، لابن السكيت ١٧١ ، والمخصص ١٣ / ٢٢٧ .

(٣) فقه اللغة ٢١٢ .

(٤) النوادر ٢٢٨ .

(٥) أبو العباس ، أحمد بن يوسف بن أحمد ، شرف الدين ، القيسي ، التيفاشي (٥٨٠ - ٦٥١هـ) عالم بالجواهر الكريمة ، ويقول الصفدي : له كتاب كبير إلى الغاية وهو في أربعة وعشرين مجلدة جمعه في علم الأدب ، وسماه « فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب » ، تولى القضاء في قفصة ، ووفاته بمصر ، انظر : الوافي بالوفيات ٨ / ٢٨٨ ، والأعلام ١ / ٢٧٣ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٠٨ .

فى سُرَى الليل ، فى السفر ، ويزيل عنهم وحشة الغاسق ، وينم على المؤذى والطارق [1] .

وأمّا سلطان العلماء فتمشيا مع رأيه فى غلبة المجاز ؛ فإنَّه يرى أنَّ التغليب من الجمع بين المجاز والحقيقة ، وكله من مجاز المشابهة ، فالقمران ؛ لتماثل الشمس والقمر في الضياء ، والعمران لمشابهة أبى بكر وعمر فى حسن السيرة ، والأبوان ؛ لمشاركة الأم الأب فى الأصلية [2] .

وأمّا التوشيع : ويقال له « التوسيع » [3] – أيضا – وهو أنْ يأتى المتكلم ، فى عَجُزِ الكلام – نظما كان أو نثرا – بمثنى ، يفسره باسمين ، الثانى منهما معطوف على الأول ، ومنه الحديث الشريف « يَشِبُّ ابْنُ آدَمَ ، وَتَشِبُّ فِيهِ خَصْلَتَانِ : الْحِرْصُ ، وَطُولُ الْأَمَلِ » [4] .

وليس التغليب ، والتوشيع ، فقط هما صورتا تثنية المشترك فى الأساليب الأدبية ؛ فقد درج الشعراء ، منذ العصر الجاهلى على تثنية الاسمين المشتركين فى معنى يجمعهما ، وذكر الصفدى خمس عشرة مقطوعة لشعراء ، فى كل العصور الأدبية تثبت ذلك ، مما يؤكد جواز تثنية المشترك وجمعه .

وأقدم النماذج التى استشهد بها قول المتلمس [5] :

وَلاَ يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ ... إِلاَّ الأَذَلاَّنِ : عَيْرُ الحَيِّ ، وَالوَتِدُ

---

(١) انظر : سرور النفس ٧٢ .

(٢) انظر : مجاز القرآن ١ / ٤٦٠ .

(٣) انظر فى التوشيع : مواد البيان ٣٤٥ ، وتحرير التحبير ٣١٦ ، ونهاية الأرب ٧ / ١٤٨ ، وجوهر الكنز ٢٨١ ، والطراز ٣ / ٩٨ ، وخزانة الأدب ١ / ٣٧٢ وأنوار الربيع ٥ / ١٨١ ، ومعجم البلاغة العربية ٢ / ٩٥٠ .

(٤) للحديث روايات مختلفة ، وكلها شاهد على التوشيع .
يراجع : كشف الخفاء ٢ / ٣٩٦ .

(٥) جرير بن عبد العزى ، من بنى ضبيعة (ت نحو ٥٠ ق . هـ) شاعر جاهلى ، من أهل البحرين ، انظر : طبقات فحول الشعراء ١٣١ ، والمؤتلف والمختلف ٧١ ، وجمهرة أنساب العرب ٩٣ ، وأمالى المرتضى ١ / ١٨٣ وسرح العيون ٣٩٧ ، والأعلام ٢ / ١١٩ ومعجم المؤلفين ٣ / ١٢٩ .

هَذَا عَلَى الخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ   وَذَا يُشَجُّ ، فَلاَ يَرْثِي لَهُ أَحَدُ

ويختم الصفدى هذا الفصل بجواب التاج السبكى عن السؤال الذى وجهه إليه فى معنى بيت الحريرى :

جَادَ بِالعَيْنِ حِينَ أَعْمَى هَوَاهُ   عَيْنَهُ ، فَانْثَنَى بِلاَ عَيْنَيْنِ

ويرى السبكى أَنَّ الحريرى فى تثنيته لفظ « العين » أوجب أَنْ تلحنه الطائفة المانعة من تثنية المشترك ، وفى الوقت ذاته لم يحصل على مراده ، فى المعنى ؛ لأَنَّ نفى المثنى لا يستلزم نفى المفرد ، فمراده أَنَّ كل واحد من العينين فات عليه ، وتسليط حرف السلب على المثنى لا يقتضى ذلك المعنى ؛ بل يفهم عكسه ، وهو انتفاؤهما معا ، ويرى أن يكون الإفراد فيه تصحيح المعنى :

« جاد بالعين ... فانثنى بلا عينين »

ولم يكتف السبكى بالرد النثرى فقط ، بل كتب إليه أبياتا نظم فيها الإجابة ، ورد عليه الصفدى بقصيدة على وزنها ، ورويها ، يثنى على رده ، ويشيد ببلاغته .

ولا ينسى الصفدى عادته فى الاستطراد ، فبعد أَنْ بيَّن الاستعمال المحمود للمشترك ، والاستعمال المعيب له ، يروى مقطوعتين استحسن معناهما ، فيهما تلميح بضرورة التمييز بين المعانى المشتركة .

فصل فى حلى العين وضبط ذلك

فى هذا الفصل جمع الصفدى طائفة من الصفات المستحبة فى العين ، مثل : أعين ، وأنجل ، وأبرج ، وأدعج ، وأحور ، وأشكل ، وأشهل ، وأكحل ....

والمادة اللغوية لهذا الفصل منقولة من كتاب المخصص ، لابن سيده ، ويلاحظ ما يأتى :

١ – سلك فى تنسيق مادته اللغوية الطريقة ذاتها التى اتبعها فى « فصل فى جملة المشترك فى العين لغة » الذى نقل مادته من الصحاح ؛ فهو يذكر المادة اللغوية ، ويستشهد لها بأبيات من الشعر .

وفي معنى « أنجل » ، تتبع تداول الشعراء لاستعمال « النَجل » في معنى الجراحة الواسعة ، بين أربعة من الشعراء .

وفي معاني الكلمات : « أحور » ، و« أشكل » ، و« أخزر » ، و« أشهل » ، و« أكحل » ، و « جحوظ العين » استشهد لمعانيها بالحديث الشريف ، وبأبيات من الشعر .

٢ - بالرغم من أنَّ الصفدي قد خصص ثلاثة فصول بعد ذلك لمحاسن العين ، ومعايبها ، وهيئتها في النظر ؛ فهو - هنا - يذكر من معايب العين : أخزر ، وأومض ، وأعيس ، وأخيف ، ورأرأ ، وأَمْرَه ، وغائر العين ، وجاحظ العين ، وأشتر ، وأخفش ، وأبخق ، وأعشى .

ويذكر من هيئتها في النظر : أشوس ، وأقبل ، ويبدو لي أنَّ الخطة التي ارتضاها لتنسيق المادة ، هي أنْ يجعل من هذا الفصل المنقول من المخصص مقدمة للفصول التالية التي نقلها من كتابي فقه اللغة ، ولباب الآداب ، للثعالبي .

٣ - أحيانا يدخل اللفظ الواحد في المحاسن مرة ، وفي المعايب مرة ثانية كـ « الخزر » مثلا .

٤ - من الاستطرادات المفيدة في هذا الفصل حشده لجماعة من الأعلام الذين لُقِّبوا بواحد من الألقاب : الجاحظ ، والأخفش ، والأعشى .

٥ - في الفصل إشارات مهمة لدارسي علم اللغة الذين يعنيهم أمر المفردات Lexicologie ، فيما يخص نشأة معان جديدة للكلمات في عصر المؤلف ، من مثل وصفهم الأعور بـ « نادر العين » ، أو « ممتع العين » ، وتصحيح دلالة هذا الوصف بأنَّه للعين السليمة ، ويخطئ من ينسب التمتع للعين المسلوبة ، ومن مثل تسمية العوام الأبخق « كوكبا »....

فصل فى محاسن العين

وفيه سبع كلمات منقولة من كتابى الثعالبى : فقه اللغة ، ولباب الآداب ، وهى : الدَّعَج ، والبَرَج ، والنَّجَل ، والكَحَل ، والحَوَر ، والوَطَف ، والشُّهْلَة ، واكتفى فيه بما ذكره الثعالبى ، دون زيادة .

فصل فى معايب العين

ذكر الصفدى من معايب العين عشرين كلمة ، وبيَّن معانيها اللغوية ، وهى : الحَوَص ، والخَوَص ، والشَتَر ، والعَمَش ، والكَمَش ، والغَطَش ، والجَهَر ، والعَشَا ، والخَزَر ، والغَضَن ، والقَبَل ، والشُّطُور ، والشَّوَس ، والخَفَش ، والدَّوَش ، والإِطْرَاق ، والجُحُوظ ، والبَخَق ، والكَمَه ، والبَخَص ، ولم يستشهد لمعانيها إلا كلمة « القَبَل » فاستشهد لها ببيت من الشعر ، وفى كلمة « الشُّطُور » روى بيتين من الشعر يفتخر فيهما القائل بالَحَول فى عينيه .

والمادة اللغوية لهذه الكلمات منقولة عن كتابى الثعالبى : فقه اللغة ، ولباب الآداب ، ويستطرد بعدها بذكر جملة من أدواء العين ، فيذكر أسماء واحد وأربعين مرضا من الأمراض التى تصيب العين ، يستكمل بها ما سبق أنْ ذكره من أمراض العين فى فصل « صلاة من كان فى عينه ألم » .

وهذه الأمراض هى : الغَمَص ، والَلحَح ، والَلخَص ، والغَرَب ، والسَبل ، والسَحا ، والظَّفر ، والطَّرْفَة ، والانتشار ، والحَثَر ، والقَمَر ، والرَّمد ، والجَرَب ، والبياض ، والشَّتَرَة ، والماء والجُحَظ ، والحَوَل ، والقَبَل ، والانخساف ، والعَشَا ، والسُلاَق والسَّرطان ، والغُدَّة ، والكمنة ، والناسور ، والشَّعيرة ، والسحوح ، والغشاوة ، والحلزون ، والجَهَر ، ونبات اللحم ، والشعر النابت ، والشعر المنقلب من الجفن إلى داخل العين ، وضيق الثقب واتساعه ، وضمور العين ، ورقة الجفون ، وتسايل الحدقة ، والظلمة فى العيون ، وغِلَظ الجفون ، واليرقان .

والمادة اللغوية والعلمية لهذه الأمراض منقولة من مصادر متعددة ، لغوية ، وطبية ، بينتُها فى مصادر الصفدى فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

واستشهد ببيت لكل من : السُّبَل ، والقَمَر ، وذكر لغزا فى السرطان من بيتين ، ومن هذه الأمراض اكتفى بذكر ثلاثين منها بدون تعريف ، وبعضها مما سبقت الإشارة إليه فى الفصل الخامس .

فصل فى عوارض العين

ذكر الصفدى اثنتى عشرة كلمة تدل معانيها على تغيرات طارئة تصيب العين ، فى مواقف خاصة ، وحالات محدودة ، وهى: حَسِرت عينه ، ورَأْرَأَت ، وسَدِرَت ، واسْمَدَرَّت ، وقَدَعَت ، وحَرَجَت ، وهَجَمَت ، ونَقْنَقَت ، وحَجَّلَت ، وهَجَّجَت ، وذَهِبَت ، وشَخَصَت .

والمادة اللغوية منقولة من فقه اللغة ، والمخصص ، دون إضافة ، وأشار الصفدى إلى أنَّه كان قد عقد فصلا لأحوال العين فى البكاء ، فى كتابه « لذة السمع فى صفة الدمع » [1] .

فصل فى كيفية النظر و هيئته

وهذا الفصل كسابقه – أيضا – منقول من فقه اللغة ، ولباب الآداب ، للثعالبى ، ومن المخصص ، لابن سيده ، ذكر فيه الصفدى ثمانيا وعشرين كلمة تدل معانيها على الصورة التى يكون عليها النظر فى حالات : التريث ، والعجلة ، والشدة ، والتعجب ، والعداوة ، والمحبة ، وإدامة النظر ، وغيرها ، وهذه المواد ، هى :

رَمَق ، ولَحَظ ، ولَمَح ، وحَدَج ، وأرشق ، وأسفّ ، وشَفَن ، وتوضَّح ، واستكفّه ، واستوضحه ، واستشرفه ، واستشفّه ، ولاح ، ونَفَض ، وتَصَفَّح ، وحَدَق ، وبَرَّق ، وحَمْلَق ، وبَرِق ، وحَمَّج ، وحَدَج ، ودَنْقَش ، وشَخَص ، وأَسْجَد ، وتَبَصَّر ، وأَتْأَر ، ومن الكلمات الموصوفة :

النظر الشزر ، ونَظْرة ذى العَلَق ، ولم يستشهد الصفدى فى هذه المواد إلا ببيت

---

(1) انظر « لذة السمع فى صفة الدمع » بتحقيقى ١٤٧ .

واحد لزهير ابن أبي سلمى في مادة « نفض » ، وهو قوله في وصف بقرة :

وَتَنْفُضُ عَنْهَا غَيْبَ كُلِّ خَمِيلَةٍ وَتَخْشَى رُمَاةَ الغَوْثِ مِنْ كُلِّ مَرْصَدِ

فصل في تسمية أجزاء العين

في هذا الفصل ذكر الصفدي أسماء أجزاء العين ناقلا مادته اللغوية من كتاب المخصص ، لابن سيده وحده .

سوف يعود إلى هذه الأجزاء ، مرة ثانية ، في الفصول التي تحدّث فيها عن تشريح العين ، وذِكْر طبقاتها ، وهو آخر الفصول التي تناول فيها العين في اللغة ، وجمع فيه اثنتي عشرة كلمة من مكونات العين ، وهي : المُقْلة ، والحَدَقة ، والنَّاظر ، والإنْسَان ، وذُنَابة العين ، والْلِحَاظ ، والموق ، والحِمْلاَق ، والجَفْن ، والهُدْب والحِجَاج .

واستشهد الصفدي لمعنى الحدقة ببيت من الشعر ، وللحملاق استشهد بشطر من بيت ، وفي كلمة « الإنسان » ذكر بيت المتنبي [1] :

جَارِيَةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَاظِرِي مُحَيَّاهَا

وقال : خطر لي سؤال في هذا البيت ذكرته ، وذكرت الجواب عنه في كتابي « لذة السمع في صفة الدمع » [2] ، واستطرد في دراسة تاريخية ، ونقدية لكلمة « إنسان العين » بيّن فيهما الأصل الذي بدأ منه المعنى ، وهو قول أمية بن أبي الصلت [3] :

---

(1) أبو الطيب ، أحمد بن الحسين ، الجعفي ، الكوفي ، الكندي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ) أشهر شعراء العربية ، في العصر العباسي ، مدح ملوك عصره ، ووزراءه : سيف الدولة الحمداني ، وكافور الإخشيدي ، وابن العميد ، وعضد الدولة ، وقتل بالقرب من النعمانية ، في طريق عودته من شيراز ، وديوان شعره مشهور ، انظر : يتيمة الدهر ١ / ١١٠ ، وبغية الطلب ٢ / ٦٣٩ ، والمقفى الكبير ١ / ٣٦٦ ، وذيل ميزان الاعتدال ٥٩ ، وشرح أبيات المغني ١ / ٤٦ ، ومواسم الأدب ١ / ١٥١ ، ونزهة الجليس ١ / ٥٠٥ ، والأعلام ١ / ١١٥ ومعجم المؤلفين ١ / ٢٠١ .

(٢) انظر : لذة السمع في صفة الدمع ٦٤ .

(٣) أبو الصلت ، أمية بن عبد الله ، الثقفي (ت ٥ هـ) شاعر جاهلي ، حكيم ، كان مطلعا على الكتب القديمة ، لبس المسوح ، وطمع في النبوة ، ومات على الكفر . انظر : الوافي بالوفيات ٩ / ٣٩٥ ، والأعلام ٢ / ٢٣ .

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ ثَبَجٌ ، وَصُلْبٌ وَأَنْتَ الرَّأْسُ ، أَوَّلُ كُلِّ هَادِ

وكيف تناوله الشعراء من بعده ، وأضافوا إليه .

فقد تناوله من بعده نُصَيْبٌ (١) ، وَالعَكَوَّكُ (٢) ، وابن الرومى ، وشيخ الشيوخ (٣) .

العين فى العلوم العقلية

بعد حديث الصفدى عن « العين » فى العلوم النقلية ، واللغوية ، والأدبية كتب سبعة فصول عن « العين » فى كتب الطب العربى ، وجعل عناوينها :

فصل فى تشريح العين .

فصل فى طبع العين ومزاجها .

فصل فى سبب كَحَل العين .

فصل فى سبب زرقة العين .



فصل فى ذكر طبقات العين .

فصل فى عضل العين .

تتمة فيما يتعلّق بذكر العصبين المجوفين .

---

(١) أبو محجن ، نصيب بن رباح (ت ١٠٨ هـ) مولى عبد العزيز بن مروان وهو شاعر فحل ، مقدم فى النسيب والمدح ، انظر : سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٦٦ ، والوافى بالوفيات ٢٧ / ٩٣ ، والأعلام ٨ / ٣١ .

(٢) أبو الحسن ، علي بن جبلة بن مسلم ، الأبناوى (١٦٠ - ٢١٣ هـ) شاعر عراقى مجيد ، من أحسن الناس إنشادا ، وكان أعمى ، أسود ، أبرص .

انظر : طبقات ابن المعتز ١٧١ ، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ١٩٢ ، والأعلام ٤ / ٢٦٨ .

(٣) أبو محمد ، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ، شيخ الشيوخ ، ابن الرفاء ، الأوسى (٥٨٦ - ٦٦٢ هـ) شاعر ، محدِّث ، وزير ، ولد فى دمشق ، وتوفِّى فى حماة ، وله ديوان شعر مشهور . انظر : ذيل الروضتين ٢٣١ ، وذيل مرآة الزمان ٢ / ٢٣٩ ، وتالى كتاب وفيات الأعيان ٩٧ ، وتاريخ ابن الوردى ٢ / ٣٠٩ ، وعيون التواريخ ٢٠ / ٣٠١ ، والوافى بالوفيات ١٨ / ٥٤٦ ، والمنهل الصافى ٧ / ٢٣٩ ، والدليل الشافى ٢ / ٤١٧ ، والأعلام ٤ / ٢٥ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٢٥٩ .

فصل فى تشريح العين

نصَّ الصفدى على أنّه مأخوذ من كتاب القانون لابن سينا، والهدف منه إظهار حكمة الخالق العظيم، سبحانه وتعالى، وعنايته بالإنسان.

وتركيب العين كما ذكره ابن سينا: الحدقة وفى وسطها الجليدية وهى تشبه الزجاج، ومنها تنفذ صور المرئيات إلى العين وتنطبع على الشبكية، وبين التركيب الداخلى للعين، وخصائص القرنية، والملتحمة، والعضل المحرك للمقل، والهدب ليدفع عن العين ما يؤذيها، وقد أفاض ابن سينا فى تصوير كل جزء لبيان الحكمة منه، وفوائده.

ويذكر الخوارزمى (٢) أنَّ أجزاء العين سمِّيت بالأشياء التى تشبهها، كالمشيمة: شُبِّهت بالمشيمة، وهى التى فيها الولد فى البطن، والشبكية: شبهت بالشبكة، والعنكبوتية: شبهت بنسج العنكبوت، والقرنية: شبهت بالقرن فى صلابته، والملتحم: هو بياض المقلة (٣).

فصل فى طبع العين ومزاجها

يقصدون بالأمزجة الحالات التى يكون عليها العضو، وهى تسعة: المزاج المعتدل، والحار، والبارد، والرطب، واليابس، والحار الرطب، والحار اليابس، والبارد الرطب، والبارد اليابس (٤).

وطبيعة العين الخاصة حار، ومزاجها الطبيعى رطب، ويستدل على رطوبة مزاج

---

(١) أبو على، الحسين بن عبد الله، شرف الملك، البلخى، البخارى، ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨هـ) فيلسوف، طبيب، عالم، تقلد الوزارة فى همذان وبها توفى، صنف نحو مائة كتاب فى كل العلوم. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٣١، والعبر ٢ / ٢٥٨، والوافى بالوفيات ١٢ / ٣٩١، والأعلام ٢ / ٢٤١، ومعجم المؤلفين ٤ / ٢٠.

(٢) أبو عبد الله، محمد بن أحمد، الخوارزمى، الكاتب (ت ٣٨٧ هـ) باحث من أهل خراسان. انظر: تاريخ الأدب العربى، بروكلمان ق ٢ / ٧٤٣ والأعلام ٥ / ٣١٢، ومعجم المؤلفين ٩/ ٢٩.

(٣) انظر: مفاتيح العلوم ١٨٤.

(٤) انظر: مفاتيح العلوم ١٩٨.

العين بلين ملمسها ، أو بلونها ، فإنَّ العين الزرقاء أقل حرارة من الكحلاء ، وأما العين الشهلاء ، والشعلاء فهما معتدلتا المزاج .

ومادة الفصل منقولة من تذكرة الكحالين ، لعلى بن عيسى [1] .

فصل فى سبب كحل العين

وهو ينقل من القانون وتذكرة الكحالين ، ويرجع الأطباء كحل العين إلى سبعة أسباب ، هى : نقص الروح الباصر ، أو كدورته ، أو صغر الرطوبة الجليدية ، أو انخفاضها ، أو كثرة الرطوبة البيضية ، أو كدورة الرطوبة البيضية ، أو سواد الطبقة العنبية .

فصل فى سبب زرقة العين

وتكون العين زرقاء لسبعة أسباب وهى ضد الأسباب الأولى ، والفصل منقول أيضا من القانون ، وتذكرة الكحالين .

فأسباب زرقة العين هى : كثرة الروح الباصر ، أو صفاؤه ، أو عظم الرطوبة الجليدية ، أو جحوظها ، أو نقصان الرطوبة البيضية ، أو صفاؤها ، أو نقصان سواد الطبقة العنبية .

وأمَّا العين الشهلاء والشعلاء فيكون فيهما تعادل بين الأسباب التى تحدث الكحولة ، مع الأسباب التى تحدث الزرقة ، وينشأ عن تعادلها أنَّ الروح الباصر يكون أكثر ، وأصفى .

فصل فى ذكر طبقات العين

وللمرة الثانية يعود الصفدى إلى تذكرة الكحالين لينقل عنها تركيب العين ، ويبيِّن طبقاتها السبع ، وهى :

---

(١) على بن عيسى بن على (ت ٤٣٠ هـ) طبيب حاذق فى أمراض العيون ، ومداواتها . انظر : الوافى بالوفيات ٢١ / ٣٧٢ ، والأعلام ٤ / ٣١٨ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ١٦٣ .

١ – الصلبة : وهى لاصقة بالعظم .

٢ – المشيمية : وهى لتغذية الشبكيـة ، ووقايتها من الآفات ، وتلطيف الدم .

٣ – الشبكية : وهى مكونـة من عصبة مجوفة وعروق وأوراد وطبيعتها معتدلة .

٤ – العنكبوتيـة : ولونها أبيض مصقـول ، ولها ثلاث منافع : الحجز بين الرطوبة الجليدية والرطوبة البيضية – ووقاية الجليدية من العلل – وتغذية العنكبوتية .

٥ – العنبية : وهى طبقتان لها خمل ، ولها منفعتان : جمع الرطوبة الجليدية – تعليق الماء بالخمل وقت القدح .

٦ – القرنية : وهى قدام العنبية بيضاء ، صلبة ، كثيفة .

٧ – الملتحمة : جسم غضروفى غليظ ، صلب .

وفى العين ثلاث رطوبات ، وهى : الزجاجية ، والجليدية ، والبيضية ، وفى العين عصبان : أحدهما للحس ، والآخر للحركة .

والعضل : تسع .

ويختم الفصل ببيتين للموفق بن الخلال [1] فى تشبيه الشمعة بطبقات العين .

فصل فى عضل العين وعدتها ومنافعها

وهو منقـول – أيضا – عن تذكرة الكحالين ، وعددها تسع ، وطبعها معتدل ، ويبين مواضعها ، ووظائفها ، وكلها تؤدى حـركة العين ، وتربط أجزاءها .

تتمة فيما يتعلق بذكر العصبين المجوفين

هذا الفصل منقـول من كتاب « الاستبصار فيما تدركه الأبصار » [2] ، لشهاب الدين القرافى ، ويذكـر أنَّه يخرج من داخل الدماغ عصبان مجوفان ، وليس فى

---

(١) أبو الحجاج ، يوسف بن محمد ، موفق الدين ، ابن الخلال (ت ٥٦٦ هـ) شاعر كاتب ، مترسل ، صاحب ديوان الإنشاء ، مولده ووفاته بمصر ، انظر : سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٠٥ ، والأعلام ٨ / ٢٤٧.

(٢) عنوان الكتاب فى مخطوط التيمورية رقم ٨٣ / حكمة : « الاستبصار فيما يدرك بالأبصار » .

الجسم عصب مجوف غيرهما ، وفيهما الروح الباصر وزعم أنَّ صور المرئيات ، وما تدركه الحواس الخمس محفوظ هناك ، وفيه ترتسم العلوم ، والقرآن ، وغيره ؛ فكأنَّه يرى أنَّ للمعنويات صوَرًا ، وقد صَحَّح ابن الأكفانى [1] هذا الغلط ، وبيَّن أن صور المرئيات التى تدرك بالعين ، غير المعانى التى تحفظ بالخيال فى مركز الذاكرة من الدماغ .

بين القديم والجديد

تتميما للفائدة ، حاولت ترجمة المصطلحات الطبية إلى اللغتين الفرنسية ، والإنجليزية ، وتقديم تعريف موجز لها من خلال المصادر الآتية :

١ - المصطلحات الطبية التى أقرّها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمجمع العلمى العربى بدمشق .

٢ - المعجم الطبى الموحَّد الذى أعدّته ، وأصدرته أربع هيئات علمية متخصصة ، هى : مجلس وزراء الصحة العرب ، ومنظمة الصحة العالمية ، واتحاد الأطباء العرب ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٣ - المعجم الموحد فى مصطلحات علم الصحة وجسم الإنسان الذى أصدره مكتب تنسيق التعريب فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٤ - رسالة « نظرة عيان وتبيان فى مقالة أسماء أعضاء الإنسان » للدكتور صلاح الدين الكواكبى ، فقد حقَّق الدكتور فيصل دبدوب « مقالة فى أسماء أعضاء الإنسان » لابن فارس ، نُشرت فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، وقد أضاف إليها الدكتور الكواكبى ما يقابل الأسماء باللغتين الفرنسية والإنجليزية ، والمنهج الذى اختطه الدكتور الكواكبى هو :

تعريف المصطلح الطبى العربى القديم من خلال القاموس المحيط ، للفيروزابادى ، ورمزله بالحرف « ق » .

---

(١) أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن ساعد ، الأنصارى ، السنجارى ، ابن الأكفانى المصرى (ت ٧٤٩ هـ) طبيب ، باحث ، شاعر عالم بالحكمة والرياضيات . انظر : أعيان العصر ١ / ١٢٤ ، المقفى الكبير ٥ / ٧١ ، والأعلام ٥ / ٢٩٩ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ٢٠٠ .

تعريف المصطلح تعريفا علميا حديثا من خلال المعجم الفرنسى LAROUSSE ورمز له بالحرف « ل » .

وقد اتبعت المنهج ذاته مع ملاحظة ما يأتى :

* بالنسبة لتعريف المصطلح قديما رجعت إلى أكثر من معجم ، وبخاصة «لسان العرب» ، وكتب الطب التى نقل عنها الصفدى .

* إذا وجدت تعريفا للمصطلح معتمدا من واحد من المجامع العلمية العربية أثبتُّه ، وقدّمته على غيره .

* إذا لم أجد تعريفا معتمدا للمصطلح ، ولم يترجمه الدكتور الكواكبى ، ترجمته عن المعجم الفرنسى المذكور .

* ذكر الدكتور الكواكبى بعض أمراض العيون ، وقدَّم شروحا موجزة لها ، مع ترجمة إلى الفرنسية ، فقط ، وأحيانا إلى اللغتين ؛ وقد نقلتها ، فى أماكنها من الكتاب ، وهو أعرف بها منِّى .

وهذا تصوُّر مختصر لتركيب العين ، كما تعبِّر عنها علوم الطب الحديثة ، وكما ذكرها الدكتور الكواكبى [1] .

العين : عضو الرؤية ، وعين الإنسان تحدها ثلاثة أغشية Membranes ، وهن :

١ - الصلبة Sclerotique وهى الطبقة الواقية من الأمام ، وتؤلف القرنية الشفافة Cornee (F) , Cornia (E) .

٢ - شبه المشيمة : Chorion (E)óChor de (F) وهى مصطبغة ، ومغذية ، تمتد من الأمام بالقزحية Iris، وهى ثقبة الحدقة ، ذات فتحة متحولة بحسب شدة الضوء الساقط عليها .

٣ - الشبكية :(Retine (F) , Retina N A (E ، وهى ذات أعصاب حساسة للمنبِّه الضوئى ، وتتصل بالمخ Encephale (F) (E) Cerebrum NA , بواسطة العصب البصرى Nerf Optique (F) , Nervus Opticus NA (E) وترتسم عليها الصور المتكونة عن الأوساط الأمامية الشفافة من العين ، وتتركب تلك الأوساط من :

---

(١) انظر : مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ، مجلد ٤٢ جـ ٤ / ص ١٤٧ - ٧٢٩ .

* القرنية Cornee (F) , Cornea (E) .

* والخلط المائى , Humeur-Aqueuse (F)

Aqueous Humor (E) .

* والجليدية [أو الجسم البللورى] ,Cristallin (F)

Crystalline (E) .

* والخلط الزجاجى , Humeur Vitree (F)

Vitreous h. (E)

إنَّ العضلات الهدبية الموجودة فى حدود القزحية وشبه المشيمة تعمل على تحويل خاصة اللم فى الجليدية Convergence (F , F)، بحيث تمكِّن من المطابقة Accomodation التى تقلّ رحابتها Amplitude فى الشيخوخة ، وهى المعروفة باسم القَدَع ، أو قصوّ البصر . Presbytie (F) , Presbyoia (E)

ويجب الاعتراف بصعوبة ترجمة المصطلحات القديمة ، وذلك لأنَّ العلماء العرب ربَّما أطلقوا اللفظ الواحد على عدد كبير من الأمراض ، يصعب تحديدها ، اقرأ مثلا :

الكُمْنَة : جرب ، وحمرة تبقى فى العين من رمد يساء علاجه ، فَتُكْمَن ، وقيل : الكمنة ورم فى الأجفان ، وقيل : قرحٌ فى المآقي ، ويقال : حِكّة ، وييس وحمرة ، وقيل : هو ورم فى الجفن وغلظ ، وقيل : هى أُكال يأخذ فى جفن العين ؛ فتحمر له ، فتصير كأنها رمداء ، وقيل : هى ظلمة تأخذ فى البصر (١) .

ومثل كلمة « **البخق** » فقد رويت لها المعانى الآتية :

١ – نقطة بيضاء فى العين .

٢ – أقبح ما يكون من العور ، وأكثره غَمَصًا .

٣ – أنْ تنخسف العين من العور ، وقد يقال « العور بانخساف العين » .

٤ – أن يذهب البصر ، وتبقى العين منفتحة قائمة .

٥ – ذهاب العين جملة .

---

(١) انظر : اللسان « كمن » ١٣ / ٣٥٩ .

٦ - فقْء العين .

وبعض المصطلحات لم يعد لها معنى فى العلم الحديث ، مثلا [١] :

ـ الشأنان :

معناهما في المعجم : عرقان ينحدران من الرأس إلى الحاجبين ، ثم إلى العينين .

ورأى اللجنة في مجمع اللغة العربية : لا ينطبق هـذا اللفظ على عرق فى التشريح الحديث .

واقترح المجلس : أنْ يوضع فى المعجم الشئون [جمع شأن] وهى المجارى الدمعية .



(١) انظر : مجلة مجمع اللغة العربية ، بالقاهرة م ١٢ / ٢٦٧ .

النتيجـــــة

النتيجة في منهج الصفدى – عادة – هى الهدف من تأليف الكتاب ، وهى – هنا – اختيارات شعرية ، فى العين ، ذكر فيها ما اختاره من شعر ، مرتبا على حروف المعجم ، وقد اختار فيها ١٤٦٥ بيتا ، فى ٦٣٤ مقطوعة مقسّمة كالآتى :

عدد القطع	عدد أبياتها
١	١
٤٩٢	٢
١٠٠	٣
٣٠	٤
٧	٥
٣	٦
١	٧

وكان اختياره من شعر ٧٨ شاعرا (١) ، إلى جانب ما اختاره من شعره ، وهذا ثبت بأسماء الشعراء ، وعصورهم ، مرتبين بحسب العصر ، وعدد الأبيات التى اختارها من شعرهم :

الشاعـر	عدد الأبيات	عدد المقاطيع
شعراء القرن الثاني : واحد فقط ، هو :		
جرير	٢	١
شعراء القرن الثالث : وعددهم ٣ ، وهم :		
ابن المعتز	٢	١
ابن الرومى	٢	١
صريع الغوانى	٢	١

(١) قد يكون للشاعر أبيات أخرى مذكورة فى المقدمات ؛ فلا تعد ضمن أبيات النتيجة ، وبعض الشعراء استشهد الصفدى بشعرهم فى المقدمات ، فقط ، فلا ذكر لهم ، هنا .

شعراء القرن الرابع : وعددهم ٢ ، وهما :

ابن هانئ الأندلسى	٧	٢
أبو بكر الخوارزمى	٥	٢

شعراء القرن الخامس : وعددهم ٨ ، وهم :

ابن صردر	٢٠	٩
ابن حيوس	١١	٥
ابن سنان	٦	٣
الباخرزى	٥	٢
نصر بن سيّار	٤	٢
الشريف العقيلى	٣	١
ابن عبد الواحد الصقلى	٢	١
المتيم الإفريقى	٢	١

شعراء القرن السادس : وعددهم ١٧ ، وهم :

ابن القيسرانى	١٢٤	٤٥
ابن المعلم	٥٢	٢٠
سبط ابن التعاويذى	٤٧	٢١
الغزى	٣٧	١٦
ابن قلاقس	٣٥	١٥
ابن الزقاق	١٣	٦
الأرجانى	١٣	٥
ابن الذروى	٦	٣
ابن الخياط	٤	٢
ابن قادوس	٤	١
ابن الزبير	٣	١

الشاعـر	عدد الأبيات	عدد المقاطيع
ابن الخلال	٣	١
الأبيوردى	٢	١
الحريرى	٢	١
ابن الجبّاب	٢	١
ابن خفاجة	٢	١
البقيرة	٢	١

شعراء القرن السابع : وعددهم ٣٣ ، وهم :

ابن الساعاتى	١٠٦	٤٨
السراج الوراق	٨٧	٣٨
ابن سناء الملك	٧٣	٣٠
الشاب الظريف	٦٣	٢٧
ابن الظهير الإربلى	٥١	٢٢
شهاب الدين التّلعفرى	٤٥	٢١
ابن النبيه	٣٦	١٦
محيى الدين بن عبد الظاهر	٢٢	٩
أبو الحسين الجزار	٢١	٩
شيخ الشيوخ	١٨	٧
ابن عُنَيْن	١٧	٨
البهاء زهير	١٧	٧
ابن النقيب	١٤	٧
ابن إسرائيل	١٠	٥
البدر يوسف بن لؤلؤ	١٠	٥
ابن مطروح	٩	٤
ابن تميم	٨	٤
الأسعد بن مماتى	٤	٢

راجح الحلى	٤	١
أبو المحاسن الشّوّاء	٤	١
صفى الدين الأسود	٣	١
ابن الخيمى	٣	١
الزين جوبان	٢	١
ابن أبى الإصبع	٢	١
الورن	٢	١
أمين الدين السليمانى	٢	١
ابن قزل	٢	١
رشيد الدين الفارقى	٢	١
الحاجرى	٢	١
الملك المعظم	٢	١
ابن قرناص	٢	١
ابن مهمندار العرب	٢	١
غُشْم الإدفوى	٢	١

شعراء القرن الثامن : وعددهم ١٢ ، وهم :

الصفدى	٢٨٦	١٢٧
المحار	٢٤	١١
صفى الدين الحلى	٢١	٩
شهاب الدين العزازى	٢١	٨
ابن دانيال	١٢	٦
ابن نباتة	١٠	٥
الشهاب محمود	٨	٤
الأُرْمَوِىّ	٦	٣
ابن الوردى	٤	٢
جمال الدين الصوفى	٤	٢

الشاعر	عدد الأبيات	عدد المقاطيع
الفار الشطرنجى	٢	١
ابن شنار	٢	١

شعراء مجهولون : ذُكِرَت أسماؤهم ، وعددهم ٣ ، وهم :

عبد العزيز الآمدى	٢	١
عمر البغيض	١	١
يوسف بن سليمان بن التيّان	١	١

شعراء مجهولون : ذكر شعرهم بدون عزو : ٧ ٤

وتوزيع الأبيات بحسب القوافى كالآتى :

القافية	عدد الأبيات	القافية	عدد الأبيات
الهمزة	١٨	الضاد	٤٥
الباء	٦٨	الطاء	٨
التاء	٢٣	الظاء	٢
الثاء	٧	العين	٣٢
الجيم	١٦	الغين	٢
الحاء	٥٤	الفاء	٥٦
الخاء	٤	القاف	٦١
الدال	١٣٨	الكاف	٢٢
الذال	٤	اللام	٢٢٢
الراء	٢٤١	الميم	١٣٤
الزاى	٩	النون	١٩٣
السين	٣٠	الهاء	١٨
الشين	٩	الواو	١٥
الصاد	٦	الياء	٢٨

والأبيات التى اختارها الصفدى تكوّن مادة خصبة لدراسة الشعر العربى فى

العصور الوسطى ، وما شاع فيه من ألفاظ الغزل والألفاظ المولّدة ، والمعانى التى استحدثها الشعراء ، والصيغ الصرفية التى صاغوا عليها بعض كلماتهم ، فصوغ الفعل « وقح » على الوزن « افتعل » لا نكاد نجده فى شعر قديم ، ولم ترد هذه الصيغة فى المعاجم المعروفة ؛ ولعلّ الحريرى هو أول من استعمله قال : « فأخذ يلدغ ويصى ، ويتّقح ولا يستحى » [1] ، وتداوله من بعده الشعراء ، والكتاب [2] ، ومن الألفاظ المتداولة - أيضا - المصدر « سطا » نجده فى شعر لابن المعلم (ت ٥٩٢ هـ) ، ويستعمله من بعده الصفدى [3] .

ومنها جمع « سهم » على « أَسْهَام » نجده فى شعر للشاب الظريف (ت ٦٨٨هـ) [4] .

وربّما تتاح الفرصة لدارس أنْ يجمع هذه الألفاظ فى مبحث خاص .

وأمّا المعانى التى تضمّنتها هذه الاختيارات فقد سبقت الإشارة إليها [5] وهى تشتمل على تشبيهات العين ، وصفاتها المستحبة ، وتأثيرها فى النفوس ، ولغة التفاهم بها ....



(١) شرح المقامات للشريشى ٣ / ٧٠.

(٢) ورد اللفظ فى شعر سبط ابن التعاويذى (ت ٥٨٣ هـ) . انظر ديوانه ٩٩ ، وصرف العين (٧٤ / ب) ، ومعروف أنّ الصفدى كان يحفظ المقامات ، ويرويها بالإجازة ؛ لذلك ترك أسلوبها أثرا بالغا فى معجم الصفدى اللغوى ، وقد استعمل لفظ « اتّقح » فى كتابيه « نصرة الثائر » ٦٢ ، و« لذة السمع » ٨٧ .

(٣) راجع صرف العين ٧٩ / ب ، و٨٢ / أ .

(٤) راجع ديوانه ١٢١ ، وصرف العين ٨٨ / أ .

(٥) راجع صفحة ٢١ - ٢٢ .

الباب الثانى

التوثيق والتحقيق




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه

تتضافر الأدلة على تأكيد نسبة الكتاب إلى مؤلفه خليل بن أيبك الصفدى ، فمن ذلك :

١ - المخطوطتان بخطه ، ففى مخطوطة مكتبة برلين ، جاء على صفحة الغلاف « كتاب صرف العين ، وعرض العين ، فى وصف العين » تأليف الأديب الفاضل صلاح الدين خليل الصفدى .

وفى مخطوطة المكتبة العمومية بإستانبول ، وضع مصنفو المكتبة غلافا للمخطوطة ، كتب عليه « كتاب صرف العين » للعلامة خليل بن أيبك الصفدى - رحمه الله تعالى - فالمكتبتان تنسبان الكتاب إليه .

٢ - قال السبكى : كتب هو إلى مرة - يعنى الصفدى - عن تثنية لفظ عين وعين ، فى بيت الحريرى (١) : « فَانْثَنَى بِلاَ عَيْنَيْنِ »

فأجبته بجواب يطول ، قد حكاه هو فى كتابه المسمى : « صرف العين » (٢) .

٣ - نُسِبَ الكتاب إليه فى إيضاح المكنون ٢ / ٦٧ ، وهدية العارفين ١ / ٣٥٢ ، وتاريخ الأدب العربى ، لبروكلمان ق / ٦ / ١٢٠ .

٤ - يذكر الصفدى فيه بعضا من مؤلفاته الأخرى (٣) ، وترسُّلاته (٤) ، كما يروى أطرافا من أخبار شيوخه (٥) ، ومروياته عنهم (٦) .

وبهذا يتأكد أن مؤلف الكتاب هو خليل بن أيبك الصفدى .

---

(١) أبو محمد ، القاسم بن على ، البصرى ، الحريرى (٤٤٦ / ٥١٦ هـ) أديب لغوى ، شاعر . انظر : إنباه الرواة ٣ / ٢٣ ، والخريدة « العراق » ٤ / ٢ / ٥٩٩ ، وشرح الشريشى ١ / ٣ ، والمنتظم ٩ / ٢٤١ ، والمرقصات المطربات ١٥ وسير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٦٠ ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢١٩ ، وأبيات المغنى ٤ / ١٧٧ والفلاكة والمفلوكون ١١٨ ، والكنى والألقاب ٢ / ١٧٩ ، والأعلام ٥ / ١٧٧ ، ومعجم المؤلفين ٨ / ١٠٨ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١٠ / ٧ ، وإجابة السبكى ذكرها الصفدى ، فى صرف العين ، فى « مخطوطة المكتبة العمومية » ٥ / ب .

(٣) جاء ذكر كتابه « لذة السمع فى صفة الدمع » فى مخطوطة العمومية ٥٢ / أ ، وكتابه « لمع السراج » فى المخطوطة نفسها ٤١ / ب ، وكتابه « الشعور بالعور » فى المخطوطة نفسها ٤٩ / أ .

(٤) يراجع - مثلا - اللوحات ٤٢ / ب ، ٤٧ / أ .

(٥) فى أماكن كثيرة ، منها - مثلا - ١٣ / أ .

(٦) يراجع - مثلا - ٤١ / ب .

متى ألف الصفدى هذا الكتاب ؟

ليس فى المخطوطة ما يُبيِّن تاريخ كتابتها ؛ ولكن يمكن معرفة هذا التاريخ – على وجه التقريب – من خلال الأحداث التاريخية التى ذُكِرَتْ فيها ، وآخرها ما أشار إليه فى اللوحة ١٤/أ من أنّه سمع كتاب « جمع الجوامع » على مصنفه ، من لفظه ، وقد جاء فى آخر الكتاب ، « قال مصنفه – رحمه الله تعالى – : وكان تمام تبييضه فى أخريات ليلة عشر ذى الحجة الحرام سنة ٧٦٠ هـ ، بمنزلى ، بالدهشة ، من أرض المِزّة ظاهر دمشق المحروسة » (١) ومعنى ذلك أن مؤلف « جمع الجوامع » قد شرع فى إقراء الكتاب فى بَدْء سنة ٧٦١ هـ ويكون الصفدى قد ألف كتابه بَعْد هذا التاريخ ، فهو إنْ لم يكن آخر ما كتب فى حياته ؛ فهو – بالتأكيد – من أواخر مؤلفاته .

منهج الصفدى فى هذا الكتاب

المفقود من هذا الكتاب بعض الأوراق فى ثلاثة مواضع هى :

١ – بعض أوراق التمهيد .

٢ – ورقة أو ورقتان من بداية الفصل الأول الذى تناول فيه الحديث عن العين فى القرآن الكريم .

٣ – ورقة أو ورقتان من الفصل الثانى « العين فى الحديث الشريف » وإذا كانت خطة الكتاب مفقودة – ضمن صفحات التمهيد – فإن المتبقى منه يدل على منهج المؤلف ، كما عوَّدَنا فى كتاباته ، وكما هو مُفَصَّل فى كتابه « لذة السمع فى صفة الدمع » والذى يعتبر الجزء الأول من هذه الدراسة (٢) .

التمهيد : بقى من التمهيد ستة أوراق ، هى :

١ – بدْء خطبة الكتاب على ظهر ورقة الغلاف من مخطوطة برلين .

٢ – خمس ورقات من ٦٢ – ٦٣ فى مخطوطة المكتبة العمومية باستانبول .

---

(١) جمع الجوامع ٢٠٤ ، والدهشة – علما بأنَّ الكتاب غير محقق – خطأ مطبعى ، والصواب « الدهيشة » ، وهى من أحسن مساكن بساتين دمشق ، خُرِّبت سنة ٨١٦ .

انظر : القلائد الجوهريّة فى تاريخ الصالحية ١ / ١٢٧ .

(٢) يراجع : لذة السمع فى صفة الدمع « مقدمة التحقيق » ٨٧ – ١٣٤ .

وقد سبقت الإشارة إلى اضطراب الترتيب فى هذه المخطوطة ومما يؤكد أَنَّ الأوراق الخمس من التمهيد المعانى التى اشتملت عليها ، كما سيتضح ذلك من الدراسة والتى لا مكان لها فى الكتاب إلا فى التمهيد .



أولا : مصادر الدراسات القرآنية والحديث الشريف

كتب التفسير : زاد المسير ، لابن الجوزى ، والتفسير الكبير ، للفخر الرازى ، والجامع لأحكام القرآن الكريم ، للقرطبى ، والبحر المحيط ، لأبى حيّان .

كتب الحديث : الموطأ ، للإمام مالك ، وصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذى ، وسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وسنن ابن ماجة ، ومعجم الطبرانى ، والنهاية فى غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، والمنهاج فى شرح صحيح مسلم ، للنووى .

ثانيا : المصادر الفقهية

يعتمد الصفدى كتب الرافعى ، وابن الرفعة فى نقل آراء الشافعيّة ، أمّا رأى الحنفيّة فإنّه يعتمد فيه كتاب « الهداية شرح بداية المبتدى » ، للمرغينانى [1] .

ويعتمد كتاب المغنى ، لابن قدامة [2] فى بيان آراء الحنابلة ويبدو أنّه لم ينقل آراء المالكية عن مصادرها ، واكتفى بالنقل عن المرغينانى وابن قدامة فى كتابيهما .

ثالثا : المصادر اللغوية والأدبية

الصحاح ، للجوهرى ، والمخصص ، لابن سيده ، وفقه اللغة ، ولباب

---

(١) أبو الحسن ، على بن أبى بكر بن عبد الجليل ، برهان الدين ، الفرغانى ، المِرْغِينَانى (٥٣٠ - ٥٩٣ هـ) حافظ ، مفسّر ، أديب ، من فقهاء الحنفية ، فرضى ، له بداية المبتدى ، وشرحه الهداية ، انظر : سير أعلام النبلاء ٢١ / ٢٣٢ والأعلام ٢٦٦/٤ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٤٥ .

(٢) أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، موفق الدين ، الجُمّاعِيلى (٥٢٩ - ٦٢٠هـ) من فقهاء الحنابلة المشهورين ، له تصانيف كثيرة ، أشهرها المغنى . انظر : معجم البلدان « جمّاعيل » ٢ / ١١٣ ، العبر ٥ / ٧٩ ، سير أعلام النبلاء ٢٢ / ١٦٥ ، المختصرالمحتا ج إليه ٢ / ٢١٢ ، التكملة لوفيات النقلة ٣ / ١٠٧ ، الوافى بالوفيات ١٧ / ٣٧ ، والأعلام ٤ / ٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ٣٠ .

الآداب ، للثعالبى ، ودواوين الشعراء ، وقد نص على أنه ينقل عنها بخط مؤلفيها ، وذلك إلى جانب : الخريدة ، للعماد الكاتب ، ودمية القصر ، للباخرزى ، ومؤلفات ابن سعيد المغربى ، وغيرها ، مما ذكرته فى فهارس الكتب الواردة بالأصل .

رابعا : المصادر الطبية

القانون ، لابن سينا ، والطب الكبير ، للفخر الرازى ، وتذكرة الكحالين ، لعلى ابن عيسى ، والاستبصار فيما يدرك بالأبصار ، للقرافى .



الكتاب وأثره

يبدو أنَّ آخر كتاب فى عمر مؤلفه يطويه النسيان ، كما طوى الموت صاحبه ؛ وذلك لأنَّ الكتاب فى حياة مؤلفه العلمية ووقت نشاطه ، يُقْرَأ عليه ، ويتلقاه عنه تلاميذه ، ومريدوه ؛ وينقده حُسَّاده ، وشانئوه ؛ فيَذِيعُ ، وينتشر ، وتتاح له أسباب الشهرة التي لا تتهيَّأ - عادة - لكتاب مات صاحبه ، ولمَّا كان كتاب الصفدى « لذة السمع » قد كُتِب قبل « صرف العين » بنحو عشرين سنة فقد وُجِد له أثر واضح ، فى مؤلفات العلماء فى العصور التالية ، وكَثُرَ النقل عنه [1] ، من ذلك :

١ - نقل عنه السخاوى [2] فى كتابه « المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة » .

٢ - وابن الدَّيْبَع [3] فى كتابه « تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث » .

٣ - والعجلونى [4] فى كتابه « كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » .

٤ - والمكى [5] فى كتابه « نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس » ، وغيرهم .

---

(١) انظر مقدمة « لذة السمع » ٦٥ .

(٢) أبو الخير ، محمد بن عبد الرحمن ، شمس الدين ، السخاوى (٨٣١ - ٩٠٢ هـ) مؤرخ ، محدث ، أديب ، مولده فى القاهرة ، ووفاته فى المدينة المنورة انظر : الكنى والألقاب ٢ / ٣١١ ، والأعلام ٦ / ١٩٤ ، ومعجم المؤلفين ١٠ / ١٥٠ .

(٣) عبد الرحمن بن على ، وجيه الدين ، الشيبانى ، الأثرى ، اليمانى (٨٦٦ - ٩٤٤ هـ) مؤرخ ، محدث ، مولده ، ووفاته بزبيد . انظر : الكنى والألقاب ١ / ٢٨٧ ، والأعلام ٣ / ٣١٨ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ١٥٩ .

(٤) أبو الفداء ، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادى ، العَجْلونى ، الجَرَّاحى ، الدمشقى (١٠٨٧ - ١١٦٢ هـ) محدِّث الشام فى عصره .

انظر : الأعلام ١ / ٣٢٥ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ٢٩٢ .

(٥) عباس بن على بن نور الدين ، الحسينى ، الموسوى (١١١١ - ١١٨٠ هـ) أديب ، رحَّالة ، إخبارى ، مولده وإقامته بمكة المكرمة .

انظر : الأعلام ٣ / ٢٦٣ ، ومعجم المؤلفين ٥ / ٦٢ .

وبالرغم من أنَّ « صرف العين » - بالنسبة للذة السمع - أغزر مادة ، وأوفر علما ، وأكثر تنوّعا فلا نكاد نجد له من الذيوع والشهرة مثل ما للذة السمع ؛ وما ذلك إلا لتأخُّر زمنه ، وقلَّة رواته ، ولا نكاد نجد له من أثر إلا في كتاب البدرى [1] الذى سمَّاه « سحر العيون » .

يذكر حاجى خليفة [2] أنَّ عنوان الكتاب « سحر العيون في ... » وأوله : الحمد لله الذى زيَّن رياض الوجوه بنرجس العيون ... ورتَّبه على مقدمة ، ونتيجة ، وأصل ، وسبعة أبواب ، وخاتمة ، وتفصيل ذلك :

المقدمة : في اسم العين ، واشتراكها لغة .

والنتيجة : في علُوّ شرف العين .

والأصل : يتفرَّع في تشريحها .

والأبواب هى :

الباب الأول : في قوى النظر .

الباب الثاني : في دية العين .

الباب الثالث : في عللها ، وأمراضها .

الباب الرابع : في طبِّها ، وعلاجها .

الباب الخامس : في أوصافها بأنواع التشابيه .

الباب السادس : فيما وقع من النكت والمُثُل .

الباب السابع : في أول النظرة ، وفيه سبعة فصول .

والخاتمة : فيما ورد في أوصافها من المدائح الفائقة [3] .

---

(١) أبو البقاء ، أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد ، تقى الدين ، البدرى ، الدمشقى ، المصرى ، الوفائى (٨٤٧ - ٨٩٤ هـ) أديب ، شاعر ، مؤرخ انظر : تاريخ الأدب العربى ، بروكلمان ق ٦ / ٥٤٨ ، والأعلام ٢ / ٦٦ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٦٦ .

(٢) مصطفى بن عبد الله ، القسطنطينى ، الرومى ، الحنفى ، الشهير بالمُلاّ كاتب الجَلَبِىّ ، والمعروف بحاجى خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧ هـ) مؤرخ ، فقيه ، محدث . انظر : الأعلام ٧ / ٢٣٦ ، ومعجم المؤلفين ١٢ / ٢٦٢ .

(٣) انظر : كشف الظنون ٢ / ٩٨١ .

من هذا العرض لمضمون الكتاب ، وتقسيمه ، وأبوابه يمكن القول بأنّه هو ذاته « صرف العين » ، ومن المؤسف أنني لم أجد كتاب « سحر العيون » بين يدى الآن ، ليمكنني معرفة ما يكون قد أضافه إليه البدرى ، أو غيّره فيه ، ولكنّ هناك شيئا مريبا فى قصة « سحر العيون » هذا .

أولا : لم يذكر حاجى خليفة عنوان الكتاب كاملا ، ولم يثبت اسم مؤلفه ، وربّما كان مردُّ ذلك إلى تلف فى صفحة الغلاف ، أضاع بقيّة العنوان ، وأتى على اسم مؤلفه .

وفى الذيل على كشف الظنون جاء ما يلي :

« نسخة بخط المؤلف في مكتبة الحاج حسين أقا ، ملك التجار ، بطهران ، وهو العلامة أبو بكر بن عبد الله ، العدوى ، الشافعي ، الدمشقي ، نزيل القاهرة ، المولود بها سنة ٨٤٧ هـ ، وتاريخ كتابة النسخة ٨٧٥ هـ » [١] .

ثانيا : ذكر إدوارد فنديك [٢] أنَّ الكتاب عنوانه « سحر العيون فى الغزل » ، مجهول المؤلف ، اعتنى بنشره وطبعه الإبيارى [٣] فى القاهرة ، فى سنة ١٢٧٦ هـ ، ونشره دون أنْ يذكر اسم المؤلف .

ثالثا : ذكره يوسف إليان سركيس مرتين [٤] ، قال عنه فى المرة الأولى : « هو لأحد تلامذة الشهاب الحجازى [٥] طبع باعتناء الشيخ الإبيارى ، قال فى أوله : « لم أقف على تصنيف في العيون ، ووَصْفِها ، ولا سمعت فيها بتأليف ، مع علو شرفها ، فأحببت أنْ أكون أوَّلَ ثانٍ على وصفها...طبع حجر ، مصر ، سنة ١٢٧٦ ص ٣١٩» ، وجاء في حاشية الصفحة ذاتها :

---

(١) انظر : الذيل على كشف الظنون ٥٤ .

(٢) انظر : اكتفاء القنوع ٤١٠ .

(٣) عبد الهادى نجا بن رضوان نجا بن محمد ، الإبيارى ، المصرى (١٢٣٦ - ١٣٠٥ هـ) كاتب ، أديب ، شاعر ، له مؤلفات كثيرة ، انظر : الأعلام ٤ / ١٧٣ ،/ ومعجم المؤلفين ٦ / ٢٠٣ .

(٤) معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ / ٣٥٨ ، ٥٤٢ .

(٥) أبو الطَّيِّب [أو أبو العباس] أحمد بن محمد بن على ، شهاب الدين ، الحجازى ، القاهرى ، الخزرجي ، العبادى (٧٩٠ - ٨٧٥ هـ) شاعر ، أديب ، له ديوان شعر مطبوع . انظر : تاريخ الأدب العربى ، بروكلمان ق ٦ /٥٠ ، والأعلام ١ / ٢٣٠ ، ومعجم المؤلفين ٢ / ١٢٩ .

« نسب هذا الكتاب للعلامة البدرى ، الدمشقى ، غير أننى لم أتحقق ذلك ، ولا أعلم إذا كان البدرى المذكور هو من تلامذة الشهاب الحجازى » .

أمّا قوله بأنّه لم يقف على تصنيف فى وصف العيون ففيه نظر ؛ لأنّ صاحب كشف الظنون يذكر كتابا اسمه « سحر العيون » وفيه أوصاف العين ، ما ورد من المدائح فيها ، إلا أنّه أغفل ذكر مصنّفه » (١) .

وعبارة سركيس هذه توحى بأنّ مؤلف كتاب « سحر العيون » شخص آخر غير البدرى .

وفى المرّة الثانية نسب الكتاب إلى مؤلفه أبى البقاء ، عبد الله بن محمد ، البدرى ، المصرى ، الدمشقى (٢) .

من المؤكد أنّ الكتاب للبدرى ، وهو بخطه كما فى ذيل كشف الظنون ، وأشار بروكلمان (٣) إلى وجود نسخة مخطوطة من الكتاب فى القاهرة رقم ١٢٧٦ والتى نشرها الإبيارى ، بدون اسم المؤلف ، ولا أعرف هل هى مخطوطة غير التى وصفها حاجى خليفة ، أو هى صورة عنها ، فإنْ كانت صورة عنها فمن أين جاء بتكملة العنوان ؟ ، وإن كانت مخطوطة أخرى فلِمَ أغفل ذكر مؤلفها ؟ .

ومن المؤكد - أيضا - أنّ البدرى من تلامذة الشهاب الحجازى ، فلا مجال للشك فى أنّ الكتاب المذكور فى كشف الظنون هو له ، ولكن العجب فى ادّعاء البدرى أنّه لم يقف على تصنيف فى العيون ووصفها ، ولم يسمع فيها بتأليف مع علو شرفها ، وهو قد ترجم الصفدى (٤) ، وعرف مؤلفاته ولا أعرف إذا كان قد أثبت فيها « صرف العين » ، أو تعمّد إخفاءه ، وهذه المؤلفات ذكرها فى مقدمة كتابه .

ويبدو من خطبة البدرى لكتابه ترسّمه خطا الصفدى ، والسير على هداه ، فقوله

---

(١) انظر : معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ / ٣٥٨ .

(٢) نفسه ١ / ٥٤٢ .

(٣) تاريخ الأدب العربى ، بروكلمان ق ٦ / ٥١ .

(٤) ذكر حاجى خليفة أنّه أثبت للصفدى كتابين ذكرهما صاحب سحر العيون ، وهما « خلع العذار فى وصف العذار » ، و « كشف الحال فى وصف الخال » ، انظر : كشف الظنون ١ / ٧٢١ ، و٢ / ١٤٨٨ .

« الحمد لله الذى زيَّن رياض الوجوه بنرجس العيون » إشارة صريحة لمقدمة كتاب « صرف العين » فالصفدى قد أرَّخ لتشبيه العيون بالنرجس فى الأدب العربى ، بدْءا من كسرى – ملك الفرس – الذى ابتكر هذا التشبيه ، وأخذه عنه المولَّدون والمتأخِّرون من الشعراء ، أمثال أبى نواس وابن الرومى ، وابن المعتز ، وغيرهم ، ومثَّل لهذا التشبيه من أشعارهم ، وتتبَّع ما فتحه هذا التشبيه على الشعراء من تفضيل بعض الأزهار على بعضها الآخر (١) .

أيكون قد استغلَّ البدرى عدم شهرة الكتاب ليثبت لنفسه سبقا فى التأليف فى وصف العيون ؟ أم يكون سركيس قد أخطأ فى النقل ، فذكر شيئا من مقدمة الناشر ، لا المؤلف ؟ ؛ فَكَوْنُ الإيارى لم يصل إلى علمه تأليف في وصف العيون أمر جائز ، ولكنَّ إنكار البدرى لسبق الصفدى عليه ، فى التأليف فى وصف العيون أمر مختلف تماما ، ويكون محاولة منه لغمط الصفدى حقَّه ، والاعتداء على مصنفاته .

على كل حال لا يمكننى الإجابة عن هذه التساؤلات قبل الاطلاع على الكتاب ، ومقارنته بصرف العين (٢) .

وصف المخطوطتين

لا فرق بين المخطوطتين المحفوظتين إحداهما فى برلين ، والأخرى فى العمومية ، كما سبق أنْ بيَّنْت ، فهما نسخة واحدة فرَّق الزمن بين أوراقها ، وهما بخط المؤلف ، مكتوبتان بالمداد الأسود ، والعناوين الداخلية بالمداد الأحمر ، وهما من القطع المتوسط [٢٩ ط ٢١ سم] وفى كل صفحة سبعة عشر سطرا ، فى المتوسط ، وفي كل سطر نحو اثنتي عشرة كلمة .

الخصائص الإملائية لخط الصفدى

مشهور عن الصفدى أنَّه خطَّاط بارع ، ورسَّام مُتْقِن ، وبالرغم من أنَّ الغالب

(١) انظر « صرف العين » ٦٥ / ب – ٦٦ / ب ، مخطوطة العمومية .

(٢) اطَّلعت على كتاب سحر العيون فيما بعد فى دار الكتب المصرية ، وقد تبيَّن لى أنَّ البدرى نقل فى كتابه أكثر من نصف كتاب صرف العين نصا، بشواهده ، وترتيبها ، وفى بعض القوافى لم يزد بيتا واحدا على ما فى صرف العين .

على خطه « النسخ » ؛ إلاَّ أنَّه كثير التخليط بين أنواع الخطوط ، وبخاصة الخط المغربى ، فكثيرا ما يضع نقطة الفاء تحتها ، ويكتب القاف منقوطة بنقطة واحدة فى أعلاها ، ويضع نقطة الظاء أمام ألفها لا خلفها ، على طريقة الرسم المغربى ، ولكنَّه لا يلتزم ذلك دائما ، وفى معظم الأحيان يكون الشكل الزُّخرفى هو شاغله الأول فى الكتابة ، فتتصل ألفاته بما بعدها من أسفلها ، فلا تكاد تفرِّق بين الألف واللام ، كما تميَّزت كثير من الكلمات عنده برسم خاص بها ؛ من مثل :

* الفاء المتصلة بالياء [فى] يكتبها دائما نقطة على متسع مقَعَّر شبيه بالمدة فوق الألف التى صورتها [˜] .

* كما تتصل حروفه بطريقة خاصَّة ، وقد آثرت أنْ أقدِّم نماذج متنوِّعة من رسمه لبعض الكلمات ، تجدها فى جدولين ملحقين بآخر هذا القسم الدراسى ، وقد شرح طريقته فى رسم بعض الحروف فى مقدمة كتابه الوافى بالوفيات [1] ، كالآتى :

١ - الألف اللينة فى آخر الكلمات تكتب ألفا طويلة ، مطلقا ، بصرف النظر عن أصلها ،فيكتب أحْلى ، وتُتْلَى [أحلا ، تتلا] .

٢ - الهمزات المتوسطة تكتب ياء ، مطلقا ، فالكلمات : القائل ، أولئك ، أرائك ، بآبائه ، أربعمائة يكتبها : القايل ، أوليك ، أرايك ، بآبايه ، أربعماية ....

٣ - الألف اللينة فى آخر الفعل الثلاثى يكتبها أحيانا طويلة ، والفعل يائى الأصل مثل الفعل رقى يكتبه رقا .

٤ - لا فرق فى الرسم بين همزات الوصل والقطع ، فيكتب : أفرغ ، أحسن ، اتَّقى ، ارْتَشْن يكتبها : افرغ ، احسن ، اتَّقا ، ارتشن ..

٥ - الهمزة المتطرفة بفردة بعد ألف يكتبها مدّة على الألف ، فالكلمات : بناء - سماء ، يكتبها بنآ ، سمآ ..

٦ - الهمزة المتوسطة على الياء تكتب ياء ، والتى على الواو تكتب واوا فالكلمات : تواطؤ ، بئر تكتب : تواطو ، بير ..

---

(١) فى مواضع متفرِّقة من الجزء الأول ، وبخاصة الصفحات : ٤ ، ٩ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٢٦٣ .

٧ - في نداء رسول الله ﷺ خاصة ، تحذف الألف من حرف النداء « يا » ، فتكتب : يرسول الله .

٨ - الأعلام المبدوءة بهمزة تحذف الألف إذا سبقت بحرف النداء « يا » ، مثل : يا إبراهيم ، يا إسماعيل ، يا إسحاق ، تكتب :

يابراهيم ، ياسماعيل ، ياسحق .

٩ - الأعلام المشهورة تحذف ألفها دائما ، فالأعلام : خالد ، الحارث ، إبراهيم ، إسماعيل ، إسحاق ، هارون ، مروان ، سليمان ، عثمان ، معاوية ، قاسم ، أبو سفيان ، تكتب : خلد ، الحرث ، ابرهيم ، اسمعيل ، اسحق ، هرون ، مرون ، سليمن ، عثمن ، معوية ، قسم ، أبو سفين ...

ومثلها الكلمات : السموات ، ثلاثة ، ثلاثون ، ثمانية ، ثمانون ، السلام ، المسألة ، القيامة ، الملائكة ، سبحانه تكتب : السموت ، ثلثة ، ثلثون ، ثمنية ، ثمنون ، السلم ، المسيلة ، القيمة ، المليكة ، سبحنه ...

وحذف الألف من هذه الأسماء من أسباب كثرة التصحيف والتحريف فيها .

١٠ - حذف الواو من داود ، وطاوس ، وناوس .. ، كما تحذف الواو بعد همزة على الواو ، فالكلمات : يئوده ، يسوءه ، ينوءه ، الموءودة ، السموءل ، تكتب : يوده ، يسوه ، ينوه ، المودة ، السمول ...

١١ - الكلمات : الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، تكتب بحسب أصلها - كما يقول - : الصلوة ، والزكوة ، والحيوة ...

١٢ - كلمة [إحداهما] خاصة تكتب [احديهما] بالياء نظرا إلى حالة تجردها من الضمير .

١٣ - إذا وقعت الحروف الآتية : ق ، ن ، ى ، في أواخر الكلمات لا تنقط ؛ لأنه لا تشبهها صورة لحرف آخر .

١٤ - لا تشكل الكاف إذا وقعت آخرا ، ولا تكتب مجلسة ، وإنما تجلس ، وتشكل بردة الكاف إذا وقعت في أول الكلمة ، أو حشوا .

١٥ - يستخدم الاختصارات المعتمدة عند المحدثين من مثل :

ثنا [حدَّثنا] ، أنا [أخبرنا] ،ح [للانتقال من إسناد إلى آخر] صح [تصويبا

لكلمة] ، خ [البخارى] ، م [مسلم] ، ط [الموطأ] ، ت [الترمذى] ، ن [النسائى]، د [أبو داود] ،ق [ابن ماجة] وذكر سبب اختيار هذا الرمز ؛ لأنّه من قزوين .

١٦ - أحيانا يهتم بضبط الأعلام ، وذلك بالنص على العلامات بالحروف ، وأحيانا يكتفي بالإشارة ، ففي لقب ذى الرمّة مثلا وضع على الراء ضمة ، وكسرة ، وكتب فوقها « معا » إشارة إلى جواز الحركتين فى ضبط الاسم .

الخصائص الأسلوبية للصفدى

الصفدى شاعر وناثر ، وقد تناولت الخصائص الفنية لأسلوبه بالتفصيل ، فى دراستى عنه ، وأكتفى - هنا - بإشارة موجزة إلى أهم ما يميّز أسلوبه .

أولا : خصائص أسلوبه فى نثره :

تنوّعت أساليب الصفدى باختلاف الفنون ، والأغراض ، وما يقتضيه مراعاة الحال ، ويمكن أن نلاحظ ذلك بوضوح ، فهو لا يصطنع طريقة واحدة فى تعبيره ، فمثلا :

* إذا كتب فى علوم اللغة ، والنحو ، والبلاغة طبّق خصائص الأسلوب العلمى المعروفة :

اللفظ محدود الدلالة ، مألوف الجرس ، والجملة قصيرة ، صحيحة لغويا ، والمعنى واضح .

الاصطلاحات مشروحة شرحا وافيا من الوجهتين اللغوية ، والاصطلاحية .

يعرض الآراء عرضا أمينا ، ويوازن بينها ، ويعلّق عليها ، ويعلل لنتائجها ، ويرتّب الفكرة ترتيبا منطقيا .

تكاد تخلو عباراته من المحسنات اللفظية والمعنوية ، وتتجرّد من التأنق ، والموسيقا ، وربّما دخلتها الألفاظ المعرّبة ، والعاميّة .

* إذا كتب فى الديوان ، والرسائل الإخوانية فأسلوبه مثقل بكل أنواع القيود اللفظية ، فهو يلتزم السجع التزاما ، وتطول الجمل ؛ لتتضمن أنواعا من البديع يصعب حصرها : من حسن التقسيم ، ورد العجز على الصدر ، والجناس الملفق ،

والمركب ، والتورية والاستخدام .... مما يجعل تلك الرسائل سمجة مملّة ، وهو في ذلك يجاري كتاب عصره ، ويخاطبهم بما اعتادوا قراءته .

* إذا أنشأ كتابة أدبية خاصة به تَميَّز أسلوبه بنوعين مختلفين :

الأول : نوع يراعي فيه نظراءه من الكتّاب ، والأدباء ، ومنافسيه من البلغاء ، والمترسّلين فيظهر براعته في التفنن بالألفاظ ، ويعرض فنونه في البديع ؛ فتخلو عبارته من الرونق ، وتوشك أنْ تكون صورة معدّلة لكتاباته الديوانية ، ويمثّل هذا النوع من الأساليب خطبة كتبه التي يفتتح بها مصنفاته .

والثاني : تعبيره عن مشاعره ، وعواطفه فيأتي بسحر البيان أو بيان السحر (١) - كما قال ابن معصوم (٢) - فيصفو أسلوبه ، وتعذب كلماته ، ويطّرح كل القيود إلا ما يقتضيه فن الأدب ، وذوق الفنان ، واقرأ حديثه الرائع عن أستاذه ابن تيمية (٣) ، يقول : كان إذا تكلّم أغمض عينيه ، وازدحمت العبارة على لسانه ، فرأيت العجب العجيب ، والحَبْر الذي ما له مشاكل في فنونه ، ولا ضريب ، والعالم الذي أخذ من كل شيء بنصيب ، سهْمُه للأغراض مصيب ، والمناظر الذي إذا جال في حومة الجدال رمى الخصوم من مباحثه باليوم العصيب .. (٤) .

ثانيا : خصائص أسلوبه في شعره :

الصفدي من كبار شعراء عصره المجيدين ، ومن أغزرهم شعرا ، ومن أكثرهم

---

(١) أنوار الربيع ١ / ١٢٨ .

(٢) على خان بن ميرزا أحمد الحسيني ، المعروف بابن معصوم ، الحسني ، الحسيني (١٠٥٢ - ١١١٩ هـ) أديب ، شاعر ، لغوي ، ناقد ، له مؤلفات كثيرة ، انظر : الأعلام ٤ / ٢٥٨ ، ومعجم المؤلفين ٧ / ٢٨ .

(٣) أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم ، تقي الدين ، ابن تيمية ، الحرّاني ، الدمشقي ، الحنبلي (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) شيخ الإسلام ، فقيه ، مفسر ، أصولي ، حافظ ، مجتهد ، له مؤلفات كثيرة . انظر : الوافي بالوفيات ٧ / ١٥ ، وتاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ق ٦ / ٤٠٢ ، والأعلام ١ / ١٤٤ ، ومعجم المؤلفين ١ / ٢٦١ .

(٤) الوافي بالوفيات ٧ / ١٩ .

أغراضا ، وللنقاد في شعره آراء مختلفة ، فمنهم من يقدّمه على معظم نظرائه ، ويفرط في الثناء عليه ، ومنهم من ينتقصه ، ويحط من قدره [1] ، ولعلّ يوسف بن تغرى بردى [2] أصدق من قال رأيا في شعره ، قال : لولا أنّه كان راضيا بشعره ، لكان يندر له الرديء ، ويكثر منه الجيّد ؛ فإنّه كان غوّاصًا على المعاني ، مبتكرًا للنكت البديعة ، عارفا بفنون الأدب ، وعندما يعارض بعض مَنْ تقدَّمه ، من مجيدى الشعراء ، في معنى من المعاني اللطيفة ينظم بيتين يجيد فيهما ، ثم ينظم - أيضا - في ذلك المعنى بعينه بيتين آخرين ، ثم بيتين ، ثم بيتين ، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى إلى أنْ يملَّه النظر ، وتسأمه النفس ، ويمُجّه السَّمْع ، فلو ترك ذلك ، وتحرّى القصد في قريضه لكان من الشعراء المجيدين ، لقوّة شعره ، وحُسْن اختراعه [3] .

ولم يكن إعجاب الصفدى بنفسه ، وشعره هو - وحده - سبب وقوعه في النظم الركيك ، بل يضاف إلى ذلك كثير من القيود ألزم بها نفسه ، وحاول - بالرغم من ثقل قيوده - النهوض ، والسموّ ، وسعى إلى مجاراة الفحول المطبوعين ، فمن تلك القيود :

١ - لزوم ما لا يلزم ، وإنّه ليباهي به ، ويقول : « وغالب ما أُنْشِئُه أنا إنّما آتي به ملزوما » [4] ، كقوله [5] :

جَدَّ الهَوَى بِالشَّجِيِّ المُعَنَّى ... وَأَنْتَ هَازٍ بِهِ ، وهَازِلْ
وَحَرْبُ عَيْنَيْكَ فِي سَطَاهَا ... تَعْلُو الثُّرَيَّا ، فَمَنْ يُنَازِلْ ؟
فَاكْفُفْ سِهَامَ الجُفُونِ عَنِّي ... فَأَنْتَ غَازٍ لِمَنْ تُغَازِلْ

---

(١) انظر آراء النقاد في شعره في فصل « الصفدى الشاعر » في دراستي عنه .

(٢) أبو المحاسن ، يوسف بن تغرى بردى ، جمال الدين ، الظاهرى ، الحنفى ، (٨١٣ - ٨٧٤هـ) مؤرخ ، أديب ، من أمراء المماليك ، له مؤلفات كثيرة أشهرها « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » . انظر : تاريخ الأدب العربي بروكلمان ق ٦ / ١٥١ ، والأعلام ٨ / ٢٢٢ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٢٨٢ .

(٣) انظر : المنهل الصافي ٥ / ٢٤٢ .

(٤) نصرة الثائر على المثل السائر ١٥٧ .

(٥) صرف العين ١٢١ / ب .

٢ - الجناس الملفّق ، ويكون كُلٌّ من ركنيه مركّبًا من كلمتين ، فصاعدًا ، كقوله :

مَتَى تَصْنَعِ المَعْرُوفَ تَرْقَ إِلَى العُلاَ ... وَتَلْقَ سُعُودًا فِي ازْدِيَادِ سُعُودِ
وَإِنْ تَغْرِسِ الإِحْسَانَ تَجْنِ الثِّمَارَ مِنْ ... مَغَارِ سُعُودِ ، لاَ مَغَارِسِ عُودِ (١)

٣ - التضمين ، وهو من الظواهر الشائعة فى عصره ، كقوله :

أَيَا مَنْ سَبَانِي ، كُفَّ جَفْنَكَ عَنِّى إِنَّهُ
غَدَا فِي صَمِيمِ القَلْبِ بِالسِّحْرِ يَنْفُثُ
وَدَعْنِى وَمَا قَالَ الوُشَاةُ ، وَنَمَّقُوا
« فَمَاذَا عَسَى الوَشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا ؟ » (٢)

وقد يجمع فى شعره بين التضمين ولزوم ما لا يلزم ، كقوله :

يَا لاَئِمِى فِى شُكْرِ أَشْجَانِى وَلِى ... مِنْهَا غَبُوقٌ دَائِمٌ وَصَبُوحُ
نَظَرُ الحَبِيبِ إِذَا طَلَبْتُ وِصَالَهُ ... « وَهُوَ العَدُوُّ بِمَا أَسَرَّ يَبُوحُ » (٣)

٤ - نظم المصطلحات العلمية ، والتورية بأسماء الكتب ، وأعلام الرجال ، وغير ذلك مما هو شائع بين شعراء عصره ، كقوله :

وَظَبْيٍ مَعَانِيهِ بَيَانٌ ، بَدِيعُهَا ... لَهُ حَارَ فِكْرِى إِذْ رَأَى كُلَّ مُعْجِزِ
قَرَأْتُ مَقَامَاتِ الحَرِيرِيِّ كُلَّهَا ... بِعَارِضِهِ مَشْرُوحَةً لِلْمُطَرِّزِى (٤)

---

(١) أنوار الربيع ١ / ١٢٧ .

(٢) صرف العين ٧٣ / أ ، وفى البيتين تضمين لقول الشاعر :

وَمَاذَا عَسَى الوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا ... سِوَى أَنْ يَقُولُوا : إِنَّنِى لَكِ عَاشِقُ

والبيت للمجنون فى ديوانه ٢٠٣ ، ولجميل فى ديوانه ١٤٣ .

(٣) صرف العين ٧٦ / أ ، وفى البيتين تضمين لقول الشاعر :

يُخْفِى العَدَاوَةَ ، وهْىَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ ... نَظَرُ العَدُوِّ بِمَا أَسَرَّ يَبُوحُ

والبيت للمتنبى فى ديوانه ٦٢ .

(٤) خزانة الأدب لابن حجة ٢ / ١٥٧ .

والمُطَرِّزى هو : أبو الفتوح ، ناصر بن عبد السيّد ، برهان الدين ، الخوارزمى ، الحنفى (٥٣٨ - ٦١٠ هـ) عالم ، أديب ، له شرح مشهور على مقامات الحريرى ، انظر : الأعلام ٧ / ٣٤٨ ، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٧١ .

٥ - رغبته الشديدة فى الإكثار جعلته يرضى بالأشياء الرخيصة ، ويأتى بما يعيب [١] .

٦ - مناصبه الرسمية ، وارتباطه بالأمراء ، والملوك فرضت عليه أنْ يكتب فى كل مناسبة ، وينظم فى كل وقت ، ولو لم تحرّكه عاطفة قوية ، أو يثيره إحساس صادق ؛ ولذلك جاء كثير من شعره باردا لا يعبّر عن تجربة صادقة .

وإذا رجع الصفدى إلى حسّه الفنى ، ونفسه الصافية ، وساير طبعه ، وفنّه ، وابتعد عن تلك القيود ، ونظم على سجيّته أبدع ، وبرع ، وأجاد ، بل ربّما تفوّق على كثير من شعراء عصره ، والدليل على ذلك أنَّ ابن حجّة [٢] - وهو أشد أعدائه عليه ، وأكثرهم شنآنا ، وحسدًا له - أورد له إحدى وستين قطعة شعرية ، فى باب التورية وحده [٣] ، ولم يملك إلاّ الإعجاب ببعضها ، من مثل قوله تعليقا على بيتى الصفدى :

أَقُـولُ ، وَحَـرُّ الـرَّمْـلِ قـدْ زَادَ وَقْـدُهُ
وَمَـا لِـى إِلَـى شَـمِّ النَّـسِـيـمِ سَـبِـيـلُ
أَظُنُّ نَسِيمَ الجَوِّ قَدْ مَاتَ ، وانْقَضَى
فَـعَـهْـدِى بِـهِ فِـى الـشَّـامِ وَهْـوَ عَـلِـيـلُ

قال ابن حجة : « النسيم العليل تلاعبوا به كثيرا ، ولكنَّ قول الصفدى « فَعَهْدِى بِهِ فِى الشَّامِ وَهْوَ عَلِيلُ » فى غاية اللطف [٤] .

وفى كتابه هذا نماذج كثيرة من شعره .

* * *

(١) خزانة الأدب ، لابن حجة ٢ / ١٦٦ .

(٢) أبو المحاسن ، أبو بكر بن على ، تقى الدين ، الحموى ، القادرى ، الحنفى المعروف بابن حِجّة (٧٦٧ - ٨٣٧ هـ) شاعر ، أديب ، من كتاب الإنشاء انظر : تاريخ الأدب العربى ، بروكلمان ق ٦ / ٣٩ ، والأعلام ٢ / ٦٧ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٦٧ .

(٣) خزانة الأدب ٢ / ١٥٥ - ١٦٦ .

(٤) نفسه ٢ / ١٥٩ .

وكان عملي في التحقيق ما يلي :

* تحرير نص الكتاب ، وتقويمه ، وترتيبه ، وتوثيق مصادره ، وشرح الألفاظ التي رأيت أنَّها تحتاج إلى شرح وتوضيح .
* في الكتاب الكثير من آيات القرآن الكريم ، ضبطت حروفها ، وذَكَرْتُ أسماء سورها ، ورقم كل سورة ، ومن بعده رقم الآية .
* خَرَّجْتُ أحاديثه ، وآثاره .
* وثَّقْتُ أبياته الشعرية ، ونسبت أكثر ما أغفل المؤلف نسبته من أبيات ؛ بحسب ما يسَّرَتْه لي مصادري .
* ترجمت أعلامه ، ولم أذكر في مصادر الترجمة شيئًا من الكتب التي ذكرها الزركلي في « الأعلام » ، أو كحالة في» معجم المؤلفين » ، مكتفيا بالإحالة عليهما .
* في الأبيات الشعرية ذكرت بحر البيت ، ونوع قافيته ، والاختلاف في روايته ، وتعدد نسبة النصوص إلى قائليها .
* عَرَّفْتُ بالأماكن الواردة في الكتاب .
* وضعت لكل نص رقما ، وجعلت حاشيته ثلاثة أقسام :

القسم الأول : لقائله والتعريف به ، واختلاف نسبته ؛ إنْ نسب إلى أكثر من قائل .

والقسم الثاني : لتوثيق النص وتخريجه .

والقسم الثالث : لبيان البحر ، والقافية ، واختلاف الروايات .

* صنعت له فهارس شاملة تُسَهِّل الانتفاع به .
* قدمت للكتاب بدراسة وافية لما اشتمل عليه من موضوعات .
* بيَّنت الخصائص الأسلوبية والإملائية للمؤلف .
* كثيرا ما يذكر الصفدي اسم الشاعر ، أو لقبه ، والأبيات دون أنْ يقدِّم لها بقول ، أو نحوه ، وفي بعض الأحيان ، يقول :

قال ... ويذكر اسم الشاعر ، وقد رأيت أنْ أزيد الفعل « قال » بين قوسين فيما أهمل الصفدي ذكره .

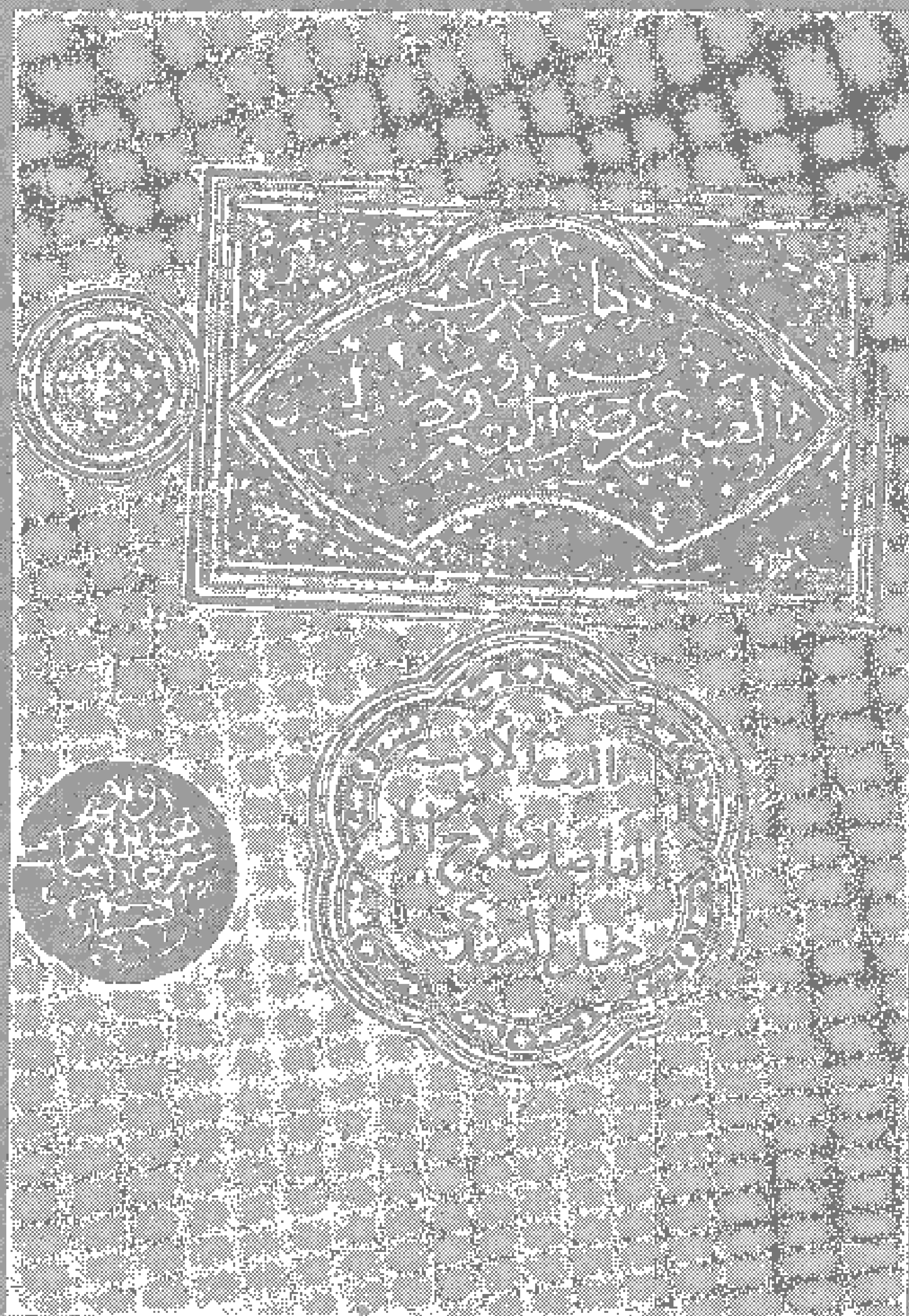
• في الأعلام ، وفي النصوص اضطراب في الضبط ، وغموض في الرموز التي يستخدمها من ضمة ، وفتحة ، وكسرة ، وسكون وشدة ، ونقط ؛ فأصلحت هذا الاضطراب ، وصححت الضبط بالعلامات المستعملة اليوم ، وصححت ما يمكن أن يكون قد وقع فيه المقتدى من الأخطاء النحوية ، وبخاصة في المثنى ، والأسماء المقصورة ، والمنقوصة ، فغالبًا ما يتبع الرسم القرآني للكلمات ؛ فينتج عن رسمها خطأ في قراءتها.

• في الرسم الإملائي للأسماء والأفعال الثلاثية اتخذت خطة واحدة في رسمها ، متبعًا في ذلك رأي البصريين فقد رأيته أصوب ، وأوفق من رأي غيرهم ، قال ابن السيد البطليوسي (1) : « لا خلاف بين البصريين والكوفيين في أن الاسم الثلاثي المفتوح الأول نحو : الصفا ، والفتى ، ينظر إلى أصله ، فإن كان من ذوات الواو كتب بالألف ، وإن كان من ذوات الياء كتب بالياء ، واختلفوا في الثلاثي المكسور الأول ، والمضموم الأول ، فالبصريون يجرون ذلك مجرى المفتوح الأول ، والكوفيون يكتبون كل ثلاثي مكسور الأول ، أو مضمومه بالياء ، ولا يراعون أصله ، وليس بأيديهم حجة يتعلقون بها ... ومن النحويين من يرى أن يكتب كل هذا بالألف حملاً للخط على اللفظ » (2) ؛ لذلك ما كتب كل ثلاثي من ذوات الواو بالألف مثل : الثنا ، والضُّحا والدُّجا ، والحجا مراعيا لأصل الألف.

---

(1) أبو محمد ، عبد الله بن محمد بن السيد ، البطليوسي ، الأندلسي (٤٤٤ - ٥٢١ هـ) من العلماء باللغة والأدب والنحو ، له مؤلفات كثيرة ، أشهرها الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، انظر الوافي بالوفيات ١٧ / ٥٩٨ ، والأعلام ٤ / ١٢٣ ، ومعجم المؤلفين ٦ / ١٢١.

(2) الاقتضاب ٢ / ١٣٥.



لوحة الغلاف من مخطوطة برلين

الورقة الأولى من مخطوطة برلين

قافية النون

أبو إسحق الغزي

أفدي الغزال الذي غازلته سحراً والقوم يحسبون من عينيه أجفانا
إذا شكوت الهوى قال لو اختطه لا يبلد السحر في موسى بن عمرانا

وقال

لو لم يتم بما آتاك بنانه لم تقتدر بما فعلت بنا أجفانه
أرأيت كيف تمارضت في صحته وكفاك من خبر الحديث عيانه
لا يعرف العود الجنون معذباً من لا تعلق بتحرير عودانه
[illegible] المعطفات ما سفكت دماء الأوكار على الغيد صابه
لبن الأقرص في كندر

كأنما وجنة قد صيغ من لهب حسناً كأنما قد من غصن
بالله أقسم لولا سحر مقلته وجنته خلت الدنيا من الفتن

وقال

وتبسم الجوزاء ابتسم حسني ونأى وهو من [illegible] ذا ن
إنما هو الذي منه أتانا في الابتسام مشتركا ن

وقال

خدها وشاب ومن عينيك نائبة وفي الكون لكن فيك أحيانا ن

اللوحة ١٢٨ / ب من مخطوط [illegible]

١٢٩

بكرا واغدو للصابي وانت كراح وروح وريحانات وريحا ن

لابن الساعاتي

اذا جف عن ورد الحياء لثامه فوجنته تحيى ومقلته تحيف
من الجور عمرو حسبه بجفنه ومن عجب لمن ينصر المنيف بالجفن

وقال

وكلوا بالالحاظ هذا الظبي والقدود المعطفات الدنا
فسيوف بسيوف حرست وقنا حط جموها بالقنا
وحشيتم جفنه عن صحة نسرة من صحته وهى ضنى

وقال

يصول لحظه ساكن الطرف فاتر وما عرك الا الاشجان الا سكونه
ولست سالك عينه جفونه فلم اعرف الجيم الا جفونه

وقال

يا من رأيت بخده ما في المضارب كما المنون
اعنت لحاظك عن حسامك والجفون عن الجفون

وقال

شكوت الى صدغه فعل لحاظه وقد وقعت تجري سهام جفونه
فقال كذا الورد الجني بروضه يدافع عنه شوكة في غصونه

وقال

اللوحة ١٢٩ / أ من مخطوطة العمومية وهي واحدة من اللوحات التي أعدت بها مصورة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

نماذج من رسم الصفدي للكلمات

الجملة	اللوحة	الكلمة	قراءتها
ثم يعودون الخلائف هناك أيضاً	٩/أ	الخلائف	الخلائف
يرتفع بقلبه والله رحمه الله تعـ	١٦/ب	تعـ	تعالى
يعني ذكره توحيده كـف	١٦/ب	كـف	كيف
ثم اشتهر ذلك الفقه على الطائفين	١٧/أ	الطائفين	الطائفين
ولترجع وتسوى على الأيسر يده	١٧/أ	ولتر	[illegible]
فالعين تلتقي كفيها ما رأى ودنا	٢٢/ب	ما رأى	ما رأى
ولا ترى كفيها الامرأة	٢٢/ب	الامرأة	الا امرأة
القاضي شرف الدين محمد ن عبد الله	٢٣/أ	ن	بن [ابن]
قاضي القضاة بالديار المصرية تخ	٢٣/أ	تخ	توفي
سمع شيخنا منه	٢٣/أ	[illegible]	[illegible]

<٥٠>

نماذج من رسم الصفحة للكلمات

الجملة	اللوحة	الكلمة	قراءتها
وورد أنبآ لهما مؤاخذة	١/أ	وأنبآ	في أشياء
وإن ميزا النقطة والآن فإنه لا	١/أ	الآن	الآن
هو أول للزمان أو للخط وهو هذا	١/أ	للزمان	للزمان
فإن أطلق اسم المبدأ عليهما	١/أ	عليهما	عليهما
إنما كان بالنظر	١/أ	بالنظر	بالنظر
باعتبار أنه مؤثر الأجسام والدوا	١/أ	للدوا	الدواء
ما وقع به الاشتراك الذي يعم النسبة	١/أ	الاشتراك	الاشتراك
فإن بين القمرين وقت معا	٤/أ	القمرين	القمرين في
في حين ناظره	٤/أ	ناظره	ناظره
وبين حسامه	٤/أ	حسامه	حسامه

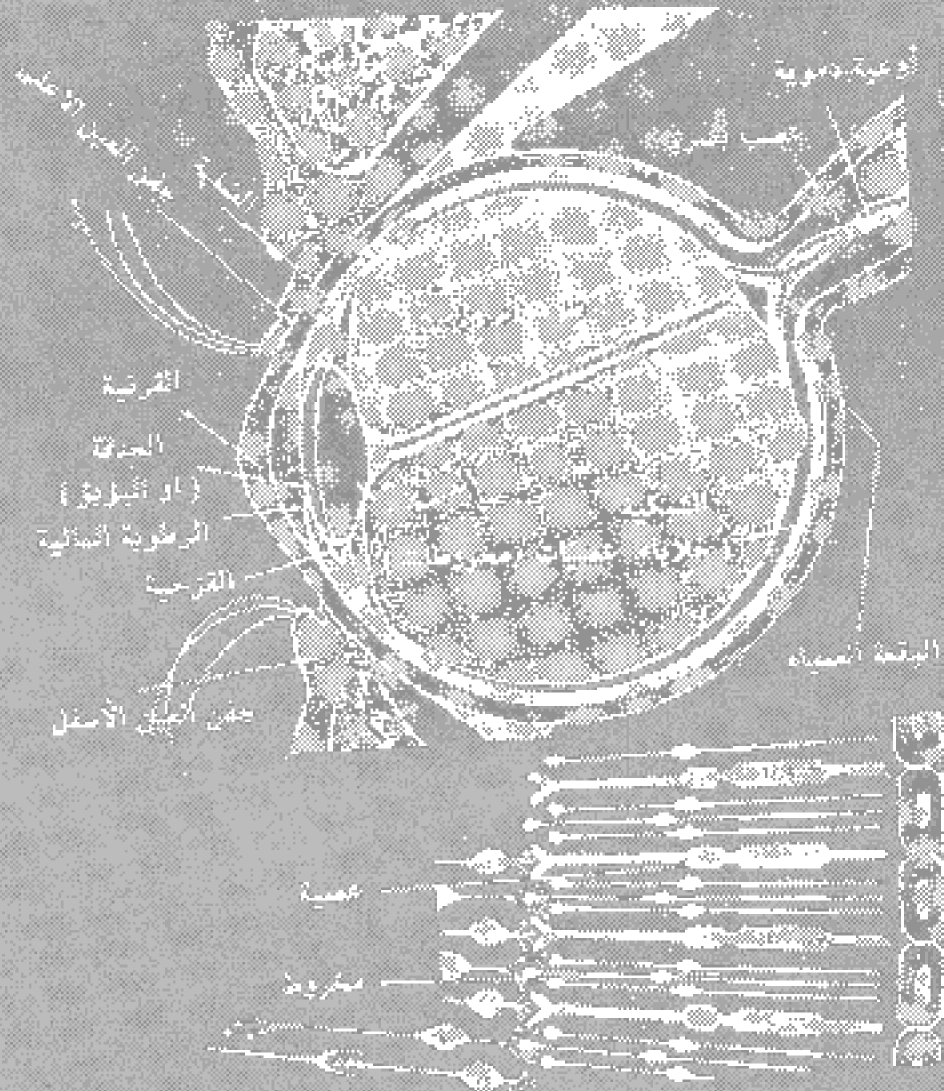


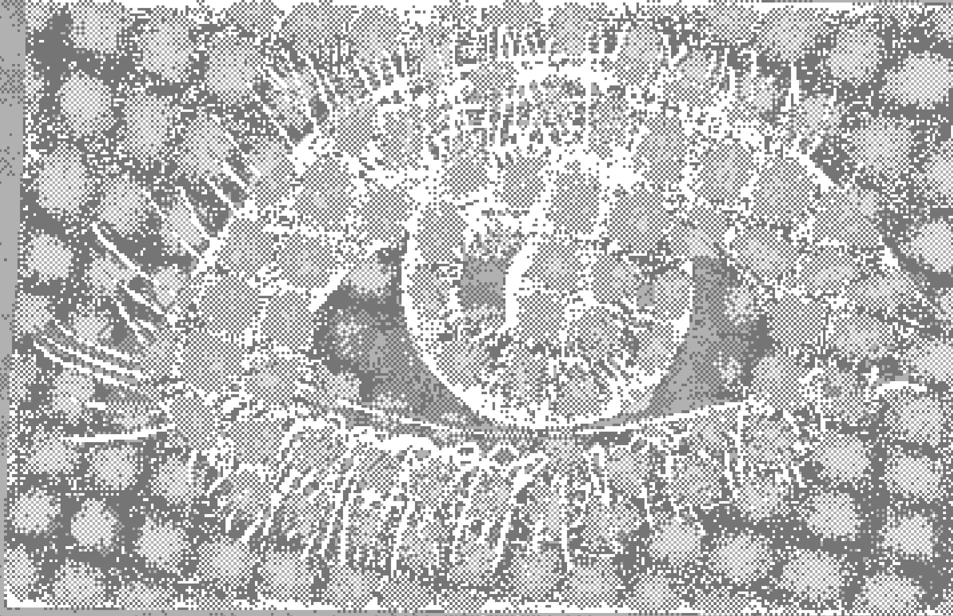
﴿ الصورة الأولى ﴾

الرسم التوضيحي للعين كما رسمه الصفدي في اللوحة ٩٥ / أ

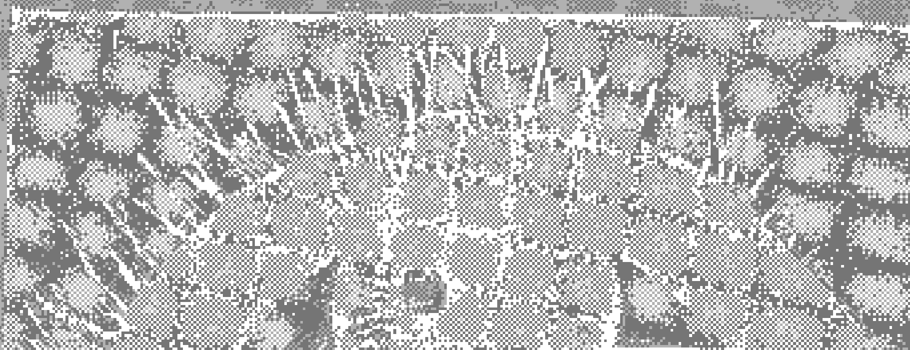
ومقارنته بالصورة الثانية الحديثة للعين يظهر مقدار الدقة

في رسم المؤلف



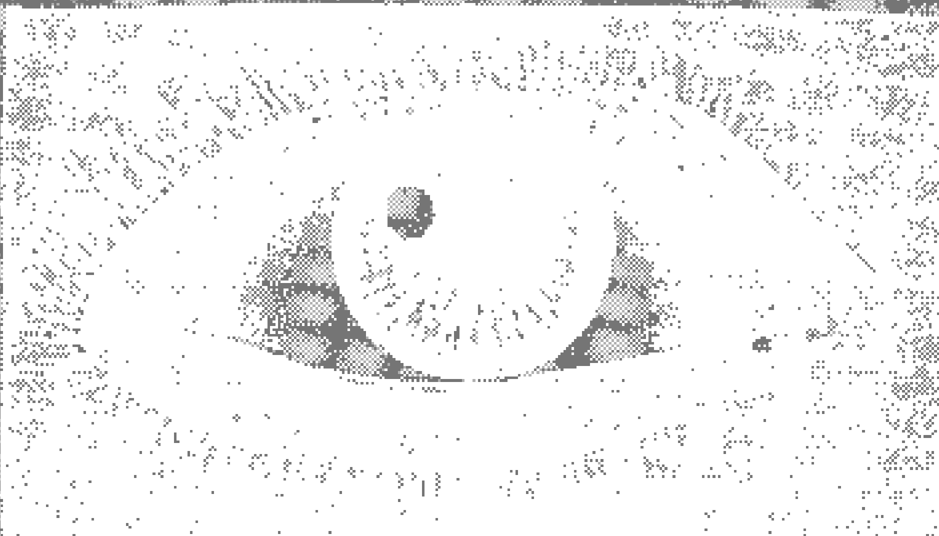


الأهداب تقي العين من الغبار والجسيمات الضارة الأخرى





في الضوء الخافت تتسع حدقة العين لتلتقط أكبر قدر ممكن من الضوء



في الضوء القوي تتقلص حدقة العين لتلتقط أقل قدر ممكن من الضوء